اللعب ونمو الطفل

إعــــداد
دكتور عبد الرحمن سيد سليمان
دكتورة شيخة يوسف الدربستي
كلية التربية / جامعة قطر

١٩٩٦م



اللعب ونمو الطفل

تأليف

ماريا بيرس

جنيفيف لاندو

إعـــداد

الدكتور

عبد الرحمن سيد سليمان

قسم الصحة النفسية

كلية التربية جامعة عين شمس

الدكتورة

شيخة يوسف الدربستي

قسم الاقتصاد المنزلي

جامعة قطر كلية التربية

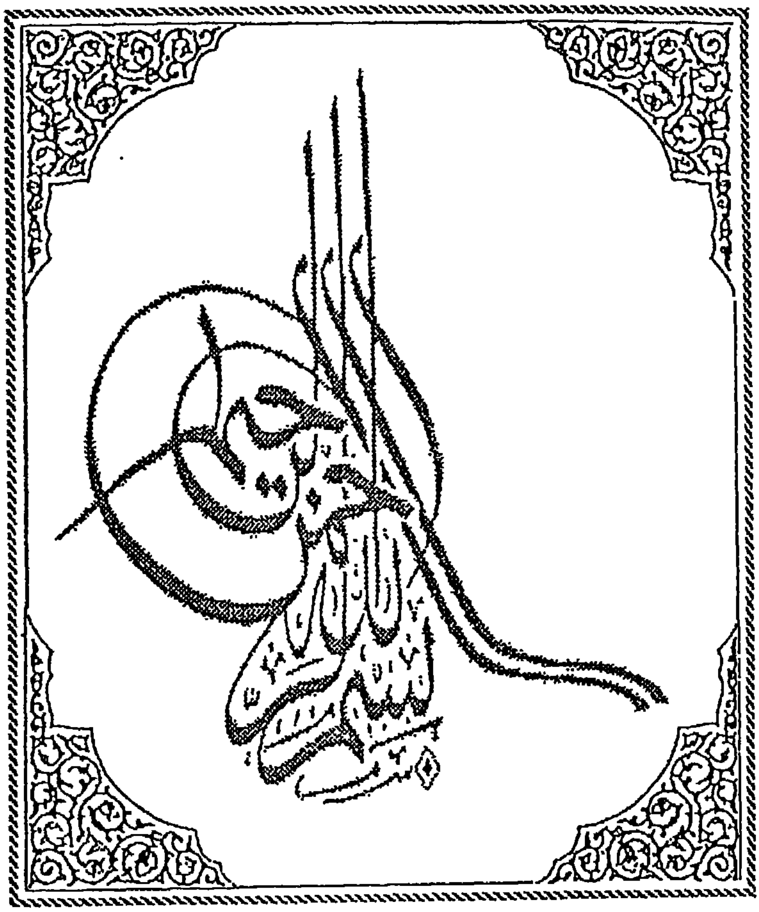
الناشر

مكتبة زهراء الشرق

١١٦ شارع محمد فريد ـ القاهرة

تليفون: ٣٩٢٩١٩٢

فاكس: ٣٩٣٣٩٠٩



إهـــداء

إلى الأطفال ...... !
أجيال الغدْ
الأمل ... والوعدْ...

العنوان الأصلي للكتاب :

" The Gift of play, and why Young Children Cannot Thrive Without it "

(هبة اللعب : لماذا لايستطيع الأطفال أن ينمو بدونه)

تأليف

Maria W. Piers and Genevieve M. Landou
ماريا بيرس وجنفيف لاندو

(1980) Walker Publishing Compony, Inc, New York

محتويات الكتاب

بين يدي الكتاب

اللعب هو لغة الطفل الرمزية للتعبير عن الذات ، فمن خلال تعامله مع اللُعَبْ يمكن أن نفهم عنه الكثير. فالطفل يكشف عن نفسه أثناء اللعب أكثر مما يعبر بالكلمات ، فهو يكشف عن مشاعره بالنسبة لنفسه وبالنسبة للأشخاص المهمين في حياته ، والاحداث التي مرت به ، بحيث نستطيع القول أن اللعب هو حديث الطفل واللعب هي كلماته.

إن سلوك الطفل أثناء اللعب يعطي فكرة عن مدى ثقته بنفسه ، وطريقته في استخدام أدوات اللعب يمكن أن تبين قدرته على التعبير عن إنفعالاته ، ومن الشكل الذي يرسمه يمكن معرفة حاجاته الأساسية في البحث عن الحب أو العدوان ، ومن الاشكال التي يشيدها أو يبنيها يمكن أن نفهم شيئاً عن المشكلة التي يعاني منها وخاصة إذا ماحكى لنا قصة عن هذا الشكل.

واللعب نشاط يحبه الأطفال ويميلون إليه ، بل ويمارسونه نشاطاً مسيطراً طوال مراحل نموهم منذ الولادة سواء كانت هذه الممارسة تلقائية أو موجهة. ولقد أظهرت الدراسات الحديثة حول نمو الأطفال وتطورهم أن استخدام الطفل لحواسه المختلفة هو مفتاح التعلم وبدون هذا الاستخدام يعاق التعلم والنمو. واعتبر الباحثون في مجال النمو أن اللعب أفضل وسط قادر على إتاحة فرص استخدام الحواس والعقل بصورة بناءة ومربية. وكما يشير الكثيرون من الباحثين والكتاب والمهتمين بدراسة نمو الطفل أنه من خلال اللعب ، يكتشف الطفل بيئته ويتعرف على عناصرها ومثيراتها المتنوعة والمختلفة ، ونتعلم عن ذاته فيعرف من هو ، ماهو مركزه وموقعه ، ويتعلم أدواره وأدوار الذين يحيطون به من الكبار والأقارب. ومن خلال

ممارسته لألوان اللعب المختلفة وتفاعله مع مواده وأدواته يتعلم ثقافة مجتمعه وقيمه ويطور قدراته ومهارات التفكير المختلفة التي يحتاجها في رحلته على طريق النمو ، كما يكتسب اللغة ، مفردات ومصطلحات وعبارات وُجملاً ، واللغة أداة أساسية وهامة من أدوات التفاعل والتواصل مع العناصر البشرية في البيئة.

وإذا حاولنا أن نعدد السمات المميزة لنشاط اللعب – الذي يرى فيه البعض أنه مهنة الطفل – فإننا نجد صعوبة في حصرها وحسبنا الإشارة إلى بعضها على النحو التالي :

- اللعب من حيث كونه نشاط معناه أنه نوع من السلوك الحر فلا يمكن اجبار الأطفال على أن يلعبوا.
- اللعب سلوك يشتمل دائماً على المتعة والبهجة والتسلية بالنسبة للذين يمارسونه
- اللعب . قد يظهر في صور وأشكال مختلفة فقد يكون فردياً في مرحلة جماعياً في مرحلة أخرى.. وهكذا.
- اللعب سلوك يتضمن استخداماً للطاقات الحركية والعقلية للطفل.
- اللعب سلوك يتميز بالسرعة وخفة الحركة وذلك قد يرجع إلى كونه نشاط تلقائي لا قسر فيه.
- والأطفال حين يلعبون قد يكلون (يتعبون) لكنهم لايملون (لايسأمون) ، وهذا نراه واضحاً في سلوك اللعب لدى بعض الأطفال حين ينامون إلى جوار لعبهم ويواصلون اللعب حال استيقاظهم.
- واللعب هو الحياة ، لأنه مطلب من مطالب النمو وحاجة من حاجاته. وسلوك اللعب ليس من الأمور الطارئة التي يمكن الاستغناء عنها.

والكتاب الذي بين يديك الآن – عزيزي القارىء – اشترك في تأليفه إثنان من العاملين في مجال النمو والمعنيين بدراسة العلاقة بين اللعب كنشاط مرح ونمو الطفل ، وهما ممن لهما مكانتهما العلمية في هذا الصدد. فالأولى " ماريا بيرس " Maria W. Piers كانت لسنوات عديدة مضت وحتى الآن (١٩٨٠) رئيساً وأستاذاً للخدمات النفسية المتميزة بمعهد إريكسون لتربية الطفل بشيكاغو ، وهي معروفة على المستوى الدولي كخبيرة في مجال نمو وتطور الطفل. ولها كتابات عديدة منشورة تتضمن تناولاً لعلاقة التطور والنمو بنشاط اللعب ، وكتابات تتناول وفيات الأطفال ، وعواقب الإهمال بالإشتراك مع الدكتور "روبرت كولز" Robert Coles.

والثانية جنيفيف ميليت لاندو Genevieve Millet Landou مؤلفة ، ومحررة أولى في مجلة الوالدين ، وهي تعمل الآن (١٩٨٠) مديرة لمركز هاسبرو لنمو وتربية الطفل Hasbro Center for Child Development and Education وهو مركز لإنتاج البرامج والأدوات ذات الصلة بنمو الطفل والحياة الأسرية على نحو خاص. وهي – في ذات الوقت – محررة رئيسة في برنامج إذاعي عن " الوالدية الموجبة " وهو برنامج يستغرق نصف ساعة أسبوعياً وتنشر مادته العلمية في عدة صحف ومجلات عالمية في وقت واحد.

والمتصفح لهذا الكتاب – في طبعته الأجنبية – يجده مقسماً إلى خمسة فصول أساسية كل منها يتناول موضوعاً رئيساً يمهد له بمقدمة ثم يشار إلى موضوعاته الفرعية في داخل الفصل بفقرات تنتمي إلى موضوعه الرئيسي وذلك على النحو الآتي :

الفصل الأول : نظرة إلى اللعب على أنه سبيل ضروري وحيوي للنمو من حيث الإشارة إلى إخفاق الراشدين عادة في تقدير قيمة اللعب إذ لايزال البعض منهم يعتبره " مضيعة للوقت " ، ثم حديث عن الدور البيولوجي

للعب ، الألعاب الأولية للأطفال ، وكون اللعب حياة أو تعبير عنها ، ومن ثم يتعين القول أن الحرمان منه يعيق النمو ، وفقرة تشير إلى اللعب الاستكشافي وكيف يستطلع طفل العامين بيئته المنزلية المحدودة ، وكيف يبدأ التفكير المنطقي - إن جاز استخدام هذا التعبير - في هذه السن المبكرة، وكيف أن اللعب له تأثير في الشفاء من بعض الاضطرابات ، واستخدام فنية أو أسلوب قلب الأدوار في سياق اللعب ، وكيف يمكن من خلال اللعب إحياء بعض الخبرات المؤلمة تمهيداً للتخلص منها بشكل نهائي ، ثم إشارة إلى أحد أنواع العلاج باللعب وهو العلاج النفسي المهني، وكيف يمكن إعداد الطفل للمدرسة وعلاقة اللعب بكل من أساليب حل المشكلات، وتعلم اللغة .. وختاماً بالإشارة إلى حاجة الأطفال إلى التوقعية.

والفصل الثاني : يتناول دنيا اللعب الواسعة أو العالم الرحب الواسع الذي يهيئه اللعب للطفل من خلال تنمية شعوره بذاته والإشارة إلى بعض أنماط اللعب كاللعب الخفي ، واللعب المنفرد ، والجماعي. وأنه في سياق اللعب يتاح للطفل القيام بأدوار البالغين ، وأن اللعب هو الوسيط الملائم لبداية الصداقة بين الأقران ، وحديث عن الحيوانات الأليفة كزملاء لعب وأنها تقوم بدور صمام الأمان لمشاعر الأطفال وأحاسيسهم ثم يُختتم الفصل بالإشارة إلى اللعب لدى الأطفال المعاقين وكيف يعمل اللعب على مساعدة هذه الفئة الخاصة من فئات الأطفال.

والفصل الثالث : يتعرض لمدرسة الحضانة ، وتشير المؤلفتان فيه إلى قضية هامة وهي المعادلة التي يتعين وضعها في الاعتبار تحت عنوان اللعب في مقابل الدروس في الحصص المدرسية وما أشارت إليه البحوث والدراسات في هذا الصدد ، ثم تقدم المؤلفتان ثلاثة مفاتيح لإعداد الطفل لدخول مدرسة الحضانة ، وكيف أن الرعاية في هذه المدرسة أمر ضروري وحيوي ، ومن ثم كيف نختار مدرسة الحضانة الملائمة ويُختتم الفصل بحديث عن قلق

الإنفصال كأحد صور القلق التي قد تنتاب بعض الأطفال في مرحلة ماقبل المدرسة وماهي الظروف التي قد يضطر أمامها الآباء والأمهات إلى إرجاء الحاق أطفالهم بمدرسة الحضانة.

والفصل الرابع : تتناول فيه المؤلفتان أحد أبرز الأنشطة العنيفة من لدن بعض الأطفال ونعني به اللعب العدواني ومن ثم تناقش المؤلفتان الأسباب الدافعة إلى السلوك العدواني ، وماذا يفعل الآباء والأمهات إزاءها ، وتميزان بين العدوان والاتجاهات العدائية (الكراهية) ، وتقدمان لنا بعض القنوات الآمنة التي يمكن من خلالها للأطفال التنفيس عن بعض عدوانيتهم. وتستعرضان صور من العنف ممثلة في اللعب العنيف المزعج للوالدين ، ثم التشاجر بين الأقران . وبين الأخوة والأخوات ، وتشيران إلى أن العدوان أحياناً ما يتحول إلى داخل الطفل فيؤذي نفسه ويضر ذاته ، وتختتمان الفصل بحديث عن استكشاف الطفل في هذه المرحلة الباكرة لأعضائه التناسلية ولعبة الطبيب كإحدى صور اللعب الجنسي ، وماقد نلاحظه على أطفال هذه المرحلة من أحلام اليقظة والتخييل إبان استغراقهما في النشاط اللعبي.

والفصل الخامس : تتعرض فيه المؤلفتان إلى الحديث عن التليفزيون وتصفانه بأن المتطفل ذو الأثر الخطير وتقيمان أثر تكرار تعرض الأطفال لمشاهد العنف – فيه – وتعددان المخاطر الحقيقية لهذا الجهاز وتشيران إلى أن اللعب الحقيقي هو اللعب الذي يبذل فيه الأطفال جهداً ولذلك يمكن القول أن التليفزيون يقتطع جزءاً لايستهان به من وقت اللعب الحقيقي والنشط للأطفال. ولايفوت المؤلفتان أن تذكرا بعض صور وأشكال الخلل في التليفزيون التربوي وتختتمان الفصل بحديث عن كيفية التغلب على أخطار التليفزيون وكيفية العودة مراراً وتكراراً إلى عالم اللعب.

وقد رأى معربا الكتاب أهمية أن يكتبا فصلاً تمهيداً قبل عرض فصول الكتاب الأصلية وهو فصل يدور حول اللعب لكن من منظور نمائي أي من خلال تتبع صور واشكال اللعب في مراحل ثلاثة هي سن العامين الأولين ، فالطفولة المبكرة ، فالطفولة الوسطى – وهي المراحل الثلاث التي لم يتجاوزها مؤلفتا الكتاب في حديثهما عن اللعب – كما راعى المعربان في هذه الطبعة العربية للكتاب أن يضيفا العديد من الهوامش كلما تطلب الأمر ذلك، زيادة في توضيح معنى معين ، أو إضافة للمزيد من الاضواء والمعلومات بالنسبة لأحد المفاهيم التي استخدمها الكتاب ... وما إلى ذلك.

وإننا لنرجو أن نكون قد وفقنا في اختيار الكتاب وفي نقله إلى لغتنا العربية ، آملين أن يسد ثغرة في مكتبتنا النفسية وأن يكون هو وكتب أخرى ألفها أو عربها زملاء مخلصون في نفس الحقل الأكاديمي علم ينتفع به والله ولي التوفيق ،

د. عبد الرحمن سيد سليمان
د. شيخة يوسف الدربستي
كلية التربية – جامعة قطر

مقدمة المؤلفتين

مانعده لعباً ومانعده غير ذلك

INTRODUCTION : WHAT PLAY IS AND WHAT IT ISN'T

في المؤتمر الدولي الأول عن اللعب ، والذي شارك في إدارتـه مؤلفـتي هـذا الكتـاب العـام المـاضي* (١٩٧٩) ، قدمتـا بعـض الاسـتنتاجات مـن الخبرات عن النمو لدى الطفل من خلال الدور الحيوي الذي يقوم به اللعب في التعلم، النمو، والاستمرار في البقاء.

تقول المؤلفتان لقد قال لنا أحد المربين من الذين حضروا هذا المؤتمـر معلقاً على موضوعه وجلساته " أنـا لازلـت لا أعـرف مـاهو اللعـب ، لكـن مهما كان معناه فأنا على أية حال أحب اللعب " ولقد كـان لدينـا بـالفعل نفس الشعور ، مثلما كان نفس الشعور عند هذا المربي ولفيـف مـن الخـبراء ممن أتيح لهم حضور مؤتمرنا ، ذلك أننا لم نستطع أن نـرد عليهـم بشـكل دقيق ولو إلى حد ما عن سؤالهم ماذا يعني اللعب – ولكننا نسـتطيع القـول في ذات الوقت أنه لا واحد – حتى الآن – من الباحثين في هذا المجال قام بصياغة تعريف محدد للعب ، وبصفة خاصة لعب الأطفال. والـذي يمكـن القول عنه أنه تعريف يتضمن كل شـيء عـن اللعـب ويسـتبعد أي شـيء لا علاقة له به. وربما كان هذا راجعاً إلى أن اللعب هو عالم الطفـل الحقيقـي. ومن الناحية العملية نجد أن اللعب يصبغ كل أنشطة الطفل بصفات ممـيزة أو غالبة خاصة جداً بعالم الطفل.

---

* صدر هذا الكتاب في طبعته الأولى عام (١٩٨٠).

وفي محاولاتهم لتحديد لعب الطفل ووضع تعريف محدد له ، غالباً مايرى المربون أن اللعب هو مهنة (عمل) الطفل Play is the Child's work .. لكن هذا الوصف ، لسوء الحظ ، قاد بعض الآباء والأمهات ، والمدرسين، إلى تقدير قيمة واحدة فقط ، هي أن اللعب الذي يبدو من وجهة نظرهم على درجة عالية من الجدية الحقيقية – هو بطبيعة الحال اللعب الذي يهدف إلى المعرفة وإلى الترفيه معاً. وأما التفكير في اللعب على أنه مهنة الطفل وعمله ، فإن الذين يقدرون قيمته على هذا النحو يميلون إلى تقدير قيمة اللعب على أساس المدى الذي يستطيعون عنده تشكيله واستخدامه كأداة في تعليم صغار الأطفال الفضائل في حياة الراشدين والكبار– كالعمل الجاد ، المثابرة ، التعقل والنظر في عواقب الأمور ، وأخيراً الطموح.

ولكن هذا النوع من اللعب الموجه من قبل الكبار نادراً مايماثل اللعب الحقيقي لدى الأطفال أو يتطابق معه. فلعب الطفل الحقيقي يتميز على نحو واسع بأنه ذاتي الدافعية ، ذاتي التصميم ، وغالبا مايبدو بالنسبة للكبار على أنه لايسعى نحو تحقيق هدف جاد على الإطلاق.

ومؤلفتا هذا الكتاب ربما يميلان إلى التفكير في عالم أو دنيا اللعب لدى الطفل لا على أنها دنيا العمل لدى الراشدين الكبار ، لكن المؤلفتين ينظران إلى دنيا اللعب لدى الطفل على أنها شيء ما اكبر من مماثلته التمثيل المسرحي المتكلف Theatrical play. فكما أن الكاتب المسرحي The Dramatist يقدم المادة الخام التي ينوي من خلالها إلقاء الضوء على حياة المشاهدين ، فهكذا يفعل الطفل ، فالمؤلف لديه هو اللعب الذي يلعبه ، ومن خلاله ينوي إلقاء الضوء على أحداث عوالمه الداخلية والخارجية. إن لعب الطفل مثله مثل التمثيل المسرحي،ترميزي – ولذلك هو المفتاح لفهم – حالة الإنسان.

وعلى الرغم من أننا لن نحاول أن نحدد أو نعرف اللعب في جملة واحدة أو في فقرة واحدة في هذا الكتاب ، إلا أننا سوف نحاول أن نصف اللعب بشكل كلي كعالم الطفل الصغير ، وسوف نوضح لماذا هو من الأهمية بمكان كبير أو لماذا يعد اللعب أهم الأشياء التي يقوم بها الطفل الصغير على الإطلاق ، وأنه شيء لايستطيع الأطفال إلا أن يقوموا به.

المؤلفتان

فصل تمهيدي

اللعب من منظور نمائي *

إن جميع الناس سواء كانوا صغاراً أم كباراً يلعبون ، وهم أيضاً يعرفون أن اللعب متعة.. ويعتبر الكبار اللعب – على النقيض من العمل – شيئاً ليسوا مضطرين إلى القيام به ، بل يحبون أن يقوموا به. كذلك فإن الأطفال يلعبون عندما لايكون هناك أي شيء آخر ينشغلون به ، أي عندما يكونون مرتاحين من الناحيتين الجسمية والنفسية .. على أن لعب الأطفال هو أكثر من مجرد ترويح. بل هو يساعد على نمو الطفل في جميع النواحي: فهو يسمح باستكشاف الأشياء والعلاقات بين الاشياء ، وهو يسمح له بالتدريب على الأدوار الاجتماعية ، وهو إلى جانب ذلك يخلصه من إنفعالاته السلبية ومن صراعاته وتوتره ويساعده على إعادة التوافق ، كل ذلك دون ما مخاطرة أو تعرض لنتائج ضارة.

وكما أن النمو يسير في مراحل معينة كذلك فإن اللعب ، باعتباره متصلاً اتصالاً وثيقاً بالنمو ، يسير أيضاً في مراحل معينة. فالأشياء التي تثير اهتمام الطفل في الثانية من عمره تختلف عن تلك التي تثير اهتمام طفل السادسة. وعلى هذا يمكن النظر إلى اللعب من منظور نمائي نتعرف من خلاله على المراحل التي يمر بها نمو اللعب عند الطفل وذلك على النحو التالي :

---

* هذا الفصل التمهيدي من إعداد المترجمين.

- **اللعب في سن العامين :**

يمكن القـول بصفـة عامـة أن لعـب الأطفـال الحـر التلقـائي في هـذه المرحلة يتميز بأنـه تنقصـه القواعـد والتنظيـم وأنـه فـردي وليـس جمـاعي. ويشتق الطفل في بداية الأمر متعة من استثارة أعضـاء الحـس ومـن اللعـب بأطرافه. وعلى ذلك نجد أن الطفل في سن ثلاثـة شـهور تنمـو قدرتـه علـى التحكم في يديه بدرجة تمكنه من اللعب باللُعَبْ. وفي هذه السن أيضاً يشتق متعة من الإنقلاب من الظهـر إلى أحـد الجـانبين ، ومـن الضـرب برجليـه والارتداد إلى الوضع الأول ، ومـن الإهـتزاز ولمـس أصـابع قدميـه وملاحظـة حركة أصابعه.

وفيما بين سن خمسة إلى ثمانية شهور من العمر يصبح اللعـب أقـل عشوائية ، ويتكون من لعب الطفل في أصابع قدميه والاهتزاز والتلـوي وهـز رأسه وجذب جسمه لوضع الوقوف واللعب في حركات متناسـقة ، ويتكـون لعب الطفل في الربع الأخير من العام الأول مـن الدفـع بـالرجلين والاهـتزاز والميل على مسند الكرسي ، والدوران حول نفسه واللعب في أصـابع قدميـه والزحف حتى مكان اللعبة ، وجذب نفسه إلى وضع الجلـوس والوقـوف ، والتسلق وتحريك الأثاث ونفخ الهواء بفمه.

ولقد لاحظ أحد * الباحثين طفلاً له طوال السنة الأولى من عمـره ، فوجد أنه كان يهوى من الشهر الرابع من عمره اللعب بالحلق الـذي يتـدلى من أذن أمه أو العقد الذي كان حول عنقها ، كما كان يهوى اللعب بـأزرة الرداء الذي ترتديه ، ويجد متعة في جذب قدمه إلى فمه وهو منفرد ليلعـب بهـا. ولـما بدأ في تعلم المشي كانت له دُمية من الكاوتشوك إذا ضغط عليها

---

* سعد جلال (١٩٨٥) الطفولة والمراهقة (ط٢) ، القاهرة : دار الفكر العربي ، ص ١٩٤.

أخرجت صفيراً. فكان يتلذذ من قدرته على إخراج هذا الصوت من الدمية. وكان في باكورة السنة الثانية يهوى بعثرة محتويات كل علبة تقع عليها يده. وجذب كتب والده من على أرففها. وسحب كل ماتقع عليه يده على أي مائدة يمكنه بلوغها.

ولما كان عمره ثمانية عشر شهراً كان لايجلس مستقراً في مكان واحد. إذ يهوى الصعود والنزول على المقاعد والأرائك. ويصعد على السرير وينزل من عليه أكثر من عشرين مرة في الخمس دقائق ، وكلما صعد أو نزل صفق لنفسه وقال " آفو " أي " برافو " وطالب الموجودين بالتصفيق له وتشجيعه بلفظة " برافو " ، كما أنه كان يهوى اللعب في الرمل وأسعد لحظاته إذا جلس على الشاطىء يملأ أوانيه الصغيرة بالرمل وخاصة إذا شاركه أحد الكبار في لعبه. وكثيراً ماسبب لوالده الإجهاد من مشاركته له في لعبة الاستخفاء التي يبذل فيها جهداً يعي والده ولايعييه.

وهناك من يرى أن بعض ضروب معينة من اللعب تكون شائعة بين الأطفال قبل نهاية السنة الأولى من أعمارهم. إذ يذكر جيزل على سبيل المثال – أن اللعبة المعروفة بلعبة الـ " Peak - a - boa " (أو مايطلق عليها أحياناً لعبة أراك مختبئاً هناك) المحببة لدى الأطفال يمارسها حوالي ٥٠٪ من الأطفال في الشهر التاسع من العمر. وبطبيعة الحال يمكن القول أن هناك نمط من اللعب يحدث كثيراً بين الطفل وأمه أو بين الطفل وأبيه لأنهما الشخصان المحببان إليه ، ولكن سرعان مايتعدى هذا اللعب حدود الأسرة والوالدين ويتناول أفراداً آخرين إن كانوا معروفين عند الطفل مألوفين لديه. ويضرب أحد الباحثين * مثالاً على ذلك فيقول " لذلك فإن الطفل (ب) البالغ من العمر عشرة أشهر كان يرمي بقطع السكر والحلوى

* شارلس.و.فالنتين (تأليف) عبد العلي الجسماني (ترجمة) (١٩٩٤): الطفل السوي وبعض إنحرافاته ، مقدمة عامة في سيكولوجية الطفولة ، بيروت : الدار العربية للعلوم ، ص ٤٧.

على أرض الغرفة فتتناولها الآنسة (ل) ، وكـان يفعل ذلك بإستمرار إلى مايقرب من الخمسين مرة ، وهو يضحك دونما إنقطاع. ، والآنسة (ل) هذه كانت زائرة للدار لم يمض على زيارتها أكثر من أسابيع قلائل حتى ألفها الطفل (ب).

وأيا ما كان الأمر ، فإن هذه البوادر أو البدايات من اللعب الاجتماعي إنما تعتمد في الغالب على تعاون الكبار مع الطفل في ممارسة عمل يشيع في نفسه السرور والغبطة ، أما إذا كان الصغار وحدهم فإن الحال تختلف عن ذلك ، وقد يحدث أحياناً أن يظهر الصغير في سنته الأولى شيئاً من البهجة لدى رؤيته طفلاً آخر. لكن إحدى الباحثات (ماري شارلي) قد وجدت في دراسة أجرتها على خمس وعشرين طفلاً ، أنه حينما يوضع طفلان غريبان يبلغان الشهر العاشر من العمر في مكان واحد للعب ، قلما يبدي أحدهما إهتماماً بالآخر ، ولو أنهما قد يتنازعان ملكية دمية لدى أحدهما أو بالقرب منهما. وكذلك وجدت " ك.برجز" أن الأطفال البالغين من العمر عامين ، والذين يؤتي بهم حديثاً إلى مدارس الحضانة لايعير الواحد منهم أي إهتمام للآخرين بادىء ذي بدء ، ولكن بعد مرور شهر أو نحواً من ذلك تظهر بدايات اللعب الاجتماعي بينهم جلية واضحة. ووجد باحث آخر هو " بلاتز " في دراسة أجراها على (١٠٠) مائة من الأطفال أن ١٠٪ منهم ممن بلغوا العام الثاني من العمر قد شاركوا بعضهم البعض مشاركة فعالة.

هذا وقد أشار الكثيرون من علماء النفس في مجال النمو إلى شواهد عديدة جمعوها من ملاحظاتهم على الألعاب الخيالية التي يقوم بها أطفالهم خلال سنة وستة أشهر أو سنتين من أعمارهم ، من هذه الملاحظات مايشير إلى أن البنت التي لها من العمر سنة وستة أشهر قد تطعم دميتها غذاءً

وهمياً ، وقد تعد بنت أخرى تبلغ من العمر سنة وأربعة أشهر أثاث بيت الدمية التي تمتلكها.

ويروى أحد الباحثين * أن ابنته الصغيرة (ي) راحت تغذي الدمي التي بين يديها بطعامٍ وهمي بصورة مبكرة جداً حينما بلغت السنة الأولى من عمرها وراحت تصب الشاي الوهمي في أقداح الدمية وتحليه بسكر من صنع خيالها قبيل إتمامها لسن العامين. ويعد هذا اللعب التمثيلي ، وفقاً لوجهة نظر جيزل ، ذو أهمية بالغة ، إذ أنه يعتبر علامة من علامات النمو العقلي.

والخلاصة أنه في خلال العام الثاني من حياة الطفل يصبح اللعب أكثر تنظيماً. كما تستخدم اللعب في عدة أنواع من نشاط اللعب. ففي سن خمسة عشر شهراً يلعب الطفل بالأشياء ، يلتقطها ثم يقذف بها ثم يلتقطها ثانية وهكذا لفترة طويلة. ونظراً لضعب التناسق العضلي في هذه الفترة كثيراً مايحدث أن يدمر لعبة أثناء لعبه بها ، أو أثناء إستكشافه للأشياء المحيطة به ، فهو لايقصد أن يحطم قلادة أمسك بها ، كما أنه لايدرك أنه جذب ذيل حيوان يقف بجواره. وعندما يصل إلى الشهر الثامن عشر فإنه يجذب اللعب ويحمل أو يعانق الدمية أو الحيوان ويقلد نشاط الكبار كقراءة الصحف والكتب ويشترك بحيوية في أي نشاط يدور حوله. وهو مازال حتى هذه السن فردياً في لعبه ، ودوره في وجود أطفال آخرين هو دور المتفرج. وفي النصف الثاني من العام الثاني يصبح مهتماً بالدمي فيأخذها بين يديه ويربت عليها ويقبلها ، كما يميل إلى الحيوانات الأليفة ويقوم بإدخال الأشياء في بعضها البعض ثم يفصلها عن بعضها، كما ينقل المكعبات من مكانها ليضعها في العربات أكثر من قيامه ببناء شيء بها ،

---

* شارلس.و.فالنتين (١٩٩٤) المرجع السابق ، ص ٤٨.

ويرسم خطوطاً عشوائية بالطباشير. كما يقلد أعمال البالغين ممن حوله. وعندما يوجد مع أطفال آخرين فإنه لايلعب معهم ولكنه يجاريهم في لعبهم ويوجد قليل جداً من الأخذ والعطاء الإجتماعي ولكن يوجد كثيراً من الاستيلاء والخطف للعب الآخرين.

وهكذا يمكن القول أن أساليب اللعب لدى الأطفال تتطور بشكل جذري مابين سن الأثنى عشر شهراً والرابعة والعشرين شهراً ، فاللعب الذي كان قوامه التعرف على الأشياء واستكشاف خصائصها الطبيعية ، يقل بشكل واضح ويحل محله نوعان آخران من اللعب. النوع الأول هو ذلك الذي يقرن فيه الطفل الأشياء بعضها ببعض (مثل وضع ملعقة في كوب مثلاً أو فنجان ، أو عمل كومة من المكعبات) وفي هذا النوع من اللعب يصبح الطفل تدريجياً أكثر تنظيماً كما أنه يستطيع أن يقوم بتركيبات أكثر تعقيداً ذلك أن الطفل قد يحول إنتباهه من مجرد العلاقات المكانية البسيطة (مثل وضع المكعبات فوق بعضها البعض) ، إلى العلاقات التي تنتج عدداً من الصفوف أو عدداً من الاكوام ، أو تلك التي تفصل نوعاً من الأشياء عن نوع آخر. مثل هذا اللعب ينم عن معرفة الطفل بطبائع الأشياء واستخدامه لهذه المعرفة.

أما النوع الثاني من اللعب فهو اللعب الإدعائي أو الإيهامي. ففي الشهر التاسع عشر من العمر مثلاً – يمكن أن يتظاهر الطفل بأنه يطعم دميته ، أو أنه نائم بأن يغمض عينيه أو أنه يشرب من كوب فارغ وهكذا.

• لُعَبْ الأطفال في سن ماقبل المدرسة :

يحتاج أطفال ماقبل المدرسة إلى من يساعدهم على التمثيل الدرامي مثل الدمي والعرائس وملابسها ، وكذلك إلى مواد تتيح لهم الفرصة لمارسة الفنون الابتكارية مثل الألوان وخامات التشكيل الفني وآلات الباند الموسيقية وأجهزة التسجيل للغناء والرقص الإيقاعي.

بالإضافة إلى ذلك ، يقبل أطفال هذه المرحلة على الدراجات ذات الثلاث عجلات وعربات الجر ، ولهذه اللعب دورها في تنمية العضلات الكبيرة. كما يظهر الأطفال إهتمامهم بالبيئة وبالأعمال التي يمارسها الكبار من حولهم من خلال اللعب بأدوات التنظيف (المكنسة والجاروف والفوطة والجردل).

وتلعب اللعب الحديثة مثل الكومبيوتر وأشرطة الفيديو دوراً هاماً في تنمية مفاهيم الطفل وقدراته اللغوية والرياضية وتوفر الفرص لتنمية الإبتكارية. ولكل نوع من اللعب أدواته وتجهيزاته الخاصة به. وليس من الضروري أن تكون اللعب تجارية جاهزة وباهظة الثمن. فإذا لم يكن بالإمكان ، على سبيل المثال ، شراء حوض ماء مصمم خصيصاً لأطفال الروضة لنقص في الإمكانات ، يمكن تزويد الأطفال بأواني بلاستيك تملأ بالماء ويتم اللعب بها على مفارش بلاستيكية على طاولات منخفضة. ويمكن استخدام نفس الأواني للعب بالرمل أو بالحبوب وغيرها من المواد ، كما يمكن بتكلفة بسيطة تصنيع طاولة حول أحواض البلاستيك بألواح لايزيد سمكها عن (٥سم). ويمكن لمعلمة الروضة أن تستعين بأفكار أولياء الأمور وإسهاماتهم في هذا المجال.

ويحتاج اللعب بالماء إلى مرايل بلاستيك وإلى ملابس جافة إحتياطية وإلى مجموعة أدوات اللعب بلاستيكية مثل الأواني الصغيرة بأشكال وأحجام وألوان مختلفة وأقماع ومراكب وجرادل صغيرة جميعها من البلاستيك ، بالإضافة إلى الفوط الصغيرة للتنظيف بعد الإنتهاء من اللعب وبعض المواد التي يمكن إستخدامها تحت إشراف المُعلمة مثل الصابون السائل لعمل فقاعات والألوان الصناعية.

وهناك اللعب بالبلوكات التي يقبل عليها الأطفال بشكل ملحوظ بحيث أصبحت من مواد اللعب الاساسية في جميع برامج الطفولة المبكرة. وقد صمم " فروبل " كتلاً من الخشب الزان ليلعب بها الأطفال ، وكذلك فعلت " منتسوري " وتوجد البلوكات اليوم بأشكال وأحجام مختلفة بعضها مصنوع من الخشب والبعض الآخر من البلاستيك ، وينسب إلى " كارولين برات " Caroline Pratt التي عاشت في الثلث الآخير من القرن التاسع عشر والنصف الأخير من القرن العشرين ، تصميم وحدة أساسية لنظام البلوكات مقاساتها : طول ١/٢ ٥ بوصة ، ٣/٤ ٢ بوصة ، وارتفاع ٣/٨ ١ بوصة. ويلاحظ أن البلوكات التي تصمم للعب الأطفال في الحضانة والروضة تأتي بنسب مطابقة لهذه المقاسات أو مضاعفاتها. ويوجد مايقرب من (٢٥) خمس وعشرين شكلاً وحجماً من هذه الوحدة الاساسية للبلوكات.

ويخدم اللعب بالبلوكات عدة أغراض منها تنمية التعبير الإبداعي والجمالي وتنمية مفاهيم تتصل بالألوان والأشكال والأحجام ومهارات التصنيف والمطابقة والقياس والتوازن وإدراك العلاقات المكانية والسعة وجميعها مفاهيم ومهارات تهيء الطفل للتعليم الأساسي. هذا بالإضافة إلى مايمنحه اللعب بالبلوكات من إحساس بالقدرة والإنجاز والكفاءة الإجتماعية ويعود الطفل التخطيط للعمل والاستمرار فيه للنهاية.

ويحتاج الأطفال في هذه المرحلة من مراحل النمـو إلى أدوات اللعـب في الهواء الطلق مثل الحبال والأطواق والكرات وأكياس الرمل أو الحبوب ، وإلى المضارب ، وإلى براميل مفرغة تكون بمثابة أنفاق يسير داخلهـا الطفـل على أطرافه الأربعة ، وإلى أجهزة تسـلق وتزحلـق وتعلـق وتـوازن وأرجحـة وإلى مراتـب مـن الإسـفنج وغيرهـا مـن اللعـب الـتي تنمـي قـدرات الطفـل ومهاراتـه الحركيـة ، إلى جـانب ماتحققـه مـن متعـة وفـرص للتفـاعل الاجتماعي وتنمية مفاهيم عقلية. وليس من الضروري أن تكون هـذه اللعـب جاهزة الصنع مرتفعة التكاليف إذ بالإمكـان اسـتخدام المخلفـات في البيئـة مثل إطارات السيارات والبراميل الفارغة وعمل كرات من قصاصات القماش واكياس من الرمل أو الحبوب واستخدام شجرة كبيرة للتسلق أو لبناء بيت دمية على أحد فروعها القوية الثابتة.

وفيما يلي إشارة إلى تطور اللعب في سنوات ماقبل المدرسة :

في سـن الثالثـة تسـتطيع الأم في أثنـاء اللعـب أن تشـارك الطفــل في الأنشطة الحركية التي تشعره باللذه وتتيح مزيداً من النضج وقدراً من المهارة وتولد لديه الرغبة في الإنجاز والعمل. وأيضاً يمكــن لـلأم أن تسـاعد الطفـل علـى الإنجـاز وعلـى الاحسـاس بالنجـاح مسـتغلة حبـه للحركـة واللعــب وحاجته للنشاط فتدفعه إلىالتمثيـل الحـر التلقـائي الـذي يمـيز هـذا السـن ويستطيع الطفل أن يقـوم ببعـض التدريبـات البدنيـة المختلفـة الـتي كثـيراً مايجد الطفل فيها لـذة كبـيرة وتسـلية عظيمـة. ومـن هـذا كـانت الحاجـة للنشاط والحركة واللعب تعتبر من الحاجات العضوية الهامــة الـتي تسـاعد على النمو الجسمي للطفل وتؤدي إلى إشباع حاجات أخرى ترتبـط بـاللعب والحركة والنشاط المختلف مثـل الحاجـة إلى البحـث والمعرفـة والاسـتطلاع والحاجة إلى الإنجاز والنجاح وبناء الشخصية التي تتميز بالمشاركة والمبـادأة والإقدام.

ويرى " أركين " Arkin ضرورة العناية بمختلف الأدوات والمواد والأشياء التي يلعب بها الطفل نظراً إلى أنه يعتبر تلك الأدوات زميلاً للطفل يشاركه لعبه ولهوه. وقد اثبتت التجارب التي قام بها "فوكتشان " Woktschan أن حوالي ٧٠٪ من أطفال سن الثالثة يفضلون الألعاب الفردية أو الألعاب التي يشترك فيها الطفل مع الأطفال الآخرين بحيث لايستغرق ذلك وقتاً طويلا.

أما بحوث " أوسوفا " Usowa فقد أثبتت أن مجموعات اللعب في هذه المرحلة تتميز بالصغر (حوالي من ٢-٣ أطفال) كما أن مدة اللعب لاتزيد غالباً عن ٣-٥ دقائق.

أما الأطفال في سن الرابعة فكثيراً مانجدهم يفضلون العاب الأدوار كما يزداد عدد الأطفال المشتركين في اللعبة الواحدة. وتبدأ تلك الألعاب عادة بتوزيع الأدوار وتظهر عندئذ الصراعات المختلفة بين الأطفال على اختيار الأدوار المحببة للنفس. وكثيراً مايحدث أن ينسى الطفل الدور الملقى على عاتقه ، وينطلق على سجيته ويقوم بأعباء دور آخر لايمت بصلة لدوره أو للعبته. وفي نهاية السنة الرابعة نجد أن الطفل يستطيع أحياناً الإنشغال بلعبة معينة لمدة تقرب من ٤٠-٥٠ دقيقة دون كلل أو ملل.

أما أطفال سن الخامسة فنجد أن ألعابهم تتميز ببعض التعقيد والتنويع نظراًلاكتسابهم للمزيد من خبرات الحياة ولتطور نمو تفكيرهم وتخيلهم وعلى ذلك نراهم يشكلون ألعابهم من واقع حياتهم الاجتماعية ومن واقع الأعمال الجدية للكبار ونجدهم يلتزمون - إلى حد كبير - بقواعد ونظم وقوانين اللعب في معظم الاحيان ونجد بالتالي التعبير الواضح في الدوافع التي تغلب على لعب الأطفال في مثل هذا السن فنجدهم لايلعبون لمجرد التسلية والترويح فقط بل أيضاً لمحاولة اكتساب المزيد من المعارف

والمهارات وكثيراً مانجد إنغماس الأطفال في نهاية تلك المرحلة في اللعب بدرجة كبيرة ويغضبون عند محاولة الكبار منعهم عن الاستمرار في اللعب فعلى سبيل المثال نجدهم لايستجيبون بسهولة للكف عن اللعب عندما تنادي الأم على أطفالها لتناول العشاء مثلاً.

تتفق ميول اللعب عند أطفال هذه المرحلة مع النمط الذي يظهره كل من الإستعداد الناتج عن النضج والبيئة التي يحدث فيها النمو. وتوجد بالطبع بعض الفروق ؛ فالأطفال ذوو الذكاء المرتفع يفضلون اللعب الدرامي والأنشطة الابتكارية. وفي ألعابهم الإنشائية يميلون إلى التصميمات الأكثر تعقيداً والتي يُظهرون فيها بعض خصائص الإبداع.

وتظهر أيضاً فروق في اللعب تبعاً للجنس ؛ فهناك ألعاب للذكور وأخرى للإناث. ويؤثر ذلك على أدوات اللعب التي يستخدمها كل منهما وطرق استخدامها. كما يؤثر في نمط اللعب عند الطفل مايُتاح له من هذه الأدوات والمساحة المخصصة للعب ، وكل منهما يعتمد على المستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة. ومع وجود هذه الاختلافات إلا أنه توجد أنماط عامة بين الأطفال لعل أهمها : استخدام اللعب ، اللعب الإيهامي ، اللعب الإنشائي ، وتنظيم المباريات ، والقراءة (للطفل الذي تعلم هذه المهارة مبكراً) ، السينما ، الراديو ، التليفزيون ، وتوجد في كل ثقافة فرعية في المجتمع أنواع من اللعب تشيع بين الأطفال فيها. فألعاب أطفال القرية تختلف عن ألعاب أطفال المدينة. إلا أن مايلفت النظر حقاً في برامج الأطفال في محطات الإذاعة ، وقنوات التليفزيون أنها لاتقدم البرامج الملائمة لهذه الثقافات الفرعية. وقد حلل " فؤاد أبو حطب " (١٩٨٦) البرامج التي تقدم للأطفال في وسائل الإعلام المصرية فوُجد أن صورة الطفل الشائعة فيها هي صورة طفل المدن الكبرى أو العواصم الكبرى من أبناء الطبقة المتوسطة أو العليا. أما أطفال الشرائح الأخرى في المجتمع المصري

فليس لها نصيب.. وهي صورة تصدق بدرجات متفاوتة على معظم وسائل الإعلام في العالم الثالث.

ولقد استخدم " اكرمان " * Eckerman (١٩٧٥) وزملائه موقف لعب تجريبي لكي يصفوا نمو اللعب الإجتماعي لأطفال تتراوح أعمارهم بين ١٠-١٢ شهرا ، ١٦-١٨ شهر ، ٢٢-٢٤ شهراً ، وجلس كل طفل بصحبة أمه ، ولاحظ المختبرون الطفلين وأمهاتهما لمدة عشرين دقيقة مسجلين كمية الوقت الذي يقضيه كل طفل في اللعب بمفرده ، وكم من الوقت يقضيه الطفل في اللعب مع زميله في مثل سنه ، وكمية الوقت الذي يقضيه كل طفل في اللعب مع أمه وكذلك الوقت الذي يقضيه كل طفل في اللعب مع أم الطفل الآخر. وأشارت نتائج الدراسة إلى أن اللعب الاجتماعي يبدأ في الظهور بحلول السنة الثانية من عمر الطفل. وكذلك نمو الميل لدى الأطفال في اللعب مع بعضهم البعض ، أكثر من الوقت الذي يقضي في اللعب مع أمهاتهم.

وتشير دراسات أخرى * قام بها كل من هارتيز Harteys (١٩٧٠)، وبرونسون Bronson (١٩٧٥) إلى أنه بمجرد أن يبدأ الأطفال اللعب الاجتماعي نجدهم يقضون وقتاً متزايداً بعضهم مع البعض الآخر ، وكذلك يبدأون اللعب في جماعات من ثلاثة أطفال أو أكثر ، وكذلك في أزواج. وعند حلول العام الخامس يتزايد الوقت الذي يقضيه الأطفال في اللعب مع زملائهم ، وذلك أكثر من رغبتهم في جذب انتباه الآخرين الراشدين ومدحهم لهم ، ففي حين نجدهم في المرحلة النمائية السابقة كانوا معتمدين كلية على مكافآت آبائهم ، نجدهم الآن يبدأون في مكافأة بعضهم البعض بعلامات التقبل والاستحسان والتعاطف.

---

* عادل عز الدين الأشول (١٩٨٢) : علم نفس النمو ، القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ص ٣١٠.
* المرجع السابق ، ص ٣١١.

والخلاصة أن اللعب بصورة خاصة يشكل قدراً كبيراً من الأهمية بالنسبة للنمو الاجتماعي ونمو الشخصية في سنوات ماقبل المدرسة ؛ فمن خلال استخدام الدمي والألعاب المختلفة نرى الصغار يتعلمون أن كل فرد منهم شخص مستقل ، وكذلك يدركون كيفية التعامل مع العلاقات البين شخصية (العلاقات الشخصية المتبادلة). فالأطفال الذين لايكون لديهم فرصاً للعب مع رفاق سنهم يفتقدون خبرة تعلم اجتماعية حيوية ، وبالتالي قد يكونوا أقل ثقة في أنفسهم ، وغير متأكدين في قدراتهم لعمل علاقات وارتباطات بأفراد آخرين خارج مجال الأسرة.

وهناك نوعان أساسيان من اللعب في هذه المرحلة يعتبر كل منها إمتداداً وتطوراً لنوعي اللعب في مرحلة العامين. وهذان النوعان هما : الأول هو اللعب الاستطلاعي أو الاستكشافي ، والثاني هو اللعب الإيهامي وفيما يلي كلمة عن كل نوع.

الأول : اللعب الاستطلاعي أو الاستكشافي :

يلاحظ السلوك الاستطلاعي لدى الأطفال عادة عندما يتلقون لعبة جديدة ، خاصة إذا كانت تلك اللعبة تحتوي على أزرار ومحولات وأدوات تشغيل أخرى ، وكانت مما يحدث أصواتاً ويشعل أضواء ويفتح أبواباً تشغل محركات .. الخ. عندئذ نشاهد الطفل غالباً وهو يتناول اللعبة ويأخذ في استكشافها بأن يضغط على أزرارها ويحول المحولات ويجرب كل شيء حتى يستنفذ جميع الإمكانيات التي يتضمنها تشغيلها.

لكن لعب الطفل الاستطلاعي لايقف بالضرورة عند هذه النقطة فقد يحاول أن يجمع بين تلك العمليات البسيطة التي استنفذها بعضها مع بعض. فيجمع معاً مثلاً تشغيل المحرك مع إضاءة الضوء ، أو إحداث

الصوت مع تحريك اللعبة ، أو فتح الأبواب ووضع أشياء داخل اللعبة ، أو استخدام هذه اللعبة ذاتها مع لعب أخرى ، أو استخدامها في نوع آخر من اللعب هو اللعب الإيهامي ، وهكذا...

الثاني : اللعب الإيهامي :

يلاحظ أن الطفل مع سن الثالثة يبدأ في الاستغناء عن وجود اللعب المشابهة للاشياء الحقيقية عند تظاهره بالقيام بأي نشاط يريده . فلا يصبح لديه أي مانع من استخدام صندوق مثلاً ، بدلاً من الحافلة اللعبة ، لكي يتظاهر بقيادة السيارة أو من استخدام العصي بدلاً من الحصان لكي يتظاهر بركوب الخيل وهكذا.

هذا التحرر الجديد من الواقع أو الشبيه بالواقع ، يساعد الطفل في هذه المرحلة أيضاً على أن يقوم بعدة أنشطة . أو بعدة عمليات في وقت واحد في أثناء لعبه الإيهامي ، بعد أن كان يقوم بعملية واحدة فقط .. فبعد أن كان يتظاهر باغماض عينيه لينام أو بصب الشاي من أبريق فارغ – عملية واحدة في الوقت الواحد – يصبح في مقدوره الآن أن يشمل في نفس السياق الإيهامي عدة عمليات. فعندما يلعب لعبة (رجل الإطفاء مثلاً) ، نجد الطفل بسهولة يجعل من نفسه سيارة الإطفاء والخرطوم والسلم وصفارة الإنذار بل والبيت المحترق نفسه وجميع الأفراد الذين يشتركون في هذا الموقف سواء كانوا من الضحايا أو المنقذين. ولاشك في أن هذا التطور الذي يتضمنه الرمز لعدة عمليات معاً ، هو درجة من التعقيد في اللعب الإيهامي تنم عن نمو في كل من القدرة الحركية والقدرة المعرفية معاً . ذلك أن الطفل في هذه المرحلة تكون قد تكونت لديه القدرة على تصور أحداث معينة بصورة كلية لا جزئية وعلى ذلك يصبح في إمكانه استدعاء هذا الحدث أو ذاك بكل تفاصيله.

وهناك مْظهر آخر من مظاهر التطـور في اللعـب الإيهـامي ، هـو أن الطفل فيما بين الثالثة والرابعة يبـدأ فيمـا نسـميه بلعـب الأدوار أو اللعـب السوسيودرامي. ويصل هذا الاتجـاه إلى حـده الاقصى فيمـا بـين الخامسة والسادسة. فاللعب الذي كان مجرد تصور أو تظـاهر بالإتيـان بأفعـال غـير حقيقية يصبح الآن أنساقاً معقدة من الأفعال أو الأدوار المتبادلة بـين الطفـل ورفاقه ، وإبداعاً عبقرياً للمواد اللازمة لتلك الأدوار ، وسياقاً محكماً للدراما التي يقومـون بهـا ، وحبكـة لهـا منسـوجة نسجاً جيـداً . ويعتقـد بعـض المنظرين أن هذا اللعب الدرامي ، وإن كان يزول بعد ذلك كسـلوك ظـاهري إلا أنه يبقى كأحلام يقظة وأوهام ملحة طيلة الحياة الباقية.

وعندمـا درسـت " بـارتن " Partin (١٩٢٩) سـلوك اللعـب لـدى الأطفال في مرحلة ماقبل المدرسـة (مـن سـن ٢ – ٤ سـنوات ، ١١ شـهراً) أمكنها أن تصنف اللعب طبقاً لمقدار السلوك الإجتمـاعي المتضمـن إلى سـت فئات هي * :

(١) اللعب الخالي تماماً من السلوك الإجتماعي :

Unoccupied Behaviour :

فيبدو أن الطفل لايلعب بالمرة – ولكنه يشغل نفسـه بمشاهدة شـيء ما جذب إنتباهه مؤقتاً . وعندما لايكون هناك مايثير فإنـه يلعـب بجسـمه كأن يصعد على كرسي ثم ينزل منه أو يدور هنا وهناك ، أو يتبـع شـخصاً يتحرك أو يجلس في مكان معين من الغرفة محدقاً النظر فيما حوله.

* محمد جميل منصُور ، فـاروق سـيد عبـد السـلام (١٩٨٩) النمـو مـن الطفولـة إلى المراهقـة (ط٤) ، الكتـاب الجامعي (٣) ، جدة : تهامة للنشر ، ص ص ٣٥٢-٣٥٣.

(٢) اللعب الإنفرادي : Solitary Play

حيث يلعب الطفل وحده مستقلاً عن الآخرين بلعبه التي تكون مختلفة عن تلك التي يستخدمها الآخرون ولايتكلم معهم إلا قليلاً جداً ولايبذل أي جهد للتقارب ، أو للحديث مع الأطفال الآخرين. ويتمركز اهتمامه على نشاطه ويستمر فيه غير مبال بما يفعله الآخرون.

(٣) سلوك المتفرج : On Looker Behaviour

يقضي الطفل معظم أوقاته في مشاهدة الآخرين وهم يلعبون. وكثيراً مايتحدث للأطفال الذين يلعبون ويسأل أسئلة أو يقدم مقترحات ولكنه لايشترك في اللعب. ويقف أو يجلس على مقربة منهم بحيث يرى ويسمع كل مايجري. وهو في ذلك يختلف عن الطفل في الحالة الأولى الذي يلاحظ أي شيء مثير يحدث حوله ولايهتم بجماعة الأطفال.

(٤) اللعب المتوازي : Paralled Play

حيث يلعب الطفل مستقلاً عن الآخرين ، ولكن النشاط الذي يختاره يضعه بطبيعة الحال بين الأطفال الآخرين . فهو يلعب بلعب تشبه تلك التي يلعب بها الآخرون المحيطون به ولكنه يلعب بها كما يحلو له ولايحاول أن يؤثر على نشاط الأطفال الآخرين . فهو يلعب بجانبهم وليس معهم.

(٥) اللعب المشترك : Associated Play

حيث يلعب الطفل مع الأطفال الآخرين . وهناك تبادل لمواد اللعب ويتبع كل منهم الآخر في التحرك بلعبته كما توجد درجة معقولة من المحاولات التي يقوم بها البعض لضبط عملية اللعب في الجماعة . فالكل يشغل نفسه بنشاط متشابه إن لم يكن متماثل . لكن ليس هناك تقسيم عمل أو تنظيم للنشاط . فكل طفل يعمل كما يحلو له ولايخضع ميوله للجماعة.

(٦) اللعب التعاوني أو المنظم : Cooparative or Organized Play

يلعب الطفل في جماعة منظمة من أجل تحديد وسائل اللعب ، من أجل تحقيق هدف معين يتنافسون عليه ، أو من أجل تمثيل أدوار الكبار في حياتهم الجماعية ، أو من أجل لعب مباريات رسمية . وهناك نوع من الإنتماء أو من عدم الإنتماء للجماعة ويتحكم في الجماعة واحد أو أثنين من أعضاء الجماعة يوجه نشاط الآخرين . أما الهدف ووسيلة تحقيقه فيستلزم توزيع العمل ، وأن يكون لكل فرد دوره . وتنظيم النشاط بحيث تتدعم جهود كل فرد في الجماعة عن طريق الآخرين.

ومن ناحية ثانية ، هناك من يرى أن السلوك اليومي عند طفل ماقبل المدرسة يكون موجهاً إلى الإشباع المباشر للحاجات الأولية (النوم ، الأكل) ، أو للحاجات المتعلمة (إلتماس المعونة في حل المشكلات) أو موجهاً إلى الإستجابة للإحباط والاعتداء ، أو إلى حل مشكلات واقعية أو إلىتنفيذ مطالب التنشئة الاجتماعية التي يفرضها الكبار الراشدون عليه. وهذه الأنواع المختلفة من السلوك هي استجابات لمطالب واقعية ويكون لها في العادة أنواع من الحلول يتمكن الطفل من البدء فيها. لكننا نجد مع ذلك أن جانباً من يوم الطفل ينقضي في أنواع من السلوك لاتكون إستجابات

لمطالب بيئية مُلحة ولاتتصل بمشكلات واقعية وأن الطفل يكون في هذه المواقف حراً غير ملزم بأن يسلك سلوكاً معقولاً. هذا السلوك غير المعقول أو غير الواقعي ، والذي يسمى عادة اللعب، له وظائف رئيسية ثلاثة هي :

الأولى : أنه وسيلة لتصريف الطاقة ؛ إذ أن الحياة المدنية المتمدينة تضطر الطفل إلى أن يكف نشاطه الحركي لفترات طويلة (كأن يجلس عاقلاً ويمنع نفسه من الجري غير الموجه وما إلى ذلك من النشاط الحركي الشامل الآخر). ومن شأن هذا التقييد للنشاط الحركي الشامل أن يحبط الطفل الصغير ، ولذلك كان لابد من أن تكون هناك فترات نشاط عنيفة ، ومن أن تكون هذه الفترات من النشاط العنيف ممتعة مشبعة للطفل.

الثانية : أن اللعب يفيد في التدريب على المهارات الجديدة. فالولد الصغير يلعب بالبلي والبنت الصغيرة تخيط فوطة صغيرة لعروستها. وظهور هذه الأنواع من السلوك ودوام التدرب عليها قد تدفع إليه الرغبة في اكتساب مهارات جديدة وفي اتقانها . كما أن مثل هذا السلوك يكون نتيجة لحاجة الطفل إلى السيطرة والكفاءة.

الثالثة : أن اللعب يعبر عن الرغبة في التدرب على أنواع السلوك التي تصدر عن دور نموذجي (حقيقي أو متخيل) من أجل أن يتكون في ذهن الطفل بعض الإدراك للتشابه بين الطفل والنموذج. من ذلك أن البنت الصغيرة قد تلعب دور ممرضة أو دور أم ، وأن الولد الصغير يلعب عسكر وحرامية ، أو يتوهم أو يتظاهر بأنه طيار. كما أن كثيراً من ألعاب الأطفال تتضمن أدواراً راشدة خيالية تتيح للطفل أن يشترك اشتراكاً وهمياً في عالم الكبار – وأن يشعر للحظات معدودات بمشاعر الكبار.

كما تجدر الإشارة إلى أن ملاحظة النشاط الزائد الذي يبذله الأطفال في لعبهم قد أدت إلى نظرية تقول أن اللعب استغلال للطاقة الزائدة عند الطفل. ولما كان الأطفال يستغلون عادة في لعبهم المواد والاشياء والأفراد والافكار الموجودة في محيط بيئتهم ، فقد أدى هذا بالبعض إلى رأي يقول بأن اللعب هو إعداد للطفل ومران له على حياته المستقبلة. ويرى البعض الآخر أن الطفل يلخص في لعبه في مراحل نموه المختلفة المراحل التي مرت بها البشرية في تطورها. ولايمكننا الجزم بتفضيل أحد هذه الآراء. فلا شك أن اللعب يحقق أهدافاً متعددة.

• اللعب في مرحلة الطفولة الوسطى ٦-٩ سنوات :

اللعب مظهر قوي من مظاهر التفاعل الاجتماعي في هذه الفترة النمائية من فترات الطفولة وتشير عديد من الدراسات النفسية إلى أن الطفل مع بدايات سنواته بالمدرسة الإبتدائية يتخفف كثيراً من صلاته بالراشدين الذين كان يعتمد عليهم ويشاركونه في اللعب . وتزداد إلفته مع زملائه في العمر من الأطفال في المدرسة أو في الحي وتبدأ معه مرحلة الفريق أو العصبة أو الشلة وتمتد مرحلة " العصبة " هذه من السنة السادسة إلى أواخر الطفولة المتأخرة (١٢) سنة فيسيطر الطفل على نشاط الجماعة.

ويبدو هذا التطور الاجتماعي عند البنين أكثر مما يبدو عند البنات، وإن كانت جماعة اللعب في هذه السن لاتزال تجمع بين البنين والبنات دون غضاضة.

والمؤسسات التربوية تحاول أن تستغل هذا الميل الاجتماعي عند الطفل بإقامة أنظمة الكشافة أو إنشاء فرق رياضية لما لهذا الميل النشاطي من آثار جسمية وعقلية وإنفعالية ونفسية * :

* عبد الحميد محمد الهاشمي (١٩٨٠) : علم النفس التكويني أسسه وتطبيقه من الولادة إلى الشيخوخة (ط٤)، جدة : دار المجمع العلمي ، ص ١٦٤.

(١) فاللعب يزيد العمليات التنفسية ؛ إذ تزداد كمية حامض الكربونيك التي يربيها الجسم وتزداد كمية الاكسجين التي يستنشقها الجسم وهذا يساعد على النمو والتغذية والصحة العامة.

(٢) وللعب تأثيره المباشر في الجهاز العصبي والحركي والعضلي وذلك في اكتساب سرعة الاستجابات وعفوية الحركات ودقتها.

(٣) وللعب أهميته الاجتماعية لأنه هو المظهر الطفولي للحياة الاجتماعية وتفاعلها ، إذ يتعلم الطفل بواسطة قوانين اللعب وأنظمته ، مع تنميته لروح التعاون بين أفراد الفريق وروح المنافسْة الحرة.

(٤) واللعب طريق تعبيري عن ميول الطفل ومشكلاته وعقده ، كما أنه طريق طبيعي لصرف طاقاته المخزونة التي لم تتمكن من الإشباع عن طريق النشاط العادي.

(٥) واللعب في هذه الفترة أيضاً إعداداً لكفاح الحياة في قوة الجسم وشدة الصبر ، وسرعة التكيف ،ومهارة في التعاون الاجتماعي.

إن اللعب في الطفولة وسيط تربوي يعمل بدرجة هائلة على تشكيل الطفل في هذه المرحلة التكوينية الحاسمة من النمو الإنساني ، ولايرجع مصدر هذه الأهمية إلي أن الطفل يقضي معظم وقته في اللعب الذي يستثير اهتمامه وإلى أنه قليلاً ماينغمس في النشاط العملي للكبار، وإنماإلى أن اللعب تتمخض عنه تغيرات كيفية في التكوين النفسي للطفل ، وفيه تكمن أسس النشاط الدراسي الذي سيكون نشاطاً غالباً علىحياته في سنوات المدرسة. واللعب أيضاً مدخل أساسي لنمو الطفل عقلياً ومعرفياً ، وليس لنموه إجتماعياً وإنفعالياً فقط . ففي اللعب يبدأ الطفل في التعرف على الأشياء

وفرزها وتصنيفها ، وبالتالي في تعلم مفاهيمها والتعميم بينها على أساس لفظي لغوي ، وهنا يلعب نشاط اللعب دوراً كبيراً في نمو الكلام لدى الطفل وفي التعبير الرمزي وفي تكوين مهارات الإتصال الكلامي.

• مراحل اللعب عند بياجيه * :

كما قسم " بياجيه " النمو المعرفي للطفل منذ الولادة حتى الرشد إلى أربع مراحل رئيسية : الحسية/الحركية ، ماقبل العمليات ، التفكير العياني ، التفكير المجرد ، كذلك فعل مع مراحل تطور اللعب عند الأطفال. يقول " بياجيه " أن اللعب لايعكس فقط طريقة تفكير الطفل في المرحلة التي يمر بها بل يُسهم أيضاً في تنمية قدراته المعرفية. ومن ثم يقسم "بياجيه" اللعب إلى أربع مراحل أساسية هي :

(١) اللعب الوظيفي Functional Play :

وهو النوع الوحيد من اللعب الذي يمارسه الطفل في المرحلة الحس/حركية ** ويحدث عادة إستجابة للأنشطة العضلية وللحاجة للتحرك والنشاط. فالطفل يقبض على الأشياء أو يؤرجحها لمجرد المتعة التي يجدها في ذلك في البداية لا لغرض التعلم أو الاكتشاف حيث أن فعله هنا يعطيه الإحساس بأنه يسيطر عليها ويخضعها لقواه.

---

* هدى محمود الناشف (١٩٩٣) : استراتيجيات التعلم والتعليم في الطفولة المبكرة: القاهرة: دار الفكر العربي ، ٧٨-٧٩.

** حدد بياجيه بداية هذه المرحلة زمنياً منذ الميلاد وحتى نهاية العامين (المترجمان)

(٢) اللعب الرمزي Symbolic Play :

وفي هذه المرحلة الثانية من اللعب والتي يُطلق عليها بياجيه أيضاً اسم " دعنا نتوهم " أو اللعب الإيهامي ، يظهر الأطفال قدراتهم الإبداعية والجسمية ووعيهم الاجتماعي بعدة طرق. فالطفل " يتوهم " و " يتخيل " نفسه شخصاً آخر (الأم ، الأب ، المعلمة) أو حيواناً ويتعامل مع العصا على أنها حصان ، ويتحدث مع الجماد وكأن به روحاً وحياة ، وبهذه الطريقة يستكشف الطفل البيئة من حوله ويتدرب على كيفية التعامل معها. وتوازي هذه المرحلة من اللعب مرحلة التفكير فيما قبل العمليات*.

(٣) اللعب وفقاً لقواعد Games with rules :

ويمثل المرحلة الثالثة في لعب الأطفال ، والتي تبدأ في حوالي السابعة أو الثامنة من العمر حيث يستطيع الطفل في هذه السن أن يلعب ألعاباً لها قواعد وحدود ويكيف سلوكه وفقاً لذلك.

(٤) اللعب البنائي Constructive Play :

ويتطور من اللعب الرمزي نوعاً آخر من اللعب هو اللعب البنائي أو التركيبي ، وهو يمثل قدرة الطفل المتنامية للتعامل مع المشكلات وفهم حقيقة الحياة والعالم من حوله. كما يتميز اللعب في هذه المرحلة بنمو الإبتكارية والقدرة على ممارسة ألعاب تؤدي إلى نمو المعرفة عن طبيعة الاشياء في الحياة. فمن خصائص اللعب البنائي أنه ينمي المهارة ، والمهارة شرط لنمو الابتكارية . وكلما مارس الطفل هذا النوع من اللعب الذي يخترع فيه الأشياء والطريقة التي يلعب بها أدى ذلك إلى تعلم بناء ونمت قدراته الفكرية.

---

* حدد بياجيه هذه المرحلة زمنياً من نهاية السنة الثانية إلى سن السابعة (المترجمان).

الفصل الأول

اللعب سبيل حيوي إلى النمو المبكر للطفل

الفصل الأول

اللعب سبيل حيوي إلى النمو المبكر للطفل

- مقدمـــــة.
- الاخفاق في تقدير قيمة اللعب.
- الدور البيولوجي للعب.
- الالعاب الأولى للأطفال.
- حتمية اللعب (أو قوى إنقاذ الحياة تكمن في اللعب).
- الحرمان من اللعب يعيق النمو.
- أهمية اللعب الاستكشافي.
- الدارج يخطو نحو كل شيء.
- الكيفية التي يبدأ بها التفكير المنطقي.
- القوة الشفائية للعب.
- قِلب الأدوار من خلال اللعب.
- إحياء الخبرات المؤلمة.
- العلاج النفسي المهني باللعب.
- الإعداد للمدرسة.
- اللعب وحل المشكلات.
- تعمل اللغـــة.
- حاجة الطفل إلى التوقعية.

الفصل الأول

اللعب : سبيل حيوي إلى النمو المبكر للطفل *

Lifeline to Early Development

• مقدمــة :

" لا أستطيع أن أفهم لماذا يجب علينا أن نرسل " جيل Jill" للروضة، حيث لايتعلم الأطفال أي شيء هناك ، فكل مايفعلونه هو اللعب ...." إن العديد من الآباء والأمهات والمدرسين يعتبرون أن لعب الأطفال مجرد رفاهية أو ترف ، أو طريقة لقضاء الوقت بين أنشطة أخرى أكثر أهمية. إن هذا الأفتراض أو (الاعتقاد) القائل بأن الأطفال لايتعلمون شيئاً مفيداً أثناء اللعب ولاحتى يتطورون أو يهيئون ويعدون أنفسهم للمدرسة وللحياة ، هذا الاعتقاد آخذ في الانتشار بصورة مقلقة وعلى نطاق واسع. ولانستطيع إزاءه إلا القول بأنه قول خاطئ إلى حد بعيد. وحقيقة الأمر أن هناك سلسلة كاملة من الأنشطة المهمة والحيوية لنمو الأطفال يمكن أن ندرجها معاً تحت (مسمى) أو تحت كلمة " اللعب " " Play " ، وتعد أنشطة اللعب هذه من أهم مايمكن أن يفعله صغار الأطفال.

ذلك أن اللعب ليس مجرد طريقة كي يتعلم الطفل ، بل هو الطريقة الوحيدة الجيدة والثابتة (الدائمة) لتعلم صغار الأطفال. فمن خلال اللعب يتعلم الأطفال ويصقلون المهارات الاجتماعية والإنفعالية والجسمية والعقلية.

---

* اللعب : Play : هو الأنشطة التي يقصد منها أن تكون بهدف المتعة والبهجة سواء للفرد أو للجماعة. وتدل الدراسات على أن الدافع إلى اللعب دافع فطري طبيعي كالدافع إلى الطعام وإلى النوم ، وانه وسيلة لازمة وضرورية للنمو ، ويسهم بشكل واضح وشامل في كل مراحل وأطوار النمو الجسمي والعقلي والاجتماعي والترويحي. وهو كذلك وسيلة أولية لإكتشاف الذات واكتشاف العالم وهو وسيلة للحفاظ على الصحة النفسية وتحقيق التوازن في الحياة (جابر عبد الحميد جابر ، علاء الدين كفافي ، ١٩٩٣، معجم علم النفس والطب النفسي ، ج٦، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ص ٢٨٢٦).

بالإضافة إلى أنه في أثناء اللعب التخيلـي Imaginative play يتفهـم صغار الأطفال العديد من المخاوف والإصابـات الـتي يكونـون عرضـة للتـأثر بها. فضلاً عن أنهم في الحقيقة يعالجون أنفسهم مـن الاصابـات الإنفعاليـة من خلال اللعب ، كما أنهم يتعايشون ويسيطرون علـى الأحـداث المتوقعـة والشائعة الـتي ربمـا يعـانون منهـا كـالخوف مـن الانفصـال المفـاجىء عـن الوالدين. وبدون وجود فرصة لتجريب قوة الشفاء الطبيعية للعـب التخيلـي ، فإن العديد من الجروح الإنفعالية التي تسببها مثل هذه الحوادث لن تبرأ أو (تشفى) أبداً تاركة الطفل مع بقايا ورواسب من القلق والاحساس بفقدان الأمن والاطمئنان على مـدى سنين حيـاتهم فالأطفـال لـن ينمـو وربمـا لـن يعيشوا إذا لم يلعبوا.

- **الاخفاق في تقدير قيمة اللعب : The Failure to Value Play**

علـى الرغـم مـن أن اللعـب – كنشـاط يتمتـع الطفـل مـن خلالـه بالدافعية من داخل ذاته ، ويمارس من خلاله عمليـة الاستكشـاف فيشـبع حب الاستطلاع – أمـر حيـوي للنمـو الصحـي ، إلا أن العديـد مـن صغـار الأطفال محرومون من فرص اللعب ، وحقيقة إن الأسوأ من ذلك بالفعل هـو أن تُمنع وتعاق طاقاتهم وقدراتهم العقلية من أن تظهر في سياق اللعـب. إن بعض التعديات الـتي قـد تحـدث خلسـة علـى ممتلكـات رفـاق اللعـب أو حقوقهم في أثناء لعب الأطفال قـد ينبـع مـن أسـباب ودوافـع وجيهـة ، فالعديد من الآباء والأمهات والمدرسين يتلهفـون لإمـداد أطفـالهم في مرحلـة ماقبل المدرسة بنوع من البداية الأكاديمية (التعليمية) المبكرة ، الـتي تؤمـن وتضمن لهم النجـاح في المدرسـة.. لكـن هـؤلاء الآبـاء والأمهـات والمدرسـون يفشلون في تفهم ماهية وطبيعة اللعب التي تجعله أكثر من مجرد ألعاب من نوع خاص تمهد وتعد الطفل للمدرسة والدروس. بل إنه أضمن وأسرع طريق للتعلم ، وللثقة بالنفس وللتمكن من العديد من المهارات.

إن بعض التقييدات الحالية على فرص الأطفال في اللعب وإنشغالهم في اللعب التخيلي تنجم عن طبيعة المجتمعات المعاصرة ، ومن إنعدام وفقدان الإتصال المستمر بين أفراد الأسر ، وكذلك من العالم الذي يعيشون فيه ويتأثرون به وهو عالم يتغير بشكل مذهل. ومن ضمنها أيضاً الطبيعة المتأصلة للحياة العصرية ، حيث يعيش الآباء الشباب بعيداً عن أسرهم وأماكن نشأتهم. كذلك طبيعة العمل التي تفرض على كثير من الآباء والأمهات الاستيقاظ صباحاً والعودة مساءً دون إعطاء أطفالهم أدنى فكرة عن لماذا أو حتى ماذا يعملون حقيقة.

إن هذه الإتجاهات في بعض الأسر وفي الحياة الاجتماعية تحرم صغار الأطفال من " المادة الخام " Row Material التي يحتاجونها في اللعب التخيلي (مثل لعبة هيا لنتظاهر بأن...) والتي هي ضرورية لفهم عالم الكبار الراشدين ومايمكنهم فعله لإيجاد مكان مناسب لهم فيه.

إن الأطفال اليوم معزولون عن العالم الحقيقي بل وحتى عن ذواتهم بسبب دخيل متطفل استشرى في حياتهم ، ووأد (قتل) فرص تعلمهم عن طريق اللعب. ذلك الدخيل هو التلفاز.

إننا إذا ما أخذنا هذه الحقائق بعين الاعتبار ، فإن الأطفال فيما بين سن الثانية والخامسة يشكلون أكبر وأوسع جمهور للتلفاز في الولايات المتحدة. ففي المنزل تلو الآخر نجد أطفال ماقبل المدرسة يقضون (٣٠) ثلاثين ساعة أسبوعياً مشدودين إلى جهاز التلفاز ، وهناك تقدير واقعي آخر هو أن ساعات المشاهدة تصل إلى نحو (٦٠) ستين ساعة أسبوعياً ومن منظور آخر فإن الأدلة الفعلية تشير إلى أن الأطفال يقضون كل ساعات يقظتهم أمام التلفاز.

وكما سنرى في الفصل الخامس فإن التعرض الدائم (الثـابت) لوابـل من الصور التلفزيونية يعوق نمو الأطفال الإنفعالي والعقلي. وحقيقة الأمـر أن المشاهدة المكثفة للتلفاز تؤخر نمو وتطـور شـخصية الطفـل تمامـاً ، وكذلـك تؤخر السمات المميزة لهذه الشـخصية ونتـائج خطـيرة وبعيـدة المـدى علـى الأطفال، بل والمجتمع بأسره (ككل).

إن سنوات الطفولة المبكرة هي قطعاً سـنوات نمـو وتطـور حاسمـة. تمامـاً كالشـجرة الـتي تُثنـى وتلـوى ويُعـاق نموهـا في السـنوات الأولى مـن نضجها. ذلك أن أي تدخل في أنماط النمو الطبيعية المبكرة يمكـن أن يشـوه " التشكيل " النهـائي للشـخص. وهـذا ماتفعلـه بـالضبط المشـاهدة المكثفـة للتلفاز في اطفال مرحلة ماقبل المدرسة فالمثيرات الـتي يتعرضـون لهـا عـبر المشاهدة تعوق وتعترض سبيل نموهم الطبيعي سواءً بعدم إتاحة الفرصة لهـم للاسـتجابة بنشـاط وابتكاريـة ، أو بأبعـادهم عـن ممارسـة تخيلاتهـم ، أو التعبير عن أفكارهم الخاصة ، أو أن يلعبوا لعبهم الخاصة بهم.

إذن كيف يمكننا أن نواجه ظروف العالم الخارجي والتأثير الدخيل للتلفاز في المنزل ؟ للاجابة عن هذا السؤال يمكن القول أننا إذا ماتتبعنا قوى اللعب المدهشة والخفية في الطفولة المبكرة من حياة الطفل ، فسنرى كم هـو رائع أن نشـجع دوافـع الأطفـال الفطريـة وقدراتهـم التخيليـة في اللعـب. ويمكننا حينئذ أن نحـدد متـى نـترك الطفـل يتصـرف بتلقائيـة وعفويـة ، وكيف يتعـرف ويشـبع احتياجاتـه مـن اللعـب الخـاص ، وكيـف يعـوض مايعوق لعبه الابتكاري من ظروف أسرية واجتماعية.

• الدور البيولوجي للعب : The Biological Role of Play

لكي نفهم دور اللعب في حياة الطفل الصغير ، فإنــه مـن المفيـد أن نبدأ بإلقاء نظرة على عالم الحيــوان ، أو بمعنـى أدق أن نلقـي نظـرة علـى حياة تلك الحيوانات التي تلعب والتي لا تلعب.

لاشـك في أن كـل شـخص قـد رأى قطـة صغـيرة تلعـب بكـرة مـن الخيط، أو جــرو * يعـض حـذاء. إنـه لأمـر ممتـع أن نشـاهد السـلوكيات الغريبة والمضحكة عند صغار الحيوانات ، فهي كالأطفال سواء بسواء تقضي وقتاً ممتعاً في اللعب. ولكن في نفس الوقــت هنـاك بعـض الحيوانـات الـتي لاتلعب على الاطلاق فما هي تلك الحيوانات ؟

إن الحيوانات التي لاتلعب هي تلك التي تكون مستعدة تقريبـاً لأن تكون مستقلة منذ لحظات الولادة.

لنُراقب فرخاً حديث الفقس نجد أنه لايسـتغرق إلا دقـائق معـدودة يمكنه بعدها أن يقف ويحفر وينبش الحصــى بحثـاً عـن الطعـام ، وعندمـا يقترب منه شيء خطير ، فإنه يختبأ تحت أجنحة أمه. وبعد عدة أسابيع يصبح الفرخ مستقلاً ، دون أن يتلقى أي تعليم أو تدريب ، وبعدهـا بفـترة وجيزة يصبح على إستعداد للتزاوج وإنتاج المزيد من نوعه (جنسه).

إن الفرخ الصغـير حـين يريـد أن يعـرف كيـف يتجـاوب مـع كـل المواقـف، يعـرف أن كـل ماعليـه أن يفعلـه هـو إتبـاع غريزتـه الـتي هــي "مبرمجة" Programmed داخلياً بفعل الوراثة.

---

* جرو: Puppy (كلب صغير) !!

فالفرخ على عكس - الجراء والقطط الصغيرة والأطفال الصغار - لايحتاج لأن يلعب لأنه لايحتاج أن يتعلم.

إن الحيوانات التي تلعب هي تلك التي يمكنها أن تستفيد من الخبرة والتجربة والتي يمكنها أن تتعلم إما خطوة بخطوة ، أو أحياناً عندما تقتضي الحاجة أن تتعلم عن طريق قفزات ووثبات التخيل. إن الحيوانات التي تلعب هي تلك التي يجب عليها أن تتعلم عن طريق الاكتشاف والممارسة ، وأن تكتسب من خلال المحاولة والخطأ المهارات التي تحتاجها للبقاء على قيد الحياة.

إن كل المخلوقات الذكية تلعب ، وكلما " ارتقى " الحيوان ، كلما تنوع وتعقد وطال وقت اللعب في أطوار حياته. إن اللعب هو السبيل الأول للتعلم في السنوات الخمس الأولى عند البشر. وبنظرة مثالية فإن روح اللعب تبقى كعنصر إثراء في جميع أنشطتنا طول سنوات حياتنا. إن كل ألعاب الأطفال الجماعية الخيالية والالعاب التي تعتمد على النواحي الجسمية كاللعب بالدُمي فردياً أو مع الآخرين - كلها بشكل إجمالي تسعى نحو نفس الغرض وهو الاستعداد والتهيؤ للنضج والرشد.

والسؤال الآن : كيف يبدأ كل هذا ؟ وأي نوع من اللعب يأتي أولاً وثانياً وبعد ذلك ؟ والسؤال الأهم من ذلك ، ماهي أوجه ومظاهر الشخصية المستقبلية الناضجة (الراشدة) التي تتشكل - أما بخبرات اللعب الأولى أو يمكن أن تتشكل بدونها ؟ ذلك ماتتناوله الفقرات القادمة من هذا الفصل.

• الألعاب الأولى للأطفال : First Games

إن اللعب وطاقاته التي يمنحها للأطفال في سياق في التنشئة والتعلم تبدأ منذ لحظات الولادة ، حيث التفاعلات الأولى بين الأم وطفلها ، بمعنى أن جسم الطفل وجسم أمه يشكلان البدايات الأولى للعب. وتشكل لحظات اللمس Touching والهزهزة Wiggling والتحديق Gazing الألعاب الأولى للطفل الرضيع. ومن ناحية أخرى يمكن اعتبار أوقات الطعام أوقات لعب أيضاً ، فعندما يرضع الطفل سواءً من ثدي أمه أو من زجاجة الإرضاع ، فإنه يمتص في هدوء وسعادة إذا ماحُمل وحُضن قريباً من ذراعي أمه. فهو يمتص ثدي أمه ثم يتوقف برهة لينظر في وجهها ، ويلمس يدها وصدرها ، ثم يحرك أصابع رجليه ، ويفعل ذلك أيضاً عندما يستحم أو حين تبدل الأم له ملابسه ، أو حتى عندما تلتقطه الأم لتتحدث إليه برقة وحب وحنان ، ... إن أي شخص يمكن أن يرى الطفل وهو يتمدد بكامل جسمه محاولاً الاستجابة إلى كلمات الحب واللعب التي تلفظ من قبل والديه.

إن أول درس مهم يتعلمه الطفل هو كونه منفصلاً عن أمه. فلا يكون لدى الرضيع عند الولادة أي إدراك أو وعي بكونه شخص متميز بذاته ، أو لايعرف أي معنى للانفصال. ولكنه بعد حوالي ثمانية أسابيع من عمره تقريباً يكتشف الرضيع أن كُلاً من جسمه وجسم أمه ليسا متشابهين. فهو عندما يُمص قبضة يده يشعر بشيء ما في مكانين مختلفين . هما يده وفمه. ولكنه عندما يرضع يشعر بمشاعر وأحاسيس سارة ولكن في فمه فقط. ومن هنا يتعلم تدريجياً أن جسمه يقتصر عليه وحده ، وإنه شخص بذاته منفصل ومختلف عن الآخرين.

إن الرضيع – حين تلاطفه أمه وتربت عليه وتضمه في رقة وحنان، فإنه ينمو لديه ماأسماه المحلل النفسي إريك هـ. اريكسون Erik H. Erikson " الثقة الاساسية " * Basic trust . فالهدف الأول والإنجاز المهم في هذه المرحلة الأولى من حياة الإنسان هو تحقيق سيطرة أو هيمنة الثقة عبر فقدان الثقة.

وطبقاً لمفهوم إريكسون القوي التأثير في نمو وتطور السمات المميزة للشخصية خلال ثمان مراحل من الحياة ، فإن سيطرة الثقة على فقدان الثقة هو حجر الاساس للهوية** Identity. ذلك أن الطفل يكتشف أن الشخص الذي يرعاه يأتي دائماً عندما يحتاج إليه. فهو بالتدريج يطور

---

* الثقة الأساسية : **Basic Trust** : مصطلح استخدمه " اريكسون " ليصف به الحل الناجح الذي يحدث في المرحلة الأولى من مراحل النمو الثمان التي افترضها في نظريته عن النمو النفسي – اجتماعي. وتستغرق المرحلة الأولى العام الأول من عمر الإنسان. حيث يشعر الطفل أن عالمه الذي يعيش فيه جدير بالثقة.

والثقة الأساسية هي العمل الأول للأنا ، ويرسي الاساس لتقدير الذات والعلاقات البينية الشخصية البناءة. ويعزي نمو الثقة الاساسية إلى الأم أو من يقوم بدورها حين تستجيب بشكل متناغم مع الحاجات الفردية للرضيع بينما هي تنقل إليه مشاعر الثقة. وكما يذكر " آريتي " فإن الثقة الاساسية هي مشاعر تهيىء الشخص لأن يتوقع الاشياء الطيبة ، والتي تقود بدورها إلى نمو تقدير الذات. وكمثل على ذلك فإن الأم التي لديها ثقة اساسية في أن يكون طفلها شخصاً ناضجاً وسوياً تتعامل معه على هذا الاساس وتعبر عن هذه الثقة مما يثري تقدير الطفل لذاته.

(جابر عبد الحميد ، علاء الدين كفافي ، ١٩٨٩، معجم علم النفس والطب النفسي ، انجليزي – عربي ، الجزء الثاني ، القاهرة: دار النهضة العربية ، ص ص ٣٦٧ – ٣٦٨).

** هوية : **Identity**: الشاعر بأننا نفس الاشخاص الذين كنا بالأمس وفي العام الماضي. وهي الاحساس بالاستمرارية المستمد من احاسيسنا الجسمية (الاحاسيس الجسمية العامة) ، صورتنا عن أجسامنا، والشعور بأن ذكرياتنا وأهدافنا وقيمنا وخبراتنا تخصنا نحن ، والاحساس بالفردية والاستقلالية. " أنني ذاتي الخاصة" .

والبحث عن الهوية ملمح أساسي في النمو (حسب إريكسون). وتسمى أيضاً الهوية الشخصية Personal Identity. وفي النمو المعرفي يشير المصطلح إلى الوعي بأن موضوعاً ما يبقى نفس الشيء حتى لو تعرض لكثير من التغيرات والتحولات فقطعة الصلصال تبقى كما هي قطعة من الصلصال مع تشكلها في أشكال عديدة. والهوية في الفلسفة هي حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره.. وقد تسمى أيضاً وحدة الذات. كما يشير المصطلح إلى معنى المماثلة أو المطابقة.

(جابر عبد الحميد جابر ، علاء الدين كفافي ، ١٩٩١، معجم علم النفس والطب النفسي ، انجليزي – عربي ، الجزء الرابع ، القاهرة: دار النهضة العربية ، ص ١٦٥٩).

ردود افعاله واستجاباته الواثقة نحو نوع من الحياة تمكنه من مواجهة التحديات المستمرة في البيئة التي يعيش فيها أو في داخل ذاته بشيء من القدرة على المنافسة والكفاءة والنزوع إلى رؤية الجانب المشرق من الاشياء. كما يكتسب الأطفال أيضاً من خلال تفاعلات اللعب مع آبائهم مايمكن أن نسميه " الاستعداد الاساسي " Basic disposition للشعور الجيد نحو الاجسام والمشاعر (الاحاسيس) التي يخبرونها ، ويمكن أن يقال أن هذا - هو في الواقع بداية التربية الصحيحة فيما نسميه بالتنميط الجنسي.

فالتقبل المبكر للجسم سواء كمصدر للذة والسرور أو كجزء قيم من الذات يمهد ويعد قاعدة لتطور كل (صور) وأشكال احترام الذات والذي يساعد الطفل النامي فيما بعد في أن يقدر ويحب ويحترم ذاته الجنسية (أي الجنس الذي ينتمي إليه من حيث الذكورة والأنوثة).

- **حتمية اللعب أو قوى إنقاذ الحياة تكمن في اللعب:**

The Life - Saving Powers of Play

يمكن القول أنه من الحقائق الثابتة نسبياً في مجال النمو أن اللعب ضروري كالتنفس ، والطعام ، والنوم. فمن المؤكد أن الأطفال لايستطيعون أن يعيشوا بدون الهواء أو الطعام ، وبالمثل هم أيضاً لايستطيعون أن يبقوا لفترة طويلة دون لعب. ولايعني ذلك أنه لضمان بقاء الطفل على قيد الحياة أنه لابد على الوالدين أن يُمدوا طفلهم بكل أنواع اللعب أو أن يحثوه ويحضوه على الذهاب للعب بجمله : " اذهب والعب فإن اللعب مفيد لك " .. ولكنه مع ذلك يجب على الأمهات والآباء - منذ أن يولد الأطفال - أن يلعبوا مع أطفالهم في سياق من الأحداث الطبيعية. فكلنا نعرف كم هي مهمة أوقات اللعب المبكرة للطفل لأننا نعلم ماذا يحدث عندما يفشل الكبار في توفيرها لهم. والدليل المعبر عن هذه الحقيقة اكتشف صدفة من خلال

برنامج في مستشفى تعليمي يُدار من قبل مجموعة من الباحثين يعملـون مـع عالم النفس البارز رينيه سبيتز Rene Spitz.

وقد اكتشف هؤلاء الباحثون أثر الرعايــة المؤسسـاتية (الـتي توفرهـا المؤسسات الخاصة بالرعاية) على الرُضع وصغار الأطفال لـيروا مـا إذا كـان بإمكانهم اكتشاف السبب في ارتفاع نسبة الوفيـات بـين اطفـال دور الأيتـام بدرجة مأساوية. ففي خلال الثلث الأول من هذا القرن وربما اكـثر ، وبعـد سنوات من توفير الظروف الصحية الملائمة والتغذيــة الكافيـة في المؤسسـات ذات الإدارة الحسنة ، استمرت النسبة العاليـة مـن الوفيـات بـين الرُضـع واللقطاء في دور الايتام هناك.

وعندما درس رينيه سبيتز Rene Spitz (قبل عشـرين سـنة مضـت) الأطفال الذين وضعوا في دور الأيتام أثناء فترة طفولتهم وجد أنهم قد أظهروا اضطرابات عقلية وإنفعالية حادة ، وإذا ماعاشوا فإنهم بالطبع يصبحون أما متخلفين أو غير متوازنين.

وقد عانى الباحثون الكثير في سـبيلهم لاكتشـاف الأسـباب الخفيـة لهذه المآسي. وكانوا يتساءلون هل هناك شيء ما لايمكن اجتنابه في طبيعـة هذه المؤسسات (دور الأيتام) يعوق أو (يُعيق) نمو نزلائهـا الصغـار وأحيانـاً كثيرة – يؤدي في واقع الأمر إلى تدميرهم ؟

ولم تكـن الاجابـة عـن مثـل هـذا السؤال واضحـة أو مـن السـهل الحصول عليها إذ وجد هؤلاء الباحثون النفسيون دار أيتام واحـدة ، تصلـح للاجابة عن التساؤل الذي على أساسه يقومون بدراسـتهم ، واعتـبروا هـذه الدار بمثابة دار الحضانة العادية حيث يتلقى الرُضع والأطفـال مـن العنايـة مايسمح بنموهم وإزدهارهم.

وبدأ هؤلاء الباحثون بمقارنة هؤلاء الأطفال بصغار آخرين في مؤسسة أخرى تسمى " دار اللقطاء " Foundlings Home ومع نهاية السنة الأولى من عمر هؤلاء الأطفال صُدم الفريق بحقيقة مفادها أن الأطفال في الحضانة ينمون بصورة ثابتة تتناسب مع أعمارهم. فقد أرتفع متوسط "النسبة النمائية" * Developmental quotient (وهي شيء مقارب وشبيه بنسبة الذكاء) من ١٠١,٥ إلى ١٠٥ وكان هؤلاء الأطفال من الناحية الجسمية بصحة جيدة ويتصرفون كما يفعل الأطفال عادة في نفس سنهم. وكانت لديهم شهية كبيرة للطعام ويستمتعون بوجودهم مع الناس ، وكانوا يتحدثون ويتحركون بنشاط وطاقة وحيوية واضحة. وعند سن الثانية كان هؤلاء الأطفال يجرون (يركضون) مع أترابهم ورفقائهم ضحكاتهم تملأ المكان، بل كانوا مثيرين للإزعاج ، وتمكنوا من إطعام أنفسهم ووصلوا إلى قدر ملائم وكاف من حيث الوزن. وأخيراً كان لديهم كل مهارات طفل بلغ من العمر عامين وتربي في منزل.

* النسبة النمائية **Developmental quotient** هي العمر النمائي أو القياس البديل للنمو المشتق من العمر الزمني ويعرف إختصاراً بالأحرف .D.Q. أما العمر النمائي فهو قياس للنمو يعتمد على وحدات العمر أو مكافيء العمر. وعلى سبيل المثال ، فإن طفل الرابعة قد يكون لديه عمر نمائي مقداره ست سنوات (يكافيء في نموه الطفل العادي في سن السادسة) وذلك في المهارات اللغوية. ويستخدم المصطلح أيضاً ليعني القياس المتوسط للنضج كما اشتق من الاختبارات العديدة في مجالات نمائية عديدة. ويعرف المصطلح اختصاراً بالحرفين .D.A (جابر عبد الحميد ، علاء الدين كفافي ، ١٩٩٠، معجم علم النفس والطب النفسي ، انجليزي – عربي، ج٣، القاهرة: دار النهضة العربية، ص ص ٩٣٧ - ٩٣٨).

• الحرمان من اللعب يُعيق النمُو :

Play deprivation retards development

أما اطفال " دار اللقطاء " فقد كانوا مختلفين عن أقرانهم وأترابهم بدرجة محزنة ، فقد تدهورت حالاتهم تحت إيدي من يقومون برعايتهم. فقد انخفض متوسط ونسبة النمو (D Q) من (١٢٤) إلى (٧٢). ومع بلوغهم سن العامين بدوا كأنهم أطفال في عمر (١٠) عشرة شهور. فلم يكونوا قادرين على التحدث أو المشي. ولم يكونوا مدربين على استخدام الحمام. ونادراً ماكان أحدهم يستطيع الاعتماد على نفسه في الأكل. وأحياناً إذا ما لاحظ طفل ما اقتراب راشدا منه نجده يُستثار إلى درجة إنهمار الدموع بالإضافة إلى ظهور علامات أخرى تدل على الخوف الشديد إلى درجة الرعب. وأطفال دار اللقطاء كانوا كذلك أكثر عرضه للإصابة الشديدة بالأمراض. فقد مات منهم (٢٣) ثلاث وعشرون من (٨٨) ثمان وثمانين طفل أثناء انتشار وباء الحصبة ، وهو معدل مرتفع جداً بالنسبة إلى متوسط المعدل الذي يشيع بين الأطفال بشكل عام.

وهذا الاختلاف الهائل بين اطفال " دار اللقطاء "واطفال "الحضانة" يجعل المرء يتساءل عما إذا كان أطفال دار اللقطاء يأتون من بيئات أو سلالات أكثر فقراً ، أم أنهم كانوا من أصول وراثية ضعيفة. الحقيقة أن الأمر عكس ذلك فبالنسبة للوراثة كانت هناك عوائق وإصابات عديدة أمام اطفال الحضانة. أما دار الحضانة فقد كانت عبارة عن جناح للأطفال القُصر ملحقة بإصلاحية (سجن) للنساء. وأمهات الأطفال كُن نساء صغيرات سُجن بسبب ممارستهن للبغاء. وقد صُنفت الكثيرات منهن على أنهن متخلفات عقلياً. وبالرغم من ذلك نما أطفالهن على نحو مُغاير ومتباين بالنسبة للأطفال الرضع الموجودين في دار اللقطاء. فأطفال دار اللقطاء أتوا

من بيئات (خلفيات) متنوعة ، وورثوا سمات كان من الممكن على الأرجح أن تجعلهم "أفضل" من أطفال الحضانة.

وقد بات جلياً أن مايؤثر على الأطفال في كلا المؤسستين لم يكن في الطبيعة بل كان في التنشئة. فدار اللقطاء كانت بيئة متدنية (منخفضة) جداً مقارنة بدار الحضانة من حيث ثلاث جوانب مهمة. أولها : أن الأطفال في دار اللقطاء لم يكن لديهم أية اشياء للعب ، وعلى العكس في الحضانة حيث يُعطى الأطفال الكثير من الدُمي. ثانياً: كل طفل من الأطفال الرضع في دار اللقطاء كان له سرير (مهد) خاص به ولكن مع أوراق تُعلق على جانبي المهد ، ولذلك عاش الأطفال وكأنهم في حبس إنفرادي ومن ناحية أخرى كان أطفال الحضانة في غرفة كبيرة (عنابر) ، حيث كانوا قادرين على الثرثرة (التحدث) فيما بينهم ومع بعضهم البعض بطريقتهم قبل اللفظية Preverbal way (إذ أنهم في مرحلة ماقبل الكلام) وتثار حواسهم بما كان يدور حولهم ، فقد كانوا يرون الناس داخلين وخارجين ويستخدمون كل الاشياء المتاحة في الحياة اليومية. وبمعنى آخر كان لدى أطفال الحضانة الكثير الذي يتطلعون إليه ويكونون على وعي به. أما أطفال دار اللقطاء ، فقد كان لديهم القليل من الإثارة إذا كان هناك بالفعل مايستثيرهم. أما ثالث وأهم هذه الجوانب فيكمن في الحقيقة القائلة بأن أطفال الحضانة كان لديهم أمهاتهم اللاتي يأتين للحضانة يومياً من السجن، حيث يُلاعبن ويطعمن ويحممن ويحضن أطفالهن.

بينما في دار اللقطاء كانت هناك ممرضة واحدة تهتم بكل ثمانية أطفال. وهي بالكاد تجد الوقت الكافي لإطعامهم واستحمامهم. ولم يكن لديها أبداً وقت للعب معهم. إن وجود شخص يهتم بأن يحتضن الطفل ويلعب معه خاصة في سنوات عمره الأولى يبدو ظاهرياً كأنه ترف ، إلا أنه واقعياً يقرر مصير هذا الكائن الحي الصغير. فقد يعيش الأطفال الذين

يستمتعون بأوقات اللعب المحببة ، ويتعلمون أشياء كثيرة ، بينما قد يموت الآخرون الذين قُدر لهم أن يعيشوا حياة خمول وبلادة.

أهمية اللعب الاستكشافي : The Important Exploratory Play.

وعندما ينمو الأطفال الرُضع بحيث يتمكنون من المشي بخطوات صغيرة ، تمكنهم أنشطة اللعب من السيطرة المتزايدة على أنفسهم وعلى بيئتهم. فليس لدى الطفل أية قوة أو سيطرة على الآخرين أو الأشياء إلا عندما يسيطر على نفسه. وكلما أتسعت آفاق الطفل وازدادت قوته على نحو مميز ، يبدأ الصغير في الاكتشاف والامساك وقبض كل الاجسام (الاشياء) المنزلية كالأباريق ، والقلايات ، الكتب ، الزجاجات ، الاحذية ، والأدوات الأخرى الصغيرة غير المهمة ،وكل هذه الأمور يمكن النظر إليها على أنها العاب تربوية – فيما عدا بالطبع تلك التي تكون هشة سهلة الكسر والغالية وحتى الخطيرة منها – بالإضافة إلى الاغراض الأخرى المقصودة منها أصلاً أن يكون لعب الطفل تربوياً وهذه في حقيقة الأمر هي النقطة التي لايزال يدور حولها الكثير من الجدال والنقاش فيما يتعلق بسعي الطفل نحو معرفة الكيفية التي تحدث بها الأشياء ، وما الذي يجعلها تحدث على هذا النحو ، ولينشغل الطفل فعلياً فيما خططه له والداه أحياناً من إعاقة للعبه الاكتشافي الذي لايتوقف. فهما قد يقيدانه بصورة أو على نحو قد تدعوه للغضب فيصرخ. ويجب أن يصر الوالدان في أثناء هذه الصراعات حول الاهتمامات على طرقهم وأساليبهم الخاصة. ولكن يجب على الراشدين (الكبار) كذلك أن يضعوا نصب أعينهم أنه ليس هدفهم أن يُظهروا للطفل بأنهم أكبر وأقوى منه وأن لايغضبوه كثيراً. (على الرغم من أن هذا بالطبع درس ثانوي سيتعلمه الطفل الصغير). ذلك أن الدرس الجوهري الذي يتعلمه الطفل من مثل هذه المواجهات أن هناك حدوداً آمنه وسعيدة لممارسته للاكتشاف. ومن ثم يتاح للطفل أن يكشف

أنه من الممكن أن يثق بوالديه ويعتمد عليهما ليبقوه آمناً وليظهروا تقبلهما للإنجازات التي يقود ويؤدي إليها مساحة البحث وإرضاء حب الاستطلاع المسموح به. فهو يتعلم أنه على الرغم من أن تسلق رفوف (أرفف) الكتب ممنوع ، إلا أنه يستطيع الاعتماد على والديه في أن يوفروا له شيء مساوياً ومكافئاً في الإثارة والتحدي يمكنه أن يفعله عوضاً عن ذلك.

- **الدارج يزحف نحو كل شيء The Into-Everything Toddler**

بادىء ذي بدء ، يتعين على الآباء والأمهات أن يقاوموا الإشتراك والإنغماس مع الأطفال العنيدين في ألعاب القوة مهما كان عليه البنات أو الأولاد من غضب في هذه السن. إن الطفل الصغير الذي يضحك بمكر (ولايستطيع الوالدان بأي حال من الأحوال مجاراته في مشاعره تلك) عندما يلقي بالملعقة على الأرض المرة تلو الأخرى. أثناء كل وجبة ، غالباً ما يفعل ذلك ليغيظ أمه. وهذا أيضاً تعلم. ومع ذلك ، فإنه من الأمور الاساسية أن يطور الطفل قدرته على التقاط شيء ما ، ثم يتركه يذهب ، ثم يلقيه ، فهو بهذه الطريقة يكتشف أن الأشياء تسقط للأسفل لا للأعلى أو علىالجانبين ، ولهذا يمكن التقاطها وإعادتها.

وبواسطة كل أنواع محاولات الاستكشاف وحب الاستطلاع ، فإن لعب الاكتشاف يزود الأولاد والبنات بثروة هائلة حقاً من المعلومات المهمة؛ فهم على سبيل المثال يكتشفون أن الوسائد والاسفنجات (الحيوانات المحشوة) ناعمة ولطيفة عند حملها ، ويمكن إحتضانها أو الاتكاء والاستناد عليها ، وأن حوض الاستحمام صلب وقابل للتبلق ويصدر صوتاً مسلياً وممتعاً عند مايُضرب بقوة. وبأن الدرج شديد الإنحدار وممكن السقوط فيه. وبأن الحبوب المطهوة طرية ورقيقة ويمكن أن يتتبع أو يرسم فيها أنهاراً من الحليب (يلعب بالطعام في الطبق ويرسم أخاديد وطرق في

الطبق). وأن تشكيلة أواني المطبخ حارة وساخنة ويمكن أن تسبب ألماً. ويتعلمون من خلال اللعب أيضاً دروساً اجتماعية ، فالأخ الأكبر أو الأخت الكبرى قد تكون صديقة أو عدوة. وأحياناً قد يكون أو تكون مستعدة للعب والحماية ، وفي أوقات أخرى يكون أو تكون منافس عنيف حين يحاول الاستحواذ على الأم أو الاستحواذ على انتباهها واهتمامها. فالطفل الذي يمشي بخطوات صغيرة من الممكن أن يتعلم دروساً من الحياة أكثر قيمة ، عن التعاون والمنافسة ، وعن الحدود الآمنة للعدوان ، وأهمية محاسن ومميزات التآلف في اللعب يومياً مع الأخ أو الأخت أكثر من علاقته مع والديه.

وكل هذه الاكتشافات تتشكل (تتكون) من خلال اللعب مع الناس من حوله أو مع الدُمي أو مع الأدوات المنزلية العادية. وكل هذه الأشياء ماهي إلا جزء مما يمكن أن نسميه المنهج الخفي * The Hidden Curriculum لمرحلتي الرضاعة والمشي (Infancy and toddlerstage) فالتجارب اليومية تُعلم التفاؤل والثقة بالنفس والثقة بالآخرين ، وكذلك تعلم الحذر والخوف والاحتراس من الخطر.

- **الكيفية التي يبدأ بها التفكير المنطقي: How Logical thought Begins**

وهناك بعض الدروس المستفادة الأخرى تكمن أيضاً في اللعب اليومي المبكر فمن خلاله يتعلم الطفل الكثير عن الوقت والفراغ والمسافة – كم يبعد الشيء – في حدود طاقته وفي حدود الوقت الذي يستغرقه الانتقال من المهد إلى الباب ، كما يتعلم الطفل أن الأشياء التي غابت من مجال الرؤية أو اختفت على سبيل المثال : مجموعة من الأكواب المتداخلة أو العلب التي

---

* المنهج الخفي هو الأنشطة التي تقدمها المدرسة وتهدف بها إلى تدعيم قيم وأهداف غير تلك القيم والأهداف المعلنة (المترجم).

تتوارى بداخل بعضها البعض ، مازالت موجودة برغم اختفائها وتواريها.

وهذا درس في غاية الأهمية فيما يتعلق بالنمو الإنفعالي للطفل (فالأم أيضاً مازالت موجودة ومن الممكن أن تعود ثانية حتى وإن كانت خارج مجال الرؤية).

وكذلك هذا الدرس وغيره على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لنموه العقلي أيضاً. إن هذا التعلم المبكر يعزز قدرة الطفل على فهم الأفكار المجردة للحجم والمكان والبعد. كما يتعلم الطفل دروس الحياة اليومية من خلال وقوفه على السبب والنتيجة Cause and Effect ، وأيضاً من خلال اللعب عندما يكتشف مايمكن أن يفعله للأشياء مثل سحب دمية على شكل بطة بواسطة خيط – ومايمكن أن تفعله الأشياء له فأصبعه قد يؤلمه جداً إذا ضغط عليه بشدة مشبك الغسيل.

ويستحق هذا المظهر من مظاهر التعلم أن يكون جديراً بالاعتبار لما ينطوي عليه هذا النوع من أساليب للتعلم من خلال اللعب لاتنمحي عبر الايام والسنين على الاطلاق. أما الدروس اللاحقة التي تكتسب في المدرسة فهي قد تتعرض للنسيان في أغلب الأحيان ، ولكن الأشياء التي نتعلمها ونحن نلعب – مهما كانت عسيرة لكننا في نهاية المطاف نكتسبها ونحن نمزح – لا ننساها أبداً. وجميعنا ندرك أن الشخص حقيقة لاينسى قط كيف تعلم ركوب الدراجة – على سبيل المثال أو أساليب رمي الكرة أو أية مهارة أخرى يتعلمها الفرد بنفسه ، ويتدرب عليها مراراً وتكراراً حتى وإن لم تمارس المهارة لعدة سنوات. وكذلك أيضاً لاننسى أبداً النعومة المبهجة لوسادتنا المفضلة أو الضربة المؤلمة على الرأس التي أصبنا بها عندما زحفنا تحت الطاولة. ليس لأننا نتذكر مثل هذه الأشياء ونحن على وعي تام بها ، ولكن لأننا لطالما تعلمنا أشياء كثيرة من الطاولات الصلبة والوسائد الناعمة ،

ونأخذ طبيعتها كمسلمات على أساس ذلك التعلم المبكر. ونحن نسمح لكل هذه المعرفة بالهبوط إلىماهو أشبه بقبو العقل ، حيث نحتفظ بحمولات صناديق من الخبرات والتجارب. ولايستدعي الأمر منا التفكير في تلك الخبرات والتجارب ذلك أننا نمتلكها ونستطيع استدعائها وقتما نشاء ، ولذلك فهي تحدد أفعالنا وتصرفاتنا ليس فقط في المراحل التالية من الطفولة ولكن في مراحل الرشد كذلك.

- **القوة الشفائية للعب : The Healihg Power of Play**

تقول السيدة " جولدن " Mrs. Golden أنها إضطرت في شهر اكتوبر الماضي فجأة إلى السفر إلى مدينة " سبرنجفيلد " تقول: لأن والدي كان مصاباً بالقلب فقد استدعت حالته الدخول إلى المستشفى ، ونظراً إلى أنه يعيش بمفرده فقد اضطررت بكل بساطة للذهاب إلى هناك وإدخاله المستشفى بالفعل وظللت معه حتى تجاوز مرحلة الخطر وبالطبع بقى زوجي " بول " Paul مع الأطفال في المنزل ، تفهم طفلاي الكبيران الموقف جيداً وكانا في غاية العون لوالديهما. كما أنهما اعتنيا بأختهما الصغيرة "جودي " Judy والتي سوف تبلغ الثالثة من عمرها بعد عدة أشهر ، ولم يكن يعتني أحد بها سواي وظننت دائماً بما أنها آخر أطفالي فإنها لن تستطيع أن تحتمل ابتعادي عنها. وفي الليلة التالية لسفري أعدت لها أختها " كاثي " ، والتي تبلغ العاشرة ، طعام العشاء قال الجميع بأن الطفلة بدت أول الأمر محتارة جداً وأنها ظلت تبحث عني - وكانت على ما يرام بالرغم من ذلك ، فقط عند أوقات الطعام وعندما تذهب للنوم حينها تظل تسأل عن ماما. " وعندما رجعت إلى المنزل أصبت بالدهشة وقليلاً من المضايقة ، فابنتي جودي لم تعرني أي اهتمام على الاطلاق. وكانت تتصرف وكأنني إنسانة غريبة عنها ، وكان من الصعب علي ألا أتضايق وكانت مشاعري مجروحة بدون شك. كانت تجري نحوي وكأنها تريدني

أن أحملها ، ولكن ما أن افتح لها ذراعاي حتى تهرب بعيداً وتختبأ خلف الباب. وظلت تلعب هذه اللعبة مراراً وتكراراً لمدة يومين على الأقل.

- **قلب الأدوار من خلال اللعب : Turning the Tables Through Play**

يلعب كثير من الأطفال مثل هذه الألعاب وذلك بعد أن تتركهم أمهاتهم أو آباؤهم. فيضعون أنفسهم مكان الشخص الذي يحبونه ويعتمدون عليه والذي قد تخلى Deserted عنهم وكأنهم يقولون له سأريك مايكون عليه الشعور عندما يتركك شخص ما ويتخلى عنك حين تكون في أمس الحاجة إلى مساعدته ، أو كأنك تقول له : سألقنك درساً هذه المرة ، سوف أكون أنا الشخص الذي يرحل وسوف تكون أنت الشخص الذي يشعر بالوحشة والوحدة.

عندما يسيء شخص ما إلى طفل أو يخطىء في معاملته فإنه من المتوقع أن يضع الطفل نفسه مكان الشخص السيء بطريقة متخيلة ، وما أن يشعر الطفل بتحكمه في الموقف وأنه ليس عاجزاً أو تحت رحمة الآخرين يبدأ في الشعور بالتحسن.

في بعض الاحيان يتطلب الأمر الكثير من اللعب التخيلي للأدوار وذلك ليتمكن الأطفال من السيطرة على المواقف المفزعة لهم وهذا ماحدث لـ " بيتر " Peter البالغ الرابعة من العمر. كان طفلاً سليم البنية ، نشيطاً، وفجأة أصبح "بيتر " ذات ليلة مريضاً جداً استيقظ من نومه على أثر ألم شديد وبعد ذلك بقليل بدأ يتقيأ. لحسن الحظ جاء الطبيب على وجه السرعة وشخص الحالة بأنها التهاب حاد للزائدة الدودية. ثم نقل "بيتر" بسرعة إلى المستشفى وتقريباً أجريت له العملية فوراً. سار كل شيء على ما يرام من الناحية الطبية فبعد أسبوع فقط عاد " بيتر " إلى المنزل. كان

شفاؤه الجسدي سريعا" فهو لم يشعر بأي ألم وكان باستطاعته تناول كل شيء. وكان يبدو بروح معنوية عالية وفي أحسن حالاته - تماماً كما كان عليه من قبل - باستثناء شيء واحد. كان هناك شيء في أسلوب وطريقة لعبه يدعو للعجب والغرابة إلى حد كبير.

- **إحياء الخبرات المؤلمة : Reliving Painful Experiences**

ما أن عاد " بيتر " إلى المنزل ، حتى بدأ بممارسة لعبة العملية الجراحية Operation. كما أنه ترك ألعابه الخيالية المفضلة السابقة مثل لعبة سائق سيارة السباق ولعبة رجل الإطفاء. كان كل مايريد أن يفعله هو أن يلعب لعبة " العملية الجراحية " مراراً وتكراراً. وقد قام بإجراء عملية إزالة الزائدة الدودية لكل دمية لديه كانت على شكل حيوان وذلك لعدة مرات. كما أنه أيضاً قام بإجراء عملية جراحية وهمية لصديقه " ديفي " Davy.

وعلى الرغم من أنه لم يكن هناك شك في عدم رغبته إلحاق الضرر بأي شخص أو حتى جرح دمياته التي هي على شكل حيوانات فقد كانت عمليات " بيتر " الجراحية الوهمية على نحو تام - وأصبحت والدته متضايقة جداً فيما يتعلق بالموضوع كله. حتى أنها أخبرت " بيتر " بغضب بالتوقف عن اللعب على هذا النحو وقالت لنفسها : كنت اعتقد أن " بيتر" سوف يكون مسروراً لنسيان هذه الخبرة برمتها ؟ فلماذا أخذ يكرر أحداثها، أمن الممكن أن يكون هناك شيء غير صحي في استجابة " بيتر " لعمليته الجراحية ؟ ولهذا كله كانت أم " بيتر " منشغلة بهذا الأمر إلى الدرجة التي فكرت معها في إستشارة أخصائي نفسي كلينيكي بشأن سلوك إبنها. وقد تمكن الاخصائي النفسي بالفعل من إراحة بالها مطمئناً إياها

بأن رد فعل " بيتر " كان صحياً تماماً ؛ وفي الواقع كان ذلك هو الطريق الطبيعي لإعادة " بيتر " إلى حالته السوية العادية غير المضطربة.

وحقيقة الأمر أنه كان من الممكن أن يكون " بيتر " مسروراً جداً لنسيان كل شيء يتعلق بعملية استئصال زائدته الدودية ، وقد ساعدته لعبة " العملية الجراحية " في تحقيق ذلك. إن أحد الوظائف الهامة لهذا النوع من لعب الأدوار المعكوس – Reverse role Playing – هي مساعدة الأطفال على تمثل الخبرات المفزعة أو الصادمة والتغلب عليها وآية ذلك أن الرحلة العاجلة في منتصف الليل إلى المستشفى والألم والغثيان والأدوات الطبية ذات المظهر المخيف والأشخاص الغرباء الذين يرتدون الكمامات كل هذه الاشياء لابد أنها كانت مفزعة بالنسبة " لبيتر " . وبالرغم من وجود والديه وشرحهم وتفسيرهم لما كان يحدث فإن " بيتر " كان مذهولاً وعاجزاً تماماً وخصوصاً أن هذا كان إجراءً طارئاً لم يتهيأ له ، كما لو كان الأمر سيحدث في عملية لاستئصال اللوزتين حسب موعد محدد مسبقاً والأمر المؤكد أن التهيئة المسبقة والمخطط لها سلفاً والتي تضع في اعتبارها أن تراعي المشاعر والأحاسيس في مساعدة الطفل على التعايش مع المسببات الطبيعية للقلق التي قد تثيرها مثل هذه الواقعة يمكن أن تساهم إلى حد بعيد في تجاوز هذه الخبرة المؤلمة ، أو ماشابهها. فعلى سبيل المثال ، قد يبدأ والدي الطفل بأسلوب مطمئن وأمين بإخباره سلفاً عن العملية الجراحية بأسبوع أو أكثر ، واصفين ماسيفعله الأطباء لحنجرته حتى تتعافى. فالطفل مثل الشخص الراشد يشعر بتحسن – وتحكم أكبر – إذا كانت لديه فكرة عما سوف يحدث ، ولماذا ؟ أما الطفل الصغير الذي يتم اخباره بشأن عمليته الجراحية ، ثم يقرأ كتاباً مصوراً عن ذلك ، ويزور المستشفى سلفاً كما يعلم أن والدته سوف تكون معه عندما يذهب للنوم وحين يستيقظ هذا الطفل يكون بمنأى عن الصدمة التي ربما يتعرض لها نتيجة الزج به بشكل غير متوقع في مواقف مثيرة للخوف. ولكن في حالة غياب مثل هذا الإعداد أو

مثل هذه التهيئة ، قد يساعد الأطفال أنفسهم ، وذلك بعد التغلب على الأمور المسببة للقلق عن طريق لعب الأدوار * Role Playing.

وهكذا قام " بيتر " بإعادة تمثيل إجراء عمليته الجراحية - مع وجود فارق مهم وحاسم. فقد غير " بيتر " دوره من ضحية عاجزة إلى شخص قوي وهكذا فقدت هذه الواقعة هولها تدريجياً وأصبحت محايدة. وفي النهاية عندما تم السيطرة عليها بشكل تام ، حينها لم تعد تثير إهتمامه على الاطلاق. من هنا يمكن القول أن القدرة على التغلب على القوى المعرقلة للأحداث المفزعة عن طريق إعادة تمثيلها - مرات ومرات - وإتخاذ دور الشخص المسؤول تعتبر إحدى الوظائف الاساسية للعب الأدوار الخيالي في مرحلة الطفولة المبكرة. وهذا مماثل نوعاً ما للتعبير القهري بواسطة الكلام والذي يستخدمه الراشدون في مواقف مماثلة. فعلى سبيل المثال سردت " مسز سميث " Mrs. Smith's لتفاصيل عملية جراحية أجرتها واعادتها مراراً وتكراراً لجمهور مهتم للغاية بسماعها وهذا خفف عنها حدة معاناتها إلىحد كبير. مع أن الراشدين لايعبرون عن الألم أو القلق ظاهرياً والتي ربما تثيرها أحداث كهذه بداخلهم ، إلا أنهم غالباً مايحتاجون إلىالحديث عنها أو الكلام حولها. كما أنهم ربما " يعيدون تمثيل " Replay ربما في أحلام اليقظة وأثناء النوم أيضاً - تلك الأحداث التي تعرضوا خلالها إلى صدمات. ومثلما فعل " بيتر " في لعبه التمثيلي الذي قام به بشكل فطري ، فهناك عدة مقاييس وإجراءات أخرى تساعد الناس على التعايش مع التوتر والسيطرة عليه وهذا معناه أنهم في طريقهم إلى إستعادة توازنهم بالسيطرة على ذواتهم وأحوالهم.

---

* لعب الدور : **Role Playing:**
أسلوب تعليمي إرشادي يتضمن قيام الفرد بتمثيل دور معين بطريقة نموذجية تهدف إلى تعلمه ذلك الدور أو إلى فهم أفضل للمشكلات التي يواجهها عند القيام به (المترجمان).

• العلاج النفسي المهني باللعب : Proffessional Play Therapy

يعد اللعب أيضاً وسيلة مجدية في العلاج الطب - نفسي المهني بالنسبة للأطفال فعندما يظهر الأطفال علامات تدل على أنهم يعانون ضغوطاً إنفعالية حادة - على سبيل المثال : التعرض لكوابيس متكررة ، الإتيان بسلوك يتسم بدرجة عالية من العدوانية أو على العكس أي الإتيان بسلوك إنطوائي حاد فغالباً مايكون العلاج النفسي باللعب وسيلة الطبيب الرئيسية في الكشف عن مصدر مشكلات الطفل وبالتالي معاونته في التغلب عليها. ويستخدم اللعب كوسيلة علاجية* نفسية مع الأطفال لعدة أسباب. أولاً : أن الأطفال لم يتمكنوا من اللغة والتعبير المجرد الذي يجعلهم قادرين على مناقشة مشكلاتهم وغضبهم ومخاوفهم. بالإضافة إلى ذلك فإن ما يفعله الأطفال الذين يتميزون بثبات إنفعالي بصورة طبيعية من السيطرة على المخاوف من خلال اللعب الخيالي - يكون من العسير أو المستحيل في الغالب تحقيقه بالنسبة للأطفال ذوي الاضطرابات الحادة فقد يكون قلقهم شديداً لدرجة أن يشل خيالهم ويكف مقدرتهم على اللعب وهكذا يشجع الطبيب الطفل أولاً على اللعب ربما بجلوسه على الأرض أو دعوة الطفل إلى اللعب بالدمي أو القطارات أو المكعبات أو بأدوات الرسم ثم بملاحظة طبيعة لعب الطفل - موضوعاته ، نماذجه ، مثبطاته ، محدداته ، تكراراته - ومن ثم يكتسب الطبيب القدرة على إدراك مابداخل الطفل والاستبصار بنفسيته ، لذلك يصبح اللعب هو اللغة التي ينبغي على

---

* العلاج باللعب : Play therapy:
أسلوب علاجي يستخدم في الغالب مع الأطفال الذين يعانون من مشكلات إنفعالية ، حيث تتاح لهم فرص التعبير عن الخوف ، أو الكراهية ، أو العدوان ، أو القلق ... أو غيرها من الإنفعالات من خلال أنشطة تستخدم فيها الدمي واللعب والمباريات.
(لمزيد من التفاصيل عن العلاج باللعب يمكن الرجوع إلى · كلارك موستاكس (تأليف) ، عبد الرحمن سيد سليمان (ترجمة) ، (١٩٩٠) : علاج الأطفال باللعب . القاهرة : دار النهضة العربية).

الطبيب أن يحل شفراتها. (وبالطبع يعتبر اللعب أيضاً لغة الأطفال الأصحاء من الناحية الإنفعالية). وأخيراً من خلال ارشادات الطبيب الحساسه ومشاركته للطفل في لعبه يستطيع أن يساعد الطفل المضطرب بأن يخفف من قلقه ويتغلب على مشكلاته.

- **الإعداد للمدرسة : Preparation for School**

تعتبر كل أنواع اللعب في الطفولة المبكرة سواء كان اللعب متعلقاً بالتعلم الصفي أم لا ذات فائدة لايمكن إنكارها. وفي الحقيقة تعتبر ممارسة اللعب بصفة عامة إعداداً جيداً للمدرسة ، وعلى سبيل المثال تعد لعبة صندوق الرمل مع الأكواب والملاعق والمقادير والمناخل وغيرها ليست فقط متعة بشكل قطعي وواضح فالملمس الناعم للرمال أو الهرس الممتع للطين ماهو إلا تدريب للأيدي الصغيرة على المهارات العضلية (التي سوف يحتاج الطفل إليها عندما يتعلم الكتابة) كما تنمي أيضاً التآزر الحركي بين العين واليد (والذي يعتبر أمراً أساسياً للكتابة أيضاً) وعلاوة على ذلك فهو يساعد بالمثل في تعلم مفاهيم أخرى مثل ممتلىء ، نصف ممتلىء ، خال ، تقريباً ، أقل وأكثر ، وغيرها (وكلها مفاهيم جوهرية وضرورية لفهم الجمع والطرح والمهارات التي تكتسب أولاً والمفاهيم الرياضية كذلك).

واللعب أيضاً – في واقع الأمر – لايساعد فقط على نمو المهارات العقلية في حل المشكلات ، بل هناك أدلة متزايدة على أن اللعب هو أفضل إعداد لأطفال الروضة في تنمية وتطوير مثل هذه المهارات عما لو استخدمت التعليمات ذات النوعية الخاصة مثل تعليم المهارات الرياضية باستخدام الأرقام أو الألعاب التي تعقد على سبيل المسابقات. ومن بين الدراسات التي أشارت إلىهذا المنحى الأخير ، تلك التجربة التي أجريت منذ عدة سنوات مضت في مركز حضانة في مدينة بوسطن وكان من الباحثين القائمين

بهذه الدراسة " د. جيروم برونر " Jerome Bruner وكان حينئذ يعمل بجامعة هارفارد وفي الوقت الحاضر يقوم بمثل هذه الدراسات " واطس " Watts أستاذ علم النفس بجامعة اكسفورد ، واثنان من مساعدي د. برونر بجامعة هارفارد هما د. كاثي سيلفا " Dr. Kathy Sylva ود. " بول جينوفا " Dr. Paul Genova.

- **اللعب وحل المشكلات : Play and Problem Solving**

عرضت مشكلة على ثلاث مجموعات من الأطفال (حوالي ٢٠٠ مائتي طفل تقريباً) تتراوح أعمارهم بين الثالثة والخامسة من العمر لحلها وكانت المشكلة كالتالي : كيف يمكن إخراج قطعة كبيرة من الطبشور الملون من علبة شفافة ، علماً بأن هذه العلبة الشفافة وضعت ... على طاولة بعيدة عن متناول أيديهم ، بدون مغادرتهم الكراسي التي يجلسون عليها وكانت الأدوات المطلوبة لإنجاز هذه المهمة عصاتان ووصلة a Clamp حتى يمكن توصيلهما معاً. وهما جميعاً في متناول اليد وقد اتيحت لأطفال إحدى المجموعات فترة من اللعب الحر بالعصى والوصلة قبل بدأ التجربة ، وعرض عليهم كيف يمكن تثبيت الوصلة في إحدى العصايتين ، أما المجموعة الثانية من الأطفال فلم يحظوا بفترة لعب تمهيدية ، ولكن عرض عليهم الكيفية التي يمكن بها وصل العصاتين معاً باستخدام الوصلة. وأما المجموعة الثالثة فلم تمنح لهم فترة على الاطلاق وعرض عليهم فقط إمكانية تثبيت الوصلة بإحدى العصاتين وقد تم إعطاء المجموعات الثلاث إشارات توضيحية Informative Hints. خلال إجراء التجربة كسؤالهم مثلاً عما إذا كانوا قد استخدموا كل شيء يخطر على بالهم والذي قد يساعدهم في حل هذه المشكلة وكان يتعين على الباحث إن هم فشلوا في إحداث أي تقدم رغم كل ماقدم لهم ، فإن عليه حينئذ أن يقدم لهما العصاتان بأن يمسك نهاية العصايتين مع بعضها بينما يسأل الأطفال عما إذا كان باستطاعتهم وصلهما

معاً بواسطة الوصلة وقد أظهرت النتائج أن نسبة عالية من أطفال مجموعتين تمكنوا من حل المشكلة دون أية إشارات أو تلميحات وهؤلاء كانوا هم الأطفال الذين لعبوا أولاً وأولئك الذين عرض عليهم المبدأ المرتبط بالحل قبل إسناد المهمة إليهم فقد كان أداء هؤلاء الأطفال أفضل بكثير من أطفال المجموعة الثالثة. بالإضافة إلى ذلك استفاد الأطفال الذين لعبوا أولاً وإلى حد كبير جداً من الإشارات المعلوماتية بشكل أفضل بكثير من أي من المجموعتين الأخريين. إن أعظم الأمور إهمية في هذه التجربة هي أن الأطفال الذين لعبوا أولاً كانوا أكثر إندماجاً وإنخراطاً في النشاط اللعبي الجماعي. كما عبر عنه علماء النفس كانوا Goal - Directed * موجهين نحو الهدف كما كان واضحاً أنهم نظروا إلى المشكلة على أنها لعبة وثابروا فيها. وكان أفرادها أكثر ميلاً وأكثر إحتمالاً أن يبدأوا بحلول بسيطة وغير ملائمة ولكن في نفس الوقت أن يتقدموا بثبات نحو الحل الصحيح خلافاً لأطفال المجموعتين الأخريين. وبالرغم من أن كثيراً من الأطفال ، الذين شاهدوا الحل أولاً ، تمكنوا من حل المشكلة من المحاولة الأولى فأغلب أولئك الأطفال الذين لعبوا أولاً تغلبوا على المشكلة بدون إشارات توضيحية أو تلميحات وذلك بعد أن قاموا ببداية غير ناجحة. وخلال مناقشة التجربة ، لاحظ د. برونر " Dr. Bruner " أن الأطفال الذين أدوا التجربة بروح اللعب والمرح كان احساسهم فورياً ومسؤولاً فقد التزموا بالهدف أكثر واستسلموا بصعوبة .. وكانوا يشعرون بالسعادة عند حل المشكلة.

---

* سلوك موجه نحو الهدف **Goal - directed behavior** السلوك الذي يبدو متصلاً بجهود الكائن الحي لبلوغ الهدف. وهو من مصطلحات السلوكيين الجدد ، ويستهدف خدمة نفس الوظيفة السيمانتية التي يخدمها مصطلح عقلي هو الغرض (جابر عبد الحميد جابر ، علاء الدين كفافي ، ١٩٩٠ معجم علم النفس والطب النفسي، ج٣، القاهرة : دار النهضة العربية ، ص ١٤١٩).

• تعلم اللغة : Language Learning

تعتبر إثارة الدوافع الذاتية خاصية للعب الحقيقي وسمة مميزة له، فهي التي تعين الطفل على التفوق في أداء أية مهمة وربما يكون هذا الأمر أكثر وضوحاً بشكل مثير وأساسي في عملية اكتساب الطفل الصغير للنطق السليم وذلك يحدث في الغالب قبل سن الرابعة بقليل فالطفل في هذه السن بإمكانه أن يستخدم أعداداً وافرة من المفردات وهذا في حقيقة الأمر يعد إنجازاً مذهلاً ، نظراً لطول المدة التي يستغرقها الراشد - والذي يتحدث بشكل جيد ويفهم تركيب اللغة مسبقاً - في تعلم لغة جديدة.

وعلى الرغم من أنه من المستحيل تحديد الفترة التي يبدأ عندها الطفل بتعلم لغة الأم ، إلا أن المرء يمكنه طبعاً ملاحظة بداية التعلم في فترة مبكرة في الشهر الرابع أو نحوه ، عندما يبدأ الطفل الرضيع بالمناغاة * Babble حيث يلهو بالأصوات لمجرد اللهو. وخلال عدة شهور يكون الطفل قد حقق المعجزة التي تتمثل في ربط الأصوات التي يصدرها الآخرون وتلك التي يصدرها بنفسه ، بالأشخاص والأشياء. وحينها يقوم بنطق الكلمات الحقيقية الأولى ، ومن ذلك الوقت فصاعداً يلعب الأطفال بالكلام بلا توقف.

ويشير " د. برونر " في مقالته اللعب كصيغة وأسلوب لترجمة وتفسير الواقع Play as a Mode of Construing the Real إلى أنه بكل تأكيد يمكن القول أن اتقان الطفل للغة الأم تعد أعقد الملامح العقلية التي يمكن

---

* تمثل المناغاة : Babbling بدايات النمو اللغوي لأنها الأصوات التي تسبق النطق ، وهي مقاطع الكلمات والأصوات التي تصدر عن الرضيع عند بلوغه الشهر السادس. وعادة ماينظر إلى المناغاة كعملية ممارسة في سبيل النطق وتشكيل الحروف من شأنها أن تيسر نمو القدرة على الكلام فيما بعد (جابر عبد الحميد جابر ، علاء الدين كفافي ، ١٩٨٩ ، معجم علم النفس والطب النفسي ، الجزء الثاني ، القاهرة· دار النهضة العربية ، ص ٣٤٣).

أن ينجزها الطفل الصغير وهي عملية لايمكن أن تحدث بأي حال من الأحوال تحت إكراه الكدح للوصول إلى أهداف حقيقية ، وإنما يمكن أن يحدث ذلك في مواقف اللعب. وبالفعل يشير " د. برونر "إلى أنه إذا لاحظت سلوك الأطفال الذين يتعلمون النطق لتوهم وعزلت المرات الجادة (عندما يكون باستطاعة الطفل حقاً استخدام مهارات لغوية جيدة للحصول على مايريده بشغف) عن المرات الأقل جدية ، فسوف تجد بأن الفروض اللغوية الأكثر جرأة تستنبط في اللعب وليس في آتون الضرورة والحاجة".

وكلام " د. برونر " عن الطريقة التي يسلي بها الأطفال الصغار أنفسهم (خلال السنة الثالثة من العمر بصورة نموذجية) باللعب بأنواع متنوعة من الجمل. ويعلم الأطفال الصغار أنفسهم قواعد لغتهم من خلال التحدث بصوت عال وغالباً مايكون في التأمل وفي استغراق الفكر على نحو منفرد وهم يتدربون على صياغة أنواع متباينة من الجمل ويتنقلون من زمن إلى آخر ومن صيغة مزاجية إلى أخرى على سبيل المثال ، من صيغة تقريرية أو صيغة الأمر ، أو صيغة الاستفهام ، إلى صيغ أخرى ، وهلم جرا. كما قامت الباحثة اللغوية " روث وير " Ruth Weir بتسجيل الكلام المنفرد لأبنها البالغ من العمر عامين ونصف في الليل قبيل أن يغلبه النعاس وبالإضافة إلى أصوات اللعب – والتلفظ بكلمات وعبارات مسجوعة واستخدام بدايات ونهايات الكلمات ذات إيقاع واحد كأنها جناس مثل القصيدة التي يقول مطلعها " أبي يرقص " – لاحظت " وير " اكتشافاً يتعين وضعه في الاعتبار وهو خاص بالقواعد المتعلقة بتراكيب الجمل. وذكرت أن مناجاة ابنها لنفسه كثيراً ماتتضمن اختيار النماذج النحوية والتي يطرأ عليها الابدال في أحد خانات الاطار النحوي والتتابع في بعض الكلمات مثل مالون ، مالون البطانية مالون المسحة التي ننظف بها أرض الغرفة ، مالون الزجاج وما إلى ذلك ... وهذا كله يعتبر تدريباً في إبدال

الأسماء. وتتابع آخر يظهر في بعض عباراته مثل إذهب احضـر القهـوة Go get Coffee إذهب إشتر بعض القهوة – go buy some coffee – فهـو كمـا يتبين تدريب في إبدال الأفعال. والخلاصة كما لاحظتها " وير " أنه خلال أوقات تسلية طفلها يتم التدرب على تراكيب الكـلام والنحـو بشـكل كبـير لدرجة أننا في بعض الأحيان نشعر وكأننا نستمع لدرس بلغة أجنبية.

• **حاجة الطفل إلى التوقعية : The Child's Need for predictability**

خلال السنة الثالثة من النمو ، وربما بعد ذلك ، يلعب الأطفال بما يمكن تسميته بالطريقة المفتوحة والتي تعـني الشـاملة والبعيـد عـن تحقيـق هدف ما ، وهذا معنـاه أنـه بـالرغم مـن أنهـم إلى – حـد كبـير – يعلمـون أنفسـهم كـل مايحتـاجون لتعلمـه تقريبـاً ، مـن خـلال اللعـب ، إلا أنهـم يكونون غير مهتمين على المستوى الشعوري بقواعد أو بناء وتراكيب اللعـب أو الألعاب ولكن ما أن يبلـغ الأولاد والبنـات حـوالي سـن الرابعـة ، حتـى يأخذ لعبهم شكلاً وغاية Shape and Purpose ومن ثم يرون ضرورة أن تكون للألعاب بداية ، ووسط ونهايـة. وأحـد الأشـياء الـتي يتعلمهـا الأطفـال في حـوالي هـذه السـن هـو أن حيـاتهم ، وعوالمهـم تتكـون مـن تتـابع منطقـي للأحداث. ففترة الظهيرة تأتي بعد الفطـور ووقـت النـوم يـأتي بعـد تنـاول العشاء ، وأن الشعر يمشط في النهاية أي بعد أن يتم إرتـداء الحـذاء ولهـذا فإنه إذا كانت تلك الطريقة هي التي تعود عليها طفل الروضـة عنـد إرتـداء ملابسه – فإن الوالد الذي يغير هذا الترتيب ناسـياً ، سـوف يقـوم الطفـل بتصحيحه بصرامة.

ويبدي الأطفال عناداً مماثلاً عندما يتعلق الأمر بالألعاب أو اللهـو – مصرين على إتباع روتينهم الثابت. فعلى الأرجـح أن الصبي الـذي يلعـب

دائماً على مراجيح الملعب ، قد يثير شجاراً إذا رغبت أمه في إصطحابه إلى مكان آخر عوضاً عن اللعب بتلك المراجيح.

ونفس الشيء يتكرر عند رواية القصة ، يجب إتباع الترتيب الصحيح وهذا يعرفه أي والد حاول أن يتخطى صفحة أو اثنتين من صفحات قصة مغامرات ذات الشعر الذهبي والدببة الثلاث..... إلخ.

كما أن الآباء والمدرسين في الروضة الذين يرغبون في تغيير الروتين اليومي المعتاد أو طريقة لعب إحدى الألعاب الجماعية المفضلة لدى أطفالهم وذلك تحت ضغط ظروف خاصة عليهم الا يفقدوا صبرهم نتيجة إحجام الأطفال عن المضي قدماً في الترحيب بمثل هذه التغييرات ومايعبر عنه الأولاد والبنات حقيقة ، حين يرفضون في عناد تنفيذ الأشياء بطريقة جديدة أو مختلفة عما اعتادوا عليه هو الحاجة إلى التوقع في حياتهم وبالتالي لفهم بيئاتهم. وهذا هو مايجعل الطفل الصغير يشعر بالامان وبالتحكم في المساحة الصغيرة التي أو الذي يسكنها ويؤثر فيها كذلك مايبدو وكأنه عناد من قبل الأطفال هو في الواقع تأكيد على وعي الطفل النامى بتعقد العالم ، وتعبير عن محاولات الصغير للقيام بوظائفه بكفاءة في ذلك العالم.

وهذا لايعني بطبيعة الحال أن الراشدين يجب أن لايغيروا الإجراءات المعتادة على وجه الاطلاق ، ولكن هذا يعني أنهم حين يعتزمون التغيير ، فإنه يتعين عليهم أن يتعاملوا بصورة إيجابية مع اعتراضات الطفل الحقيقية والتي هي في الواقع ليست تقلباً في المزاج وإنما هي تصرف مبني على أساس حاجة طبيعية. لذا يجب على الآباء والأمهات أن يفسروا سبب القيام بالأشياء بشكل مختلف ، وما سوف يلي ذلك وماهي

المميزات المحتملة والفوائد التي يمكن الحصول عليها من حدوث بعض الوقائع والاحداث غير العادية.

وكما يلاحظ الشخص في لعب الطفل الصغير أن هناك وعياً وحاجة إلى ترتيب منطقي للأحداث التي توجد في حياته اليومية – أو بمعنى آخر الطريقة التي يجب أن تكون عليها فكذلك أيضاً في اللعب يمكن للطفل أن يتفهم جوانب أخرى من علاقاته وخبراته.

الفصل الثاني

دنيا اللعب الواسعة

الفصل الثاني

دنيا اللعب الواسعة

- التكرار من أجل الحقيقة.
- تنمية الشعور بالذات.
- اللعب الخفي واللعب غير الموجود.
- اللعب المنفرد واللعب الجماعي.
- القيام بأدوار البالغين.
- بداية الصداقة.
- الحيوانات كزملاء لعب.
- الحيوانات الأليفة تقوم بدور صمام الأمان للمشاعر والاحاسيس.
- اللعب لدى الطفل المعاق.
- خرافة الحالة السوية.
- كيف يعمل اللعب على مساعدة الطفل المعاق.

الفصل الثاني

دنيا اللعب الواسعة

The Expanding World of Play

• التكرار من أجل الحقيقة : Rehearsal for Reality

يشعر الوالدين أحياناً بعدم الإرتياح والضيق نحو الطفل الذي يشغل نفسه كثيراً باللعب الإيهامي * make - believe play خصوصاً إذا كان الصغير يلعب مع شخص متخيل Imaginary person (أي مع الرجل الصغير غير الموجود) أو مع حيوان أليف غير مرئي يصادقه فهو يتظاهر باللعب فعلاً بالإضافة إلى اللعب مع صديق يتخيله * وهذا النوع من أكثر أنواع اللعب فائدة وقيمة بالنسبة للطفل وربما هو أقيم أنواع اللعب جميعاً

---

* اللعب الإيهامي : Make - believe play :
نمط اللعب الذي يسود في الطفولة – والمبكرة خصوصاً – حيث يسجح نشاط اللعب للطفل الصغير بالتعبير الحر عن إنفعالاته بما فيها من مشاعر سلبية أو عدوانية مكبوتة فيسقطها على لعبه ، وليس هناك مايمنع من أن يعبر عن العدوانية والكراهية نحو هذه الألعاب بدون خوف من عقاب أو بدون ممانعة الكبار. (جابر عبد الحميد جابر ، علاء الدين كفافي ، ١٩٩٢، معجم علم النفس والطب النفسي ، ج٥، القاهرة: دار النهضة العربية ، ص ٢٠٤٧).

* الصديق المتخيل أو الرفيق الخيالي : Imaginary Companion :
إنسان أو حيوان أو موضوع وهمي يخلقه الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة (من سن الثانية إلى سن الخامسة). ويعطي الطفل لهذا الرفيق الخيالي إسماً ويتحدث معه ويشاركه مشاعره ويلعب معه وقد يستخدمه ككبش فداء لأعماله الخاطئة أو المنكرة – حيث يدعي أن رفيقه هو الذي فعل الأعمال الخاطئة أو هو الذي دفعه إلى عملها. وظاهرة الرفيق الخيالي تكون منتشرة بدرجة أكبر عند الطفل الوحيد الذي ليس له أخوة أو الطفل الأعزل من الاصدقاء ، ولكنها ليست أكثر شيوعاً بين الأطفال من ذوي المشكلات الإنفعالية من غيرهم والأطفال الاذكياء أكثر عرضة لخلق هؤلاء الرفاق وبناء خيالات مناسبة ومتقنة حولهم من الأطفال الأقل ذكاءً ويسمى أيضاً رفيق اللعب الخفي Invisible Playmate (جابر عبد الحميد جابر ، علاء الدين كفافي ، ١٩٩١، معجم علم النفس والطب النفسي ، ج٤، القاهرة: دار النهضة العربية ، ص ١٦٧٤).

حيث يشغل فيها الطفل نفسه خصوصاً طفل ماقبل المدرسة ، ذلك أن هـذا اللعب ينمي عند الطفل القـدرة علـى الإبتكـار ، والقـدرة الذهنيـة والقـوة الإنفعالية والإستقرار النفسي وكذلك ينمي – إلى درجة عجيبة مثيرة للدهشة – الشعور بالمتعة والسرور والتعود علـى كونـه إنسـاناً سـعيداً. فـالعديد مـن الدراسـات – خاصة الجديد منها بالإشارة تلك التي قام بهـا علمـاء النفـس بجامعة " ييل " Yale وهم جيروم ودوروتي سينجر Jerome and Dorothy singer أوضحت أن الأطفال في سن ما قبل المدرسـة والذيـن يشـتمل لعبهـم على كم جديد بالاعتبار من اللعب الإيهامي والخيال لديهم مهـارات لغويـة متقدمة عن سواهم من الصغار الذين يملكون ذكاءً متكافئاً لهـم (كمـا يقـاس باختبارات الذكاء المقننة). ويقومون بالأدوار بشكل أفضل ودالاً احصائيـاً في مختلف المهام التي تستلزم الاستنتاج العقلي. وقد أشـار " سـينجر " إلى أن اللعب الخيالي واللعب الإيهامي يزودان الأطفـال بوسـائل وأسـاليب خاصـة ليتعايشـوا مـع المتطلبـات الذهنيـة بالإضافـة إلى المتطلبـات الإنفعاليـة والاجتماعية للبالغين.

وهناك من علماء علم النفس النمائي – من هؤلاء على سـبيل المثـال لا الحصر : جيروم برونر Jerome Bruner وكاثرين جارفي Catherine Garvy من جامعة جونز هوبكنز Johns Hopkins University ولويس بـاركلي مـورفي Lois Barclay Murphy مـن مؤسسـة مننجـر فاونديشـن Menninger Foundation قد أكدوا أيضاً على الفوائد العديدة للعب الخيالي الـذي يبـدأه الأطفال بقولهم : " دعنا نتظاهر باللعب " Let's pretend play فهـذا النـوع من اللعب يمثل فيه الصغار أدوار الكبار كدور الأم والمعلمة والبـائع وهكـذا. فالوظـائف كأسـاس مرحلـي آمـن يتخذهـا الأطفـال ليجربـوا جميـع أنمـاط السلوك التي سيحتاجونها مستقبلاً في المواقف الحقيقية. ومن خلال التظاهر باللعب يبدأ الأطفال في الفهم الجيد لمعنى سلوك النـاس الآخريـن وينمـون أنواع مريحة ومقبولة من الأساليب السلوكية بأنفسهم. ومن هنـا يبـدأون في

اكتساب الثقة الحقيقية بالنفس والقائمة على ماقد تعلموه من خلال اللعب في مقابل مجرد التطاول والذي عادة ما يعكس الإحساس بعدم الأمان الناجم عن الجهل وعدم المعرفة.

كما وجد جيروم سنجر Jerome Singer الدليل أيضاً على أن الأطفال الذين يشغلون أنفسهم بقدر معقول من اللعب الإيهامي فإنهم يكونوا أقل ميلاً من الآخرين من حيث العدوانية ومعاداة غيرهم وهم أيضاً قادرون بشكل أفضل على تحمل الاحباطات والإعاقات عن غيرهم من الأطفال الذين لا ينشغلون في الالعاب الإيهامية والخيالية لأي سبب كان. فهؤلاء الأطفال أفضل من غيرهم في تقاسمهم اللعب مع الأطفال الآخرين ومشاركتهم لهم. وهم أقل حاجة لمساعدة الوالدين والكبار الآخرين لهم.

وهناك جانب على درجة كبيرة من الأهمية في اللعب الإيهامي الا وهو دور الوالدين في مساعدة الطفل في تنمية ميله نحو الإنهماك في مثل هذا النوع من اللعب وذلك باشتراكهم بالألعاب الإيهامية التي يقترحها الطفل نفسه كأن نقول له اجلس على طاولة الطعام وأنا سأكون الجرسون فأقوم على خدمتكم. أو بأن يبدأ الوالدين في سرد قصة ويقوم الطفل بإكمالها باحداث من خياله. لذلك يتعين على الوالدين والمشرفات في الحضانة تقبل خيال الطفل الجامح والخصب في هذه الفترة ودعمه من خلال تمهيد الأرضية الكافية للنمو الكامل لقواه الخيالية وإشعاره بالبهجة عند إستخدام هذه القوى. فأي بالغ قد شارك في مثل هذه الألعاب مع أي طفل صغير يتعين عليه ملاحظة ثراء خيال الصغير وسروره الواضح في سرد القصة تلو الأخرى.

إن اللعب الخيالي – بصفة عامة – يشتمل على أكثر من مجرد صنع المواقف وإسناد الأدوار ليقوم الطفل بتمثيلها أو اللعب مع صديق

يتخيله ، فهو أيضاً يشتمل على قصص فكاهية والعاب مبنية علـى قصـص قد حكاها له الكبار أو صنعها الطفل نفسه من خلال مشـاهدته لفيلـم رائـج شائع بين الناس أو شخصية تلفزيونية فكلها قصـص مختـارة يقـوم الطفـل بتحديد الأدوار فيها بنفسه لنعرف من خلالها الكثير عن إهتمامات الصغـار في سياق اللعب وعن الأوقات التي نعيشها.

- **تنمية الشعور بالذات : Developing A sense of Self**

تحتاج أية طفلة صغـيرة في هـذه الأيـام إلى قصـة تقـوم بتمثيلهـا أو شخصية ترسمها ولذلك يمكن أن يكون اختيارها إختيـاراً جيـداً كـأن تقـوم بدور مكتشفة في فيلم حرب النجوم Star War وتقـوم بعمـل بطـولي جـريء خارج نطاق الأرض مفضلة ذلك على أن تختار دور تمثيلي مليء بالمشكلات كما في فيلم Little Red Riding Hood القزم الأحمر وهو في الطريق إلى بيـت جدته أو أن تقوم بدور في مسرحية تكون من نسيج خيالها. ومـن ثـم يمكـن لها أن تقرر أن تكون طبيبة أو مهندسة مفضلة ذلك على أن تكون ربة بيت وأم أو ربما معلمة. وعلى أية حال – ومهما يكن من أمر – فاختيارها يشبه اختيار مثيلاتها من البنـات الصغـيرات منـذ جيـل أو جيلـين مضيـا فهـي تقريباً موقنة من أنها تختار إمرأة تكون نموذجهـا الـذي تحتذيـه وأن هـذا النموذج ليس رجلاً.

إن الأعمـال والمهـن والوظـائف الجديـدة العديـدة وأنمـاط الحيـاة أصبحت مفتوحة الآن لكل من الرجل والمرأة في الحياة الواقعية بالإضافة إلى التمثيل في التلفاز أو الأفلام الخيالية التي تنعكس بالتالي على لهـو الأطفـال الصغار والعابهم ، ومانشهده في عصرنا الحالي ، ومـا سـوف نشـاهده علـى الدوام ، هو رغبة أطفال ماقبل المدرسة في أن يتخذوا مـن الكبـار مـن نفس

جنسهم نماذج يقلدونها سواء كانت هذه النماذج واقعية أم مثالية. فالبنات يتظاهرن بأنهن نسوة والأولاد يتظاهرون بأنهم رجال *.

ولهذا السبب يجب علينا أن نعيد طمأنة الوالدين والشرفات الذين يخشون من تشجيع الأطفال ماقبل المدرسة من كلا الجنسين على اللعب بالدمي كلها حتى التي لاتناسب جنسهم ، فعند بعض الآباء والأمهات اعتقاد خاطيء أن اللعب بكافة أنواع اللعب يمكن – بطريقة ما – أن يدمر الرجولة الأساسية عند الأولاد والأنوثة الأساسية عند البنات.

والأمر ليس كذلك على الاطلاق فالسماح للأولاد باللعب بالعرائس واللعب الخاصة بأدوات المطبخ إذا قاموا باختيارها لن يجعلهم يشعرون بالخنوثة والسماح للبنات باللعب بحرية بالشاحنات وسيارات المطافيء والقطارات والدمي الأخرى التي تناسب طبيعة " الأولاد " لن يجعلهم بنات مسترجلات وإنما ذلك يمنح الأطفال من كلا الجنسين فرص جيدة لتنمية جميع جوانب شخصياتهم وبشكل كامل.

---

* يطلق الباحثون في مجال علم النفس النمائي وأيضاً في مجال الصحة النفسية للطفل على هذه العملية مفهوم "توحد" Identification. وبموجب هذه العملية يربط الفرد نفسه على نحو لصيق مع أشخاص آخرين ويتخذ لنفسه خصائصهم وآرائهم. وتأخذ هذه العملية صورا عديدة : فالرضيع يشعر أنه جزء من والدته ويبدأ الطفل تدريجياً في تبني إتجاهات والديه ومعاييرهما وسمات شخصياتهما. أما المراهق فيقبل بخصائص حماعة الرفاق ، وأما الراشد فيتوحد مع الأحزاب السياسية أو الجماعية المهنية. والتوحد عملية تتم على المستوى اللاشعوري أو المستوى نصف الشعوري إلى حد كبير. وقد تستخدم كعملية دفاعية بمعنى أن تتحالف الذات مع الآخرين فيتوفر لها مصدر للأمن ومضاد للقلق (جابر عبد الحميد ، علاء الدين كفافي ، ١٩٩١، معجم علم النفس والطب النفسي ، ج٤، القاهرة : دار النهضة العربية ، ص ١٦٥٨).
وهناك أمثلة كثيرة لتوضيح عملية التوحد – وهي عملية مركبة إلى حد كبير – منها على سبيل المثال : صبي السادسة الذي يشعر بالفخر حين يشهد أباه يهزم منافسه في التنس. والبنت الصغيرة تشعر بأنها كبيرة حين ترتدي صدرية أمها وتحاول أن تخبز فطيرة والبنت في العاشرة تشعر بالخزي حين يلقي رجال الشرطة القبض على أبيها ، أو حين تودع أمها في مستشفى الأمراض العقلية. وفي كل مثال من هذه الأمثلة يسلك الطفل وكأن له أو لها بعض خصائص الوالدين. فالولد الفخور يشعر وكأنه هو الذي غلب في مباراة التنس ، والنبت تسلك وكأن لها مهارات أمها وهي تتهيأ لخبز الكعكة. وبنت العاشرة تتصرف وكأنها هي – لا الأب أو الأم – قد قبض عليها أو أودعت المؤسسة. فالأطفال في هذه الامثلة الثلاثة يشعرون ويسلكون على غرار النموذج (أي الأب أو الأم) لأنهم متوحدون مع النموذج (جون كونجر ، يول موسن ، جيروم كيجان (تأليف) ، أحمد عبد العزيز سلامة ، جابر عبد الحميد جابر (ترجمة) ، ١٩٨٧ ، سيكولوجية الطفولة والشخصية ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ص ٣٣٦).

• اللعب الخفي واللعب غير الموجود أيضاً :

Ahidden plus of Nonsexist play

إن العديد أو ربما أغلب الرجال والنساء في هذا العصر لديهم فهم بسيط تجاه بعضهم البعض أو لنقل أن هناك وعي بسيط حيال بعضهما البعض لأن الشخص من الجنس المقابل يشبه نده في أمور كثيرة وبشكل أساسي – وحتى الرجال الذين يعتقدون أن النساء مخلوقات مختلفة عنهم بشكل مبالغ فيه على وعي بهذه الحقيقة. بشعور مماثل فإن معظم النساء لايدركن تقدير حقيقة الشكل الذي يكون عليه الرجل أو عن أفكاره وأحاسيسه كرجل. والحقيقة أنه من الطفولة المبكرة فصاعداً فإنه يتعين على الذكور والإناث أن يجتازوا أساليب متباينة من التنشئة الاجتماعية وبشكل متزايد وعلني حتى نستطيع الاجابة عن تساؤل مؤداه أن الرجل والمرأة يستطيعان بشكل دائم القيام بمشاركة وجدانية ما تجاه بعضهم البعض كآدميين إذا تجاوزنا عن ذكر أنهم سيكونون فيما بعد شركاء زواج.

ولايعني ماسبق – بأي حال من الأحوال – أن خبرات وتجارب اللعب بهذا المعنى الواسع تقود إلى شخصية مصقوله " Rounder Personality " سوف تزيل الاختلافات المميزة بين شخصية الرجل وشخصية المرأة. ومن ناحية أخرى يجب أن نؤمن بأن خبرات اللعب التي تنمي مايسمى بسمات ومهارات الأولاد في البنات والعكس أي تلك التي تنمي سمات ومهارات البنات في الأولاد ربما تزيد من طبيعة الفهم والمشاركة الوجدانية بين الجنسين عندما يكبرون وهذا ربما يقلل من حدة سوء الفهم والاتجاهات العدائية والتي هي واضحة بين الرجل والمرأة هذه الأيام.

والقصة القصيرة التالية التي تحكيها لنا إحدى الأمهات عن طفلتها الصغيرة تلقي الاضواء وتشد الإنتباه إلى مايتم تغييره ومايبقى دون تغيير وبالطريقة التي يختار فيها الأطفال – في هذه الأيام – نماذجهم من الكبار ليحذو حذوهم في حياة المستقبل.

القصة تدور حول الطفلة الصغيرة " فال Val " البالغة من العمر أربعة أعوام وأمها الطبيبة وكان الحوار بينهما عما تريد أن تكونه " فال " حين تكبر فتسأل الأم طفلتها : ماذا تريدين أن تكوني في المستقبل ؟ وكانت الأم تتوقع من الطفلة أن تجيبها بأن ترغب في أن تكون فنانة أو بستانية لأنها تعلم أن الطفلة تحب الرسم والتلوين وتهتم كثيراً بالنباتات. لكن البنت تجيب الأم بأنها تريد أن تكون طبيبة مثل أمها وطبيبة عادية، قالت : " أريد أن أكون طبيبة عادية مثلك يا أمي ".

من هذه القصة تتكشف حقيقتان : الأولى هي أن الصغيرة " فال " تسلم جدلاً أن الأمهات يصبحن طبيبات وصياغة الطفلة بعبارة " طبيبة عادية " تشبه إلى حد ما عبارة " ربة بيت " فالأمر عادي ولايوجد ماهو خاص فكلا المهنتين أو النوعين من العمل شاق وخاص. والحقيقة الثانية هي أن القصة تكشف لنا معنى هام جداً وهو أن نموذج الطفلة لعملها المستقبلي يتمثل في أمها. فالمهن تتغير وماتقوم به الأمهات يتغير لكن البنات الصغيرات يردن أن يصبحن مثل أمهاتهن.

• اللعب المنفرد واللعب الجماعي: Playing Alone, Playing Together

يستمتع الأطفال ويستفيدون من اللعب بصحبة الآخرين وهذا يبدأ من مرحلة المشي فصاعداً ، غير أن اللعب الاجتماعي لدى أطفال ماقبل سن المدرسة يكون غالباً إنفرادياً فضلاً عنه جماعياً فكل من الطفل " كيب"

Chip والطفلة ميتشيل Michelle يبلغان من العمر أربعة أعوام ويلعبان معاً في بيت أسرة البنت. فتتجه البنت نحو زاوية الحجرة حيث توجد عرائسها والعابها بينما يلعب " كيب " مرتدياً خوذة رجل المطافىء الحمراء ويسير وعربة الاطفاء أمامه وتذهب الطفلة في عربة دميتها والتي توجد فيها العديد من الحيوانات المحشوة والعرائس وتلقي بها جميعاً خارج العربة الصغيرة ماعدا قطة صغيرة حديثة الولادة وفوق رأسها قبعة وردية وتبدو أن هذه هي لعبتها المفضلة حيث تضعها برقة تحت البطانية ثم تبدأ ميتشيل تحرك العربة في شكل دائري كما لو أنها تريد أن تأخذ الدمية في نزهة. كل ذلك و " كيب " يراقب ماتقوم به ميتشيل من تحت قبعته وعندئذ تقول له : "أنت أبوها وأنا أمها" .. " هيا يا أبي جاء موعد الغذاء " وهنا يتجهم الولد فيقول : " لا أستطيع يجب علي إطفاء الحريق " ويلوح بابتسام يوحي بالعظمة ويصعد على صندوق متظاهراً بإدارة عجلة القيادة مصدراً أصواتاً عالية ومزعجة ثم يشغل صفارة الإنذار الوهمية. وكل هذا يحدث والبنت مشغولة بأعمالها الخاصة غير مكترثة بالولد تداعب دميتها وتقول: "حان موعد الأكل ياصغيرتي ثم تقبل أنف الدمية وتجلسها على كرسي عال على طاولة الطعام مجهزة ثلاث أماكن وثلاث أطباق وملاعق وفناجين ثم تأخذ قطعة من الصلصال تشمها وتهرسها وتدقها وتقطعها إلى شرائح ثم تضع منها قطعة في طبق الدمية وتقول بجدية " تفضلي كلي نصيبك من الهمبرجر " ثم تمسك بالدمية وتوبخها بغضب " ماذا مرة أخرى .. تلك الطفلة بللت سروالها مرة أخرى وسكبت حليبها ... سألقي بها خارج النافذة" وتصفعها ، ثم تتمالك أعصابها ، وتقول لقطتها في لغة جادة " اذهبي إلى سريرك الآن. إنك بنت سيئة "تخاطب قطتها الدمية وكأنها طفلة حقيقية ثم تصفعها صفعة أخرى لكن هذه المرة الصفعة أخف حدة من الصفعة الأولى ثم تعيدها إلى عربة الدمي مبدية السرور من نفسها (كما لو أنها تريد أن تقول قمت بعملي على خير وجه فأنا مسئولة هنا) ثم تسير " ميتشيل " إلى الناحية الأخرى من الحجرة حيث يوجد " كيب ".

• القيام بأدوار البالغين : Trying out Adult Roles

هناك مظهران مهمان من مظاهر احتياجات الأطفال ونموهم يمكن إدراكها من هذا الموقف المثالي أولهما كما لاحظنا من قبل أن البنت "ميتشيل" Michelle تختار دور المرأة بينمنا الولد " كيب " Chip يختار دور الرجل ليقوما بتمثيله.

فماذا عن اختيار البنت ؟ وهل استعجالها في صفع الدمية يعني أنها ستضرب أطفالها عندما تصبح أماً وأنها سوف تكون أماً مؤذية ؟ أو هذا الأمر غير وارد بطبيعة الحال. إن لعب الطفلة ميتشيل يكشف أن مايضايقها أكثر من النساء البالغات هو أنهن مسؤولات وأنهن ذكيات ذوات كفاءة وأنهن في دور القيادة ويملكن ذلك في قوتهن ليصبحن عطوفات ومتسامحات بالإضافة إلى أنهن حازمات وهذا هو ماترى الطفلة نفسها في المستقبل. إنها تريد أن تكن مثل المرأة التي تعرفها جيداً وهذه المرأة هي أمها.

ومن الواضح أن الطفل " كيب " لايتخذ من والده نموذجاً له كما فعلت " ميتشيل " بتمثيل دور أمها وأغلب الظن أن هذا يرجع إلى أن الولد لايملك " المادة الخام " Row Material الكافية ليقوم بدور الأب فهو لايعرف كثيراً عن تفاصيل مهنة الأب ليقوم بتمثيلها في لعبه .. لذلك فهو يختار بدلاً من ذلك مادة يعرفها من القصص التي سمعها عن الرجال الأبطال الأقوياء وهو يشبه " ميتشيل " فيما قامت به من تمثيل دور الكبار في أثناء لهوه ، الكبار الذين هم في موقع المسؤولية والأشخاص الذين يمكنك الاعتماد عليهم ويعجبونك.

فمع نمو الأطفال ونضجهم تصبح إهتماماتهم مختلفة جوهرياً عن طريقة الوالدين في الحياة. لكن الرغبة المبكرة لدى الطفل تصبح متكافئة مع رغبتهم الأولى.

- **بداية الصداقة : The Beginning of Friendship**

إن مانفهمه من القصتين السابقتين للطفل "كيب" والطفلة "ميتشيل" واللتان تمثلان نوعاً من اللعب الملائم لسن الطفلتين فعلاً لكنه غير متطابق في بعض تفصيلاته. هو بداية الصُحْبة Componionship. فالأطفال في هذا السن يصلون إلى نوع من مرحلة ماقبل الصداقة Prefriendship stage. فهما لايزالان متمركزان حول نفسيهما ، Egocentric إلى حد بعيد ومنشغلان جداً في تطوير معنى الذات الخاص بكل منهما ليصبحا قادرين على الفهم الجيد لأفكار أي طفل آخر أو ليستجيبا وجدانياً لاحتياجات أي طفل آخر. وهذه هي القدرة على تكوين الصداقة الحقيقية ، وهي تلك القدرة والإرادة ليتماثلا مع شخص آخر إلا أن ذلك يحتاج إلى سنين عدة مستقبلاً. فخلال سنوات ماقبل المدرسة يشعر الأطفال بالآخرين تدريجياً وعن طريق الملاحظة وتكييف أنفسهم مع المتطلبات الخارجية التي تواجههم (بإقتسام العابهم ولهوهم مع بعضهم البعض). فهم بذلك يطورون متطلبات الصداقة الحقيقية.

- **الحيوانات : زملاء لعب Animal Playmates**

إن الحيوانات المدللة * Pets يمكن أن تكون ذات قيمة خصوصاً عند الأطفال الذين لايزالون صغاراً جداً على إستنتاج المساندة الإنفعالية التي

---

* الحيوانات المدللة Pets حيوانات أليفة تقتني على سبيل الاستمتاع لا الاستفادة.
(منير البعلبكي ، ١٩٩١ ، المورد قاموس انجليزي - عربي ، بيروت : دار العلوم للملايين ، ص٦٧٨).

تأتي مع الصداقات الحقيقية مثل إقتسام المشاعر والاحاسيس وإقتسام تحقيق المعرفة الشخصية. والحيوان كزميل لعب يخدم الطفل كصديق حميم يشاركه مغامراته ويقدم له العزاء في وقت الشدة أو التعاسة.

فليس مستغرباً إذن في أن يتوق كل طفل إلى إمتلاك حيوان أليف. ونفس الشيء لايمكن دائماً أن ينطبق على الوالدين على أية حال خصوصاً إذا كانت الأسرة تعيش في شقة صغيرة. ويمكن للوالدين في هذه الحالة أن يستشهدوا بشكل صحيح تماماً بما يرونه من ملايين الأطفال نشأوا دون أن يمتلكوا كلاباً أو قططاً أو حتى حوض سمك وأصبحوا متوافقين بشكل تام مع بيئتهم وأقرانهم. إذن لماذا القلق؟ .. ومع ذلك فإن الوالدين الذين يكون لديهم تردد في إمتلاك حيوان أليف يصبح هذا الحيوان محبوباً حباً عميقاً من جميع أفراد الأسرة إذا وافقوا على إمتلاكه.

والعديد من الوالدين الذين يوافقون على طلب الطفل بإمتلاك حيوان أليف يتصرفون تصرفاً سليماً إلى حد كبير لأنهم يعتقدون أن إمتلاك الطفل كلباً أو قطة سيعلم الصغير أن يتحمل المسؤولية فمثل هؤلاء الآباء قد يصابوا بخيبة أمل ... فعليهم هنا أن يعلموا أن الاعتماد على النفس أو الشعور بالمسؤولية لاتكتسب بين ليلة وضحاها ، ولكنها تنمو وتتطور مع الطفل بالتدريج. ففي سن العاشرة أو الثانية عشرة يكون الأطفال ناضجين بما يكفي لأن يكونوا مسؤولين عن مخلوق آخر. لكن أطفال ماقبل المدرسة وأطفال المدرسة الصغار لايتوقع منهم أن يقوموا بإطعام الكلب أو القطة بشكل منتظم وبالتأكيد لايأخذون الحيوان المدلل في نزهة أو ينظمون للحيوان جدول يومي. إن القيمة الحقيقية من إمتلاك الحيوان هو إعتباره زميل لعب للطفل فهو يقدم للطفل مرآة من نوع خاص يرى الطفل فيها نفسه. فالطفل والحيوان موجودان معاً دائماً والحيوان دائم الوفاء سواء كان الطفل جيداً أو سيئاً. والطفل يقتسم لعبه مع أخته الصغيرة أو يأخذها منها

متذكراً بأن يقوم بترتيب حجرتـه أو أن يقطـب جبينـه أو أن يصـرخ علـى أمه.

إن الأطفال الصغار يريدون أن تشاركهم حيوانـاتهم اللعـب وتتقاسـم معهم الألعاب فهم لايدركون لماذا لايحب الكلب مضغ اللبان أو لمـاذا تكـره القطة إرتداء ملابس العروس الدمية وتذهب في العربة للتجول. لكن مع ذلك فالأطفال يحبون حيواناتهم الأليفة وهم مثل حيواناتهم لايشـكون مـن أحـد ودائماً يتوقون إلى أن تشـاركهم هـذه الحيوانـات العـابهم.. فالأطفـال حقـاً يسعدون حين يلعبون نوع الألعاب التي تحبها حيواناتهم مثل لعبـة Catch and Frisbee التي يستمتع بها كلاً مـن الأطفـال والحيوانـات الأليفـة علـى السواء.

إن أطفال ما قبل المدرسة يمكن أن يصبحوا مغرمين جـداً بـالكلاب وهذا قد يؤدي في بعض الاحيان إلى إحساس الأم بشيء مـن مشـاعر الغـيرة والضيق تجاه هذا الحيوان. ومثال على ذلـك عندمـا قـدم الجـد إلى حفيـده الصغير " هانك " Hank كلباً من نوع البيجل Beagle * هدية بمناسبة عيد ميلاده قالت أم " هانك " إنني موافقة على الهدية بكل تأكيد وإنني أعتقـد أن الكلب سيعلم الصغير الشعور بالمسؤولية ونحن أخبرناه بأن الكلب كلبـه وعلينا أن نساعده تماماً للإهتمام به. وبالفعل أهتم الصغير "هانك" بـالكلب بالقدر الذي كنت أتوقعه منه. إلا أن هذا بالنسبة لي كأنه يوجد لـدي طفـل آخر أهتم به أيضاً ، ورغم ذلك فليس هذا هو الأمر المهم وإنمـا المهـم إنـني بدأت أشعر أن طفلي يبتعد عـني شـيئاً فشـيئاً ولم يعـد طفلـي الأول الـذي كان يلتصق بي ، وفعلاً يمكن أن أقول أن " هانك" قد تغـير تمامـاً ، فقـد أصبح مسرفاً وسـخياً في حبـه لكلبـه لدرجـة أنـه لايقبلـني عندمـا يكـون بصحبته.

* البيجل **Beagle**: كلب صيد صغير القوام ناعم الوبر (المورد، ١٩٩١: ٩٨).

• الحيوانات الأليفة تقوم بدور صمام الأمان للمشاعر والأحاسيس:

Pets Provide A Safety Valve for Feelings:

إن الذي لم تدركه أم " هانك "هو أن هناك إحتمال آخر هو الذي جعل طفلها يتصرف بشكل مختلف تجهاها حتى لو لم يمتلك كلب صيد جديد. فمع بلوغ سن الرابعة أو حواليها نلاحظ أن العديد من الأولاد يبدأون في التضايق من إظهار عواطفهم نحو والديهم في حضور الغرباء. فالمعانقة والتقبيل تجعلهم يشعرون بالخجل فهم يعتقدون أنه يجب عليهم أن يتصرفوا برجولة كالكبار. لكن طفل في مثل هذا العمر لايزال في حاجة إلى قدر كبير من القرب الجسدي فإذا كبر قليلاً أصبح دون أن نرى ذلك في عينيه ، خجولاً أن يطلب من والديه أن يُقبلاه أو أن يقبل هذا القرب فهو يستطيع إظهار أحاسيسه دون أن نرى ذلك في عينيه. كما يستطيع أن يظهر شعوره تجاه كلبه بنفس الطريقة.

نخلص من هذا إلى أن الحيوانات الأليفة يمكن أن تكون عوناً عظيماً لنمو الأطفال بطريقة أو بأخرى. لذلك يتعين أن نضع في اعتبارنا الروتين اليومي Daily Routine للطفل وأن نكون أميل إلى تقبل كل أنواع المطالب والتقييدات وأن نضع في الحسبان النواهي والأوامر التي يتلقاها الطفل الصغير من الوالدين يومياً بدءاً من " توقف عن إثارة الضوضاء.. " إلى " ضع العابك بعيداً قبل خروجك " .. إلى " أنت دائماً تتشاجر مع اختك وتثير المتاعب معها " .... إلخ.

وهذه الحال من شؤون الطفل المنزلية ليست خطأ أحد. فالأطفال يجب عليهم تعلم التعايش مع الآخرين ، وعلى الوالدين القيام بهذا الدور. فالوالدين ربما يتذمران من وقت لآخر من تصرفات الصغار ذلك من وجهة نظر الأطفال وهنا أيضاً قد يأتي دور الكلب أو القطة فهما قد تزودان الطفل

بما لايمكن للوالدين القيام به لأنهما يتقبلانه تماماً ولايعترضان أبداً على تصرفاته – فحيوان الطفل يُظهر الصغير أنه محبوب ، صحيح ، مثالي عندما لايقوم بذلك أحد آخر. فامتلاك الطفل لحيوان يحبه بدون شروط يعلم الطفل شيئاً عظيماً هاماً هو أن الطفل يستحق العناء المبذول في سبيله فعلاً وأنه يستحق أن يحظى بالأهمية والقيمة بشكل حقيقي واقعي.

كما أن الحيوان الأليف الذي يمكن الإعتماد عليه ليس فقط الصديق الحميم للطفل وإنما هو أيضاً أحد أعظم الحلفاء الذين يعتمد عليهم الطفل ألا وهم الوالدين. فمن مهام الوالدين تربية الأولاد وأن يكونوا مستقرين وآمنين على المستوى الإنفعالي وهذا أحد الجوانب التي يتيحها الحيوان الأليف للطفل فهو دائماً متنفساً ومنفذاً لمشاعره وأحاسيسه أو لنقل هو صمام أمان لهذه المشاعر.

• اللعب بالنسبة للطفل المعوق : Play for the Handicapped Child

كما رأينا فإن اللعب هو الوسيلة الأولى للنمو الكامل عند الجميع. وعلى وجه الخصوص عند الأولاد والبنات المعاقين عقلياً وجسمانيا. * ومن خلال اللعب وخصوصاً اللعب المشترك مع أفراد الأسرة صاحبة الشأن وكذلك الأصدقاء. وحتى الأطفال المعاقين أو المتخلفين عقلياً بشكل حاد يمكنهم الإستفادة من اللعب بشكل خارق وصادق.

---

* الإعاقة العقلية Mental Handicap : حال أو عامل يؤثر في الوظيفة العقلية سلبياً بحيث يؤدي إلى تدني الأداء العقلي عن المتوسط أو عن مستوى العمر الزمني (جابر عبد الحميد جابر ، علاء الدين كفافي ، ١٩٩٢، معجم علم النفس والطب النفسي ، ج٥، القاهرة : دار النهضة العربية ، ص٢١٤٩).

أما الإعاقة الجسمية Physical Handicap : فهي وجود عاهة أو نقص جسمي يعوق أداء الوظائف الجسمية والنفسية على نحو سوي (وتقدر بعض الإحصاءات الإنتشارية نسبة وجود الإعاقات الجسمية بين طلاب المدارس بخمسة عشر طالبا في كل عشرة آلاف أي بنسبة ٠,١٥٪) (جابر عبد الحميد جابر ، علاء الدين كفافي ، ١٩٩٣، معجم علم النفس والطب النفسي ، ج٦، القاهرة : دار النهضة العربية ص ٢٧٩٠).

فمنذ زمن بعيد في مجتمعنا أخفينا الأطفال المعاقين عن الانظار ، بحيث ظل الطفل المعاق خلف الأبواب المغلقة في المنازل وأحياناً في المؤسسات ، ونحن كمجتمع أو كأفراد قد حولنا أبصارنا عن عدم الرضا وعن الضرورة التي يمكن أن نشعر بها للقيام بشيء ما نحو سوء حال المعاقين من الأطفال إذا رأيناهم يومياً. ونحن مانسمى بالناس الأصحاء لانرغب في أن نعذب أنفسنا بمنظر هؤلاء المعاقين.

إنه من الصعب توجيه اللوم إلى الأب أو الأم. فالوالدان اللذان لهما أولاد أو أطفال معاقين جسمانياً أو عقلياً أو كليهما معاً-كما هو الحال غالباً - سواء كان ذلك وراثياً أو من الإصابة أثناء الولادة أو بسبب مرض أو حادث بعد الولادة يقال لهم جميعاً حين يلتمسون العلاج في المستشفيات والمؤسسات مراراً وتكراراً أنه لا فائدة من علاج أطفالهم ولايوجد مايمكن عمله تجاههم. وهنا يصاب الآباء بالقهر عن طريق الشعور بالعجز عن تقديم العون لهم ولأبنائهم ويصابون بالشعور بالذنب أو الخجل لأنهم غير قادرين على إبتكار وسائل لبناء حياة أسرية جيدة أو معاونة الطفل المعاق. وقد يوافق الآباء على إرسال أطفالهم المعاقين ليعيشوا في مؤسسات داخلية خاصة في حين لو توفرت لهم الوسائل والمعلومات لكان في إستطاعتهم أن يمكنوا أطفالهم من العيش والإنتعاش داخل أسرهم. لكن لايوجد هناك خيار.

لكن أغلب الأطفال المعاقين وكذلك كبار السن الذين يمكنهم القيام بأعمال جيدة في المدرسة أو المنزل أو المجتمع المحلي ينقصهم الدعم اللازم والمعلومات المفيدة لهم ولأسرهم لذلك يبقون في الإقامة الداخلية بالمؤسسات. وقد اكتشف أن هؤلاء المعاقين لديهم طاقات كامنة وهي طاقات متزايدة يمكن الإستفادة منها ويتم ذلك عن طريق مشاركة الطفل المعاق في أنشطة اللعب لتنمية قدراته المختلفة.

• خرافة الحالة السوية * : The Myth of Normality

في الواقع أنه لايوجد شيء إسمه طفل سوي Normal Child وبالغ سوي A Normal Adult بل حتى نمو عادي. توجد فقط متوسطات Averages فالمعاقين والأصحاء هي كلمات نستخدما لوصف نوعيات معينة أو حالات لنوع أو لآخر. فالجميع لديه نسبة من الإعاقة ونسبة من سلامة الجسم وربما لا هذه ولا تلك.

فمن المحتمل أن لا أحد على قيد الحياة لايحمل جينات لعيب واحد أو لعدة عيوب وأحياناً هذه العيوب تكون غير ظاهرة أو متنحية فالجينات المتنحية والعيوب التي تنقلها بفعل الوراثة قد لاتظهر فينا لكنها يمكن أن تظهر في أولادنا والعديد منا يحمل عيوباً يمكن أن تظهرها الفحوصات الدقيقة ومن ثم نحن معاقين بدرجة أو بأخرى غير أننا لسنا على وعي بهذا ويمكن لنا أن نعوض هذه العيوب خلال مرحلة طفولتنا.

• كيف يعمل اللعب على مساعدة الشخص المعاق :

How Play Works to Help the Handicapped.

إن العديد من المهارات التي تنمو وتتطور كأمر طبيعي عن طريق وسائل اللعب التلقائية بين معظم الأطفال العاديين يمكن تعليمها للمعاقين من خلال اللعب الموجه. فعلى سبيل المثال أبسط الأدوات يمكن أن تفي

---

* الحالة السوية (أو السواء) : **Normality**: في الطب النفسي وعلم النفس ، مفهوم السوية مفهوم عريض يكافيء على نحو تقريبي الصحة العقلية. ولايوجد مقياس صارم دقيق للسواء النفسي ، ويتفاوت المفهوم من ثقافة إلى أخرى ، إلا أنه تتوافر معايير مرنة لتمييز السواء عن الشذوذ وهي: التحرر من الصراعات الداخلية التي تجعل الفرد عاجزا وغير مؤهل ، القدرة على التفكير والفعل بطريقة منظمة وفعالة على نحو معقول ، والقدرة على التصدي لمطالب الحياة العادية ومشكلاتها ، والتحرر من الكرب الإنفعالي المتطرف كالقلق واليأس. والاضطراب المستمر وغيبة أعراض واضحة للاضطراب العقلي كالوساوس والمخاوف المرضية والخلط وفقدان الوجهة ... إلخ. (جابر عبد الحميد جابر ، علاء الدين كفافي ، ١٩٩٢، معجم علم النفس والطب النفسي ، ج٥ ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ص ص ٢٤٢٧ ، ٢٤٢٨).

بالغرض مثل إستخدام حبل بلاستيكي طويل ، مكعبات خشب ، فناجين متداخلة ، وكرة إسفنجية صغيرة بحيث تكون مناسبة ليد الطفل الصغيرة، وكرة كبيرة لإستخدامها على الشاطىء بحيث تتحمل وزن الطل ، وعلى الوالدين أن يشاركوا في هذه الألعاب مع طفلهم المعاق ، لأن ذلك سوف ينمي بشكل ملحوظ القوة عند الطفل والمقدرة الذهنية والتآزر الحركي ، والكفاءة ، والفهم.

إن الألعاب تساعد المعاق ليس فقط لأنها تنمي مهارته الجسمية والعقلية لكن أيضاً لأنها تثري نشاطه بأسلوب قد لاتثيره الأنشطة الأخرى عندما تؤدي بروح اللعب والمرح ، فالأطفال المعاقين وحتى المتخلفين عقلياً بشكل حاد لديهم أحاسيس مثلهم مثل أي شخص آخر ، وعندما يتركون بعيداً عن أنشطة الأسرة وعندما لايلعب معهم أحد من أفراد الأسرة ينعزلون ويصيبهم الإحباط ويصبحون غير قادرين على مواجهة الحياة وهذا يضعهم في حالة من العجز واليأس.

ومن أجل الطفل المعاق فإن اللعب ليس فقط هو الأساس للتعليم اللاحق كما هو الحال بالنسبة لجميع الأطفال لكنه يفتح الطريق لبعض الأعمال القليلة نسبياً والمناسبة للمعاق. فنحن نعرف عن الأطفال المصابين بزملة داون * Down's Syndrome والذين أصبحوا لأطفال آخرين معاقين.

---

* زملة داون : **Down's Syndrome** : اضطراب صبغي (كرموزومي) يتميز بوجود صبغي زائد (رقم٢١) وبعض الحالات يكون الصبغي الزائد -٢٢. ويفصح الاضطراب عن نفسه فيما يُسمى الملامح المنغولية ورجه مستدير مسطح وعيون تبدو مائلة أو منحدرة ، ويكون المخ أقل من المتوسط من حيث الحجم أو الوزن. وعادة مايتصف المرضى بهذا الإضطراب بالتخلف الذي يتراوح من الدرجة المعتدلة إلى الدرجة الشديدة. ويتصف المرضى بالإستعدادات الموافقة وسلاسة القياد. وتميل الحركات العضلية إلى أن تكون بطيئة وثقيلة وغير متآزرة. وفي حالات كثيرة يكون النمو متأخراً واللسان سميكاً والأصابع غليظة. ويسمى الاضطراب أيضاً المنغولية Mongolism ومرض لانجدون داون Lang - don Down's Disease والاكروميكاريا الخلقية Congenital Acromicria. (جابر عبد الحميد جابر ، علاء الدين كفافي . ١٩٩٠، معجم علم النفس والطب النفسي ، الجزء الثالث ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ص ١٠١٩).

أن هؤلاء الأطفال أمكنهم التعلم بأنفسهم وأصبحوا رياضيين أكفاء من خلال برنامج يحمل عنوان (دعنا نلعب لنكبر) " Let's Play to Grow " وقام بتطويره العالم جوزيف كينيدي Joseph P. Kennedy بواشنطن. دي.سي.

وقد رأينا أيضاً معاقين جسمانياً يعالجون نفسياً في مستشفى ولاية (ماساشوست) قد إكتسبوا مهارات بأنفسهم وتعلموا كيف يساعدون الآخرين عن طريق برامج علاجية من خلال اللعب البدني سواء كان ذلك في العيادات أو في منازل المعاقين.

من أجل الطفل المعاق تولد المتعة والمرح التي يجنيها من كل إنجاز جديد فتصبح هي المحرك إلى إنجاز أبعد لتحقيق السعادة والإحساس بقيمة الذات التي من حق جميع الأطفال الإستفادة منها.

الفصل الثالث

مايصنع مدرسة حضانة جيدة

الفصل الثالث

مايصنع مدرسة حضانة جيدة
What Makes a Good Nursery School

- مقدمــــــة.
- اللعب في مقابل الدروس.
- ماتشير إليه البحوث والدراسات.
- التفاوت المسموح في إطار التحديدات.
- ثلاثة مفاتيح للاستعداد للمدرسة.
- عندما تكون الرعاية في الحضانة أمر ضروري وحيوي.
- كيف نختار مدرسة الحضانة.
- قلق الإنفصال.
- قطع خيوط المريلة.
- عندما نضطر إلى إرجاء الذهاب إلى مدرسة الحضانة.

الفصل الثالث

مايصنع حضانة جيدة *

مقدمـــــة :

بداية يمكن القول أن مدرسـة الحضانـة بمقدورهـا أن تصبـح مكانـاً جليلاً وفخماً لصغار الأطفال ، وأن تتيح لهم البيئة الصالحة للعب المتميز بالثراء والتنوع بحيث يتضح من خلاله أن بيئـة الأسـرة تقـف عـاجزة عـن تقديم مثيله. ويمكن لمدرسة الحضانة كذلك أن تعزز النمو النفسـي للأطفـال وتمدهم بالشعور بالمتعة ، والاحساس المتعاظم بالثقـة بـالذات Self-reliance والنجـاح. وهـذا معنـاه بكـل وضـوح وجـلاء أن مدرسـة الحضانـة الجيـدة تستطيـع أن تقـوم بكل هـذه الأدوار. وتجـدر الإشـارة هنـا إلـى أن المقصود بمدرسة الحضانة " الجيدة " Good Nursery School أنهـا تتيـح للأطفـال

---

* مدرسة حضانة : Nursery School : مدرسة تقدم خبرات تربوية قيمة وتحت إشراف تربوي للأطفال في سن الثالثة والرابعة ، وتتيح الفرصة للطفل لكي يتعلم استخدام حسه ، والتعبير عن نفسه وتأمل مشاعره وإنفعالاته وتنمية علاقاتـه داخـل جماعـة أترابـه ، ولإشـباع حبـه للإسـتطلاع. وكـل مدرسـة حضانـة لهـا برنامجها الذي يلائم الطفل (جابر عبد الحميـد جـابر ، عـلاء الديـن كفـافي ، ١٩٩٢، معجـم علـم النفس والطب النفسي ، الجزء الخامس ، القاهرة: دار النهضة العربية ، ص٢٤٤٣).

وقد اختلف الباحثون في تحديد أهداف مدرسة الحضانة . فبعضهم يرون أن الهدف منها زيادة " الطمأنينة العامة " للطفل. وبعضهم الآخر يرون أن مدرسة الحضانة هي بمثابة " موقف اجتماعي "يتكون منه موقـف " تعلم " يتعلم فيه الطفل أن يتوافق مـع الآخريـن ويسـايرهم في نفس الوقـت الـذي يحتفـظ فيـه بحريتـه الخاصة كفرد في المجموعة ويضيفون إلى ذلك أن " التوافق الناجح للموقف الاجتماعي يمكن أن يعـد واحـداً من الموضوعات في مدرسة الحضانة ". ومعظم الباحثين في الميـدان يتفقون علـى أن الأهـداف الاساسـية مـن مدرسة الحضانة تتضمن تنمية التوافق الشخصي والتحسن في العلاقات الاجتماعية. كما أن مدرسة الحضانـة تزود الطفل في كثير من الحالات باتصاله الأول بمجموعات الأتراب والأقران وبذلك تكون بمثابة تأثر الطفـل بأقرانه.

على أن بعض الاستجابات التي يتم نقلها من البيت قد تتدعم إلى درجة أكـبر في مدرسـة الحضانـة وبذلـك تكتسب قدراً أكبر من قوة العادة ، على حين أن بعض الإستجابات الأخرى قـد تلقـي العقـاب مـن جـانب الأتراب أو المعلمين في مدرسة الحضانة وبذلك تفقد قوة العادة. ولذلك يمكن أن تتوقع أن سلوك الطفل يتغير بعض الشيء نتيجة مايحصله في مدرسة الحضانة من خبرات. (المترجمان).

الوقت الوافر الذي يمارسون فيه اللعب الإيهامي في صورته السوية ، سواء كان ذلك بشكل فردي ، أو زوجي ، أو في مجموعات صغيرة ، وأن تتيح للأطفال الوقت والفراغ للعب الجسمي النشيط ، وأن تتيح لهم أيضاً الوقت لكي يستريحوا من هذا اللعب فرادي أو جماعات وما إلى ذلك.

اللعب في مقابل الدروس : Play Versus Lessons

من الأمور التي تدعو للأسف الشديد أن كثير من رياض الأطفال تبني فصولاً دراسية لكي تعلم القراءة والرياضيات والدروس العملية الأخرى وذلك من خلال أساليب غالباً ماتكون مقنعة كالالعاب الجماعية واللعب وهذه الدروس أو الحصص في رأينا هي مضيعة للوقت. إن عالم النفس السويسري الشهير " جان بياجيه " Jean Piaget * الذي يعد من رواد ملاحظة الأطفال صغار السن منذ نصف قرن مضى ، أشار إلى هذه النقطة في عبارة بليغة الإيجاز نصها : " في كل مرة نعلم الطفل شيئاً ما ، إنما نمنعه من اكتشاف ذلك الشيء بنفسه. ومن ناحية أخرى فإن الشيء الذي نسمح للطفل أن يكتشفه بنفسه فسوف يبقى مدركاً له طوال حياته.

* جان بياجيه : **Jean Piaget** : لاشك أن عالم النفس السويسري " جان بياجيه "(١٨٩٦–١٩٨٠) هو الرائد الأول الذي تبنى وجهة نظر النمو المعرفي ، فقد بدأ في دراسة النمو العقلي لدى الأطفال منذ عام ١٩٢٠. والنمو المعرفي هو بمثابة تغيرات تحدث في الأنشطة العقلية مثل الانتباه ، والإدراك ، والتعلم ، والتفكير ، والتذكر. وتحدث هذه التغيرات بالتقدم في مراحل العمر المختلفة.

ويرى " بياجيه " أن الأطفال لاتسيرهم الغرائز ، ولايصبون في قوالب بسبب تأثيرات البيئة ، بل يتعين النظر إلى الأطفال على أنهم محبين للاستطلاع "Curious" ، مكتشفين نشيطين "Active Explorers" يستجيبون للبيئة وفقاً لفهمهم للامحها الاساسية ، وعلى هذا فإن أي طفل يمكن أن يستجيب لأي بيئة بطريقة مختلفة عن طفل آخر. وللتنبؤ بكيفية إستجابة الطفل بثناء الأم أو تأنيب الأب او عدوان احد الأقران عليه ، علينا أن نعرف تماماً كيف يدرك هذا الطفل سلوك هؤلاء نحوه.

ويضيف بياجيه إن بناء واقع الطفل وتفسيراته للبيئة وكيفية الاستجابة لها يتوقف على مستوى نمو الطفل المعرفي، فأحداث البيئة التي تحيط بالطفل لها تأثيراتها على نموه.

وقد خلق بياجيه مبدأً جديداً في نمو الطفل إذ أنه أضاف أبعاداً جديدة في دراسة وتفهم الأطفال ، إذ يركز إهتمامه على الجانب العقلي أكثر من اهتمامه بالجانب الإنفعالي (المترجمان).

وحقيقة الأمـر ، أن هـذه الحكمـة تصلـح لكافـة الأعمـار وليـس في مرحلة الطفولة فقط. وبمناقشة نوعية التعليم الذي يجب أن يُعطي للأطفـال في هذه المرحلة – مرحلة رياض الأطفال – لإعدادهـم وتهيئتهـم لأن يكونـوا قـادة المجتمعـات مسـتقبلاً ، نجـد أن " أفلاطـون " * Plato في كتابـه "الجمهورية" يحذر من أنه " يجب أن نتجنب الإكراه أو الإجبار ويتعين أن نجعل التعليم في هذه المرحلة نـوع مـن المتعـة. فصغـار الأطفـال في هـذه المرحلة يتعلمون مـن خـلال الألعـاب الجماعيـة ، والتربيـة الإجباريـة لـن تستطيع أن تبقى تأثيراتها طويلاً في النفس ".

ومن الدراسـات المعـاصرة الـتي قـارنت بـين قيمـة اللعـب الخيـالي والالعاب البنائيـة المصممـة لتعليـم الأطفـال المهـارات المعرفيـة ذات الصلـة بالمقررات المدرسـية ، تلـك الدراسـة الـتي قـامت بهـا " ديانـا فيتلسـون " Feitelson, D. والتي أجرتها بجامعة حيفا حيث لاحظت مـن خـلال هـذه الدراسـة أن النسبـة الغالبـة من مناهج مدارس الحضانة الحكومية مخصصة

---

* أفلاطون Plato : فيلسوف أغريقي (٤٢٧-٣٤٨) قبل الميلاد ، ورغم أن أفلاطون فيلسوف بالدرجة الأولى، واشتغل بالمسائل الميتافيزيقية (ماوراء الطبيعة) والمسـائل السياسية والإجتماعيـة ، إلا أنـه أسـهم في مسيرة الدراسات النفسية وله بصماته في تاريخ علم النفس لايمكن لمؤرخ علم النفس أن يتجاهلها. فقد أسس مدرسته عام ٣٧٠ قبل الميلاد وهي التي سميت " الاكاديمية " The Academy . وقد سميـت بهـذا الأسـم لأنهـا كانت تطل على بستان البطل اكاديموس. وقد انضم أرسطو إلى هذه المدرسـة وهـو أبـن السـابعة عشـر وظـل يدرس فيها لمدة عشرين عاماً وكان ذلك بعد إنشائها بأربع سنوات.

وقد ولد أفلاطون في أسرة لها اهتماماتها السياسية ، كما حدث خلاف بين أسرته والحـزب الحـاكم ممـا عرضه لبعض الإضطهاد ، كما حكم على استاذه سقراط بـالموت ، ممـا دعـاه إلى الاهتمـام بشـروط الحكومـة العادلة. كما سجل أفلاطون في محاوراته آراء أسـتاذه سـقراط فحفظهـا للتـاريخ وأصبحـت شـخصية سـقراط وآراءه واضحة من خلال تصوير تلميذه أفلاطون لها. ومن نظريات أفلاطون التي تمثل جزءاً من تـاريخ علـم النفـس مبـدأ التدريـب الشـكلي Formal Discipline والطريقـة الاسـتبطانية (عمليـة التذكـر Reminiscence) وسيكولوجية الملكات Faculty Psychology (تقسم النفس إلى ثلاثـة قـوى : العقـل Reason والـروح Spirit والشـهية Appetite) وأهميـة المفـاهيم المجـردة في الطريقـة العلميـة وكفـاءة الإختبارات في إختيار المرشحين في المؤسسـات التعليمية ووجهة نظره في أن هدف المجتمع هـو تمكـين كـل المواطنين من إشباع حاجاتهم وأن يحققوا ذواتهم.

وأفلاطون هو مؤسس الفلسفة المثالية وصاحب نظرية المثل ، وكان يعتقد أن النفس من طبيعة بسيطة وثابتـة وأنها خالدة فهي توجد من قبل الولادة وتبقى بعد الموت. وهي من طبيعة روحية ولايتم خلاصها من المـادة إلا في عالم روحي (جابر عبـد الحميـد جـابر ، عـلاء الديـن كفـافي ، ١٩٩٣ ، معجـم علـم النفـس والطـب النفسي، الجزء السادس ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ص ص ٢٨٢٤-٢٨٢٥).

لتنمية وتطوير مهارات يفترض أنها تكون ضرورية لتعليم القراءة ، والتدريبات التي تعتمد على التمييز السمعي والبصري ، وتعلم الحروف الابجدية ، والرسم عن طريق الورق الشفاف ، ونسخ الحروف والكلمات ، وهذا كله يسير في خط متواز مع استخدام أدوات سمعية وبصرية ، واستخدام الكتب العملية.

وفي بحثها الذي قدمته في " مؤتمر الدفاع عن الأطفال " The Child Advocacy Conference الذي عقد في صيف ١٩٧٩ بجامعة ييل Yale University لاحظت " فيتلسون" أن هذه النوعية من المناهج لم تنجح بعض البحوث الجادة في اثبات أن لها فائدة ، بل على العكس من ذلك ، اسفرت نتائج هذه البحوث أن هذه النوعية من المناهج تضر بالأطفال أكثر مما تنفعهم.

وفي تجربة طبقتها منذ وقت قريب أوضحت " فيتلسون " أن بعض أنواع اللعب من الممكن أن تكون أكثر تأثيراً وفاعلية في نمو مهارات ماقبل القراءة والكتابة من الورقة والقلم والتي تستخدم لتحقيق نفس الغرض.

- **نتائج أشارت إليها البحوث والدراسات : What research shows**

وفي واحد من البحوث والدراسات التي أجرتها " فيتلسون " على مجموعة متجانسة من صغار الأطفال قامت بعمل تجانس بين مجموعتين من أطفال ماقبل المدرسة ، حصلت عليها من ثلاث بيئات مختلفة إلى حد بعيد (قرية عربية ، مساكن متطورة داخل مدينة صغيرة ، وضاحية ذات طبقة متوسطة الدخل) وقد حضر أطفال العينة (٨) ثمان جلسات وتم توزيعهم بشكل متساو على أربع مجموعات.

وقد تم تعليم بعض الأطفال كيفية استخدام ورقة تعليمات القراءة والكتابة تحت إشراف قسم التعليم المبكر ، والبعض الآخر من الأطفال اعطوا الغازاً والعاب مشكلة يحتاج حلها إلى مهارة وكتل وفسيفساء ليلعبوا بها. بعد ذلك طلب من جميع الأطفال أن يؤدوا مهمة محددة هي أن ينسخوا جملة مكونة من خمس كلمات بمجموعة من الحروف قابلة للتحريك Movable Letters ، حيث لاحظت " فيتلسون " أن أطفال جميع المجموعات التي أتيح للأطفال فيها فرصة اللعب كانت أقل الأطفال أخطاءً مقارنة بالأطفال الذين تم تعريضهم لتعلم كيفية القراءة أو الاستعداد لها ، واكثر من هذا ، لاحظت أيضاً أن الأطفال الذين أخضعوا لاستخدام ورقة تعليمات القراءة ظهروا أكثر استياءً وتبرماً. وعلى العكس من ذلك كان الأطفال الذين يستخدمون اللعب أكثر ترحيباً بحضور الجلسات، ويتطلعون إليها بشكل أكثر تلقائية وعن طيب خاطر ، وقد وضع في الإعتبار الضغط الذي يمكن أن يمارس على مجموعة الأطفال الذين يستخدمون الورقة والقلم لجعلهم يستمرون إلى آخر جلسة في البرنامج. وواقع الأمر أن الأطفال وافقوا على الإستمرار في الجلسات ، لهدف واحد فقط هو أنهم اعطوا وعداً أنهم أيضاً سوف يسمح لهم أن يستخدموا اللعب بكل حرية عقب انتهاء كل جلسة.

وبالرغم من أن نتائج هذه الدراسة وغيرها قد ألقت ظلالاً من الشك حول قيمة تدريس القراءة والحساب في مدارس الحضانة ، فإن الكثيرين من أولياء الأمور وكذلك التربويين لايزالون يشجعون هذه النوعية من المناهج. بل ويواصلون تعزيز وجودها في المناهج الرسمية. والدافع الذي يدفعهم إلى تبنى وجهة النظر هذه هي رغبتهم في أن يجعلوا أبناءهم يصعدون السلم الاجتماعي (من خلال التفوق الدراسي) بالإضافة إلى أنه من ناحية أخرى هناك إعتقاد يحملهم على تشجيع الالتزام بهذا المنهج هو أن أمتهم * ككل

* يقصد بأمتهم هنا الولايات المتحدة الأمريكية (المترجمان).

أصبحت عاجزة في مجال تدريب شبابها الصغير على إكتساب المهارات " الصعبة " مثل الرياضيات والعلوم (مما ترتب عليه أن الأمة أصبحت خائفة فزعة لأن الروس أطلقوا أول قمر صناعي لهم في الفضاء والمسمى "سبوتنك " Sputnik وفي كلا الحالين فإن أولياء الأمور والتربويين يفترضون أن الطريقة المثلى الذي يتعين علينا أن نبني عليها الأسرة ، أو حتى مايتعلق ببناء أمة من رجال ونساء نشطين عقلياً وذهنياً وعندهم كم من المعلومات هي أن نجعلهم يبدأون منذ الصغر وبأسرع مايمكن يتعلمون هذه العلوم الصعبة ، وأحياناً ، ماتكون الوسيلة في هذا التعلم متنكرة في اللعب أو في شكل ألعاب جماعية.

- **التفاوت المسموح في إطار التحديدات : Leeway Within Limits**

في محاولتنا للبرهنة على فضائل اللعب الاستكشافي التخيلي Imaginative Exploratory Play عبر دروس للألعاب الجماعية المُصممة بشكل أكثر رسمية ، فإننا لن ننوي إقتراح أن تكون مدرسة الحضانة المثالية مصممة على نحو كامل تماماً . وبطبيعة الحال ، يتعين أن يكون هناك أنشطة مجدولة يمكن أن نتنبأ بها وذلك لتلبية إحتياجات الطفل في سن ماقبل المدرسة وإشباعها ، كي يشعر أن الثقة بالنفس التي تأتي عن طريق فهم ماسوف يحدث فيما بعد . ومايحدث في العالم من حوله. بيد أن هذه الأنشطة المدرجة في جداول يتعين أن تزود الأطفال بالوقت الكافي والفرصة الكاملة لإطلاق العنان لتخيلاتهم وتصوراتهم. إن المنهج الذي يسمح للأطفال أن يتقدموا بخطى ثابتة ، من خلال المرور بـ (١٥) خمسة عشرة دقيقة لسماع حكاية معينة ، و(١٥) خمسة عشرة دقيقة لممارسة الرسم ، و(١٥) خمسة عشرة دقيقة للعب على المراجيح والزلاقات ، يبدو أنه منهج منظم بدرجة متسقة إلى حد كبير.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو : أي نوع من الجدولة ، إذن . هو الأفضل من حيث إشباعه لحاجات الأطفال فيما يتعلق بكل من الحرية في التطبيق ، والبناء الصارم ؟ الإجابة ترى أنه من المستحيل أن نحدد تماماً أفضل صورة من صور المزج بين اللعب الحر* والأنشطة المخطط لها مسبقاً . فالأطفال المختلفون لهم حاجات مختلفة في أوقات مختلفة.

وأنه لم المرجح ، على سبيل المثال . أن يكون الطفل في سن الرابعة ومابعدها ، وبالذات الطفل الوحيد على أتم استعداد لأن يتعلم أن يعتمد على تخيلاته الخاصة أكثر من الطفل الذي ليس لديه على الإطلاق وقت لأن يكون وحيداً (على نحو منفرد). وعلى الرغم من أن الطفل الوحيد يستمد المزيد من الإشباع والرضا من خلال اللعب الإيهامي . إلا أن هذا الطفل ربما يحن إلى فرصة ينضم فيها إلى آخرين في أثناء لعبهم البناء، وفي اللعبات الجماعية المنظمة ، وفي اللعب وفقاً لقواعد محددة ، واللعب وفقاً لوقت مجدول.

ومن الأمور القابلة للفهم ، أن الخبراء يختلفون إلى حد كبير حول الكيفية التي يتعين أن يكون عليها وقت اللعب من حيث الحرية الكاملة وكونه وقتاً غير بناء. بيد أن الجميع يحذرون من التطرف في وضع التوصيات الخاصة بمناهج مرحلة ماقبل المدرسة. ويرون أنه لا الفوضى ولا الصرامة الشديدة تشبع الحاجات النمائية لدى أطفال مرحلة ماقبل المدرسة. كما أنه من الأمور المعروفة على المستوى الإمبيريقي أن الأطفال فيما بين سن الثانية والنصف إلى سن الخامسة يكونون على درجة عالية من سرعة الإستثارة في إنفعالاتهم وأيضاً في سلوكهم. وهم بعد لايزالون غير

* اللعب الحر **Free Play** : لعب لايوجهه ولايسيطر عليه قائد الجماعة أو المدرس أو المعالج النفسي الذي يعالج بطريقة اللعب. ومن أدواته اللعب بالعرائس والدمي والأثاث المنزلي الصغر. وخلال هذا اللعب يكشف الطفل موضع التشخيص عن مشاعره وعن نمط العلاقات الأسرية كما يشعر بها. وفي السياق الحالي يقصد باللعب الحر اللعب دون قيود من الكبار المحيطين بالطفل (المترجمان).

قادرين على التحكم في أمزجتهم * أو في أعمالهم ، ولذلك نراهم يتأرجحون بين فعل ونقيضه من الطرف إلى الطـرف الآخـر المضـاد لـه في فـترة زمنيـة قصيرة جداً. والأطفال في هذه السـن أيضـاً لايسـتطيعون الجلـوس في مكـان واحد لفترة طويله نسبياً وتقبل أوامر وتعليمات الآخرين بحيث تكـون هـذه الفترة كافية لدراسـة مقـرر دراسـي مـا ، أو الـتركيز Concentrate في مـادة معنية ، وبصفة خاصة حين يكون ذلـك كلـه مـن قبـل شـخص آخـر مثـل المدرس مثلاً. ثم يأتي بعد ذلك في فترة نمائية لاحقة – عادة فيما بين سـن الخامسة والسادسة والنصف من عمر الطفل – حينئـذ يكـون الأطفـال ذات قدرة أفضل على فهم ومسايرة طلبات الآخرين مفضلين ذلك على مشـاعرهم وإنفعالاتهم الخاصة. ومن هنا فإنهم يكونـوا علـى إسـتعداد للتعلـم بوسـائل ووسائط أكثر تجريداً وشكلية وعلى نحو خاص أكثر استعداداً للتعلم بشـكل أساسي بواسطة اللعب الموجه ذاتياً Self-Directed Play.

وبإختصار ، فإن مدرسة الحضانة في صورتها المثالية تشجع الأطفال على أن يستخدموا تصوراتهم وتخيلاتهم في اللعب الفعال النشـط وفي احـلام اليقظة، وهي تقدم لهم ، بالإضافـة إلى ماسبق ، الفـرص المواتيـة لممارسـة الألعـاب الجماعيـة المنظمـة Organized games * ، بـما تتضمنـه من لعب نشيط خارج البيت . ولكن يتعين القول أنه ليس هناك ميزة واضحة ، كمـا أنه ليس هناك خطر كبير ، في أن يشتمل منهج الألعاب الجماعية المنظمـة المصمم بهدف تعليم الأطفال وإكسابهم مهارات القـراءة والمفـاهيم الحسـابية المجردة.

---

* مزاج وقتي : **Mood** : مشاعر معتدلة وغالباً مـاتكون عارضة أو وقتيـة تنتـاب الطفـل مثـل حـال السرور والابتهاج Euphoria أو حال التهيج وعدم الإستقرار Irritability (المترجمان).

* الألعاب الجماعية المنظمة نوع من اللعب المنظم والموجه من قبل المعلم أو قائد الجماعة ، وهو لعب يتم وفـق الخطوط أو القواعد التي حددها المعلـم أو المعلمـة مسبقاً أو خطـط لهـا وهـي تقـابل في المعنـى اللعـب الحـر (المترجمان).

• المفاتيح الثلاثة للإستعداد للمدرسة :

Three keys to School Readiness

ليست كل المدارس النموذجية نافعة أو صالحة لكل الأطفال. ذلك أن هناك ثلاثة عوامل رئيسية يجب أن تؤخذ في الاعتبار حين نقرر ما إذا كان يجب على بعض الأطفال الذهاب إلى مدرسة الحضانة أم لا. العامل الأول هو عمر الطفل Child's age أو هو بالأحرى مرحلة النمو التي يمر بها الطفل. والعامل الثاني هو توقعات الوالدين Parents expectations وأمنياتهم وإهتماماتهم بأبنهم ، أما العامل الثالث فهو الظروف الخاصة المحيطة بحياة الطفل The Particular Circumstance of the Child's life في الفترة التي من المفترض أن يكون بها في مدرسة الحضانة.

وفيما يلي مناقشة لكل عامل من هذه العوامل بشيء من التفصيل أولاً عمر الطفل أو المرحلة النمائية التي يمر بها الطفل. والسؤال الذي يطرح نفسه. هو ماهي السن المناسبة للطفل للإلتحاق بمدرسة الحضانة؟ الاجابة تقول أنه بصفة عامة نحن نعتقد أن سن الثالثة أو الرابعة هو الأنسب. ولكن لماذا ننتظر حتى سن الثالثة ؟ ولماذا نعتقد أن متوسط عمر الطفل في سن الثانية أو الثانية والنصف من المحتمل أن يكون صغيراً جداً للأستفادة من ذهابه إلى مدرسة الحضانة ؟ واقع الأمر أن الأطفال الصغار بطبيعتهم مكتشفون ومغامرون (ومدرسة الحضانة تشبع هذه الحاجات للابتكار والاكتشاف) ولكن الأطفال في هذه السن يظل اعتمادهم الكلي على وجود أمهاتهم كنوع من أشكال الحماية. أو هي – بمعنى آخر – الشخص السند. وبالرغم من الأطفال الذين لم يتقنوا المشي بعد دائماً يعتقد أنهم ليسوا بحاجة لأمهاتهم طوال الوقت إلا أنهم على العكس من ذلك يحتاجون أن يعرفوا مكانها ولذلك نراهم يتحققون من كونها بجانبهم من وقت لآخر. إن الأطفال في هذه المرحلة لم تتكون بعد لديهم القدرة العقلية لفهم معنى

الإنفصال المؤقت Temporary Separation فالطفل في سن الثانية والنصف قد يقال له أن أمه ستعود عند الظهر (في خلال ثلاثة ساعات) ولكن هذا لايعطي أي إنطباع أو معنى لدى الطفل ، ذلك أنه يعتقد أن الوقت لن يمر ، وبالتالي يظل غير مرتاح وبعيداً تماماً عن الاسترخاء أو بعيداً عن الاستمتاع باللعب ولايمكنه أن يشغل نفسه بأي نشاط معين ، بل على العكس نجد أن كل طاقاته تكون منصبة على القلق ، قلقه من غياب أمه ومن هنا نجده بصفة عامة طوال فترة الصباح يبدو في حالة من الاحساس بأنها قد تغيب إلى الأبد ، وإن هذا سوف يؤدي به إلى الاحساس بالفراغ والوحشة.

• عندما تكون الرعاية في الحضانة أمر ضروري وحيوي :

When Nursery Care is a must

إن الكثير من الآباء ليس لديهم حل إلا أن يذهبوا بأبنائهم إلىمدرسة النهارية أو أي مركز للرعاية وذلك على الرغم من أن أبنائهم لم يتجاوزا بعد سن الثالثة. أن الأم أو الأب من الممكن أن يكون هو العائل الوحيد للأسرة في حالة عدم وجود الطرف الآخر ولذلك يرى أنه يتعين عليه أن يعمل طوال اليوم أو لفترات طويله منه وأيضاً الكثير من العائلات التي فيها الأب والأم معاً نجدهما يعملان من أجل تأمين حياتهم واحتياجاتهم. إن أكثر من ثلثي الأمهات في الولايات المتحدة الامريكية اللاتي لديهن أطفال دون الثالثة كلهن يعملن لفترات طويلة (دوام كامل) ولذلك يبعثن بأطفالهن الصغار إلى مدارس الحضانة ومن الطبيعي ، أن نجدهم ميالين للقلق من تأثير ذلك التغيب على الأطفال لبعدهم عنهم لفترات طويلة طوال اليوم ، أو كل يوم أو الإنفصال عنهم.

إن قلق الأمهات وبصفة خاصة يكون منصباً على خشيتهن أن يفقدن حب أطفالهن لهم أو أن يتحول حب الأطفال إلى معلميهم ومعلماتهم بمدارس الحضانة. بيد أن الدراسات التي أجراها الاخصائيون النفسيون تبدد هذه الهموم والمخاوف وتظهر أن الطفل حتى وإن إلتحق بأحد مراكز الرعاية النهارية في سن العامين أو بعده بقليل، فإن إنفعالاته الأولية والأساسية تجاه الأم تظل دون أن يصيبها أي تمزق أو تعويق.

وإحدى هذه الدراسات قد أجريت بواسطة الباحثين : دال س. فاران Dale C Farran وكريج رامي Craig Ramey واللذان يعملان في مركز فرانك بورتر جراهام Frank Porter Graham لنمو وتطور الطفل والتابع لجامعة شمال كارولينا North Carolina الواقعة في Chapel Hill. فقد أجرى كلاً من فاران ورامي تجربة على الأطفال في هذا المركز. وقد أجريت التجربة على أطفال تتراوح أعمارهم بين تسعة أشهر وسنتان ونصف وقد كان كل الأطفال ضمن برنامج العناية لمدة خمسة أيام في الأسبوع ومنذ أن كان عمرهم ثلاثة أشهر فقط .

ولكي يتم تقييم مدى تأثير مركز الرعاية النهارية أو مدارس الحضانة على الأطفال ومدى تعلقهم * بأمهاتهم ، قام الباحثون بمقابلة الأطفال، كل واحد على حده في غرفة للألعاب ، ويوجد داخل الغرفة الكثير من اللعب ، وأيضاً مدرسته التي اعتاد عليها ويرتاح لها. وأيضاً احضر رجل غريب بالنسبة للطفل إذ لم يره قبل ذلك مطلقاً واحضر معهما والدة الطفل والتي عادة ماتكون غائبة أو غير متواجده داخل مدرسة الحضانة في الأحوال العادية.

---

* التعلق : **Attachment** : يسعى الأطفال الصغار إلى الارتباط بأمهاتهم كخطوة توفر لهم الشعور بالأمن. وسلوك التعلق Attachment behavior هو نمط من السلوك نحو صورة الأم التي تنمو منذ سن ستة شهور ومابعدها. وسلوك التعلق بصفة عامة يصدق على الشخص الذي يحقق إقترابا من شخص آخر ويحافظ على هذا القرب، ويكون مفضلا عنده ويراه أقوى منه وأكثر حكمه. ويشتمل هذا السلوك على الاتباع ، والتعلق ، والبكاء ، والنداء ، والتحية ، والابتسام ، وغيرها من الصور الأكثر تعقيدا وعلى العموم يمكن القول أن التعلق عبارة عن علاقة أولية خاصة تتكون وتنمو تدريجيا بين الطفل وأمه الحقيقية أو بديلها (المترجمان).

وقد بدأ الباحثون في أخذ ملاحظات حول سلوك الأطفال تجاه كل واحد من هؤلاء الثلاثة الراشدين (الأم ، المدرسة ، الرجل الغريب) من حيث غالبية المرات وحجم الأقتراب من قبل الطفل نحو هؤلاء. وإلى من سوف يتحول الطفل إلى الصحبة أو المعاونة. وكشفت نتائج الدراسة عن أن اهتمام جميع الأطفال كان في الغالب إلى أمهاتهم كلما احتاجوا للمساعده أو للراحة ولم يذهب أي من الأطفال إلى الاثنين الآخرين.

كما كشفت نتائج الدراسة عن إهتمامٍ الوالدين بالإجابة عن أسئلة الأطفال المتعلقة بصحتهم الجسمية وأيضا تقدمهم الاجتماعي والعقلي آخذين في الاعتبار مدى تأثير دور مدرسة الحضانة على الأطفال في مرحلة ماقبل المشي وحتى المرحلة التي تسبق التحاقهم بالمدرسة.

وقد أشارت الدراسات إلى أنه على الرغم من أن الأطفال الذين يذهبون إلى مدرسة الحضانة هم أكثر عرضه للأصابة بالأمراض مثل نزلات البرد والوعكات الصحية الطفيفة أكثر من الأطفال الذين يتم الاعتناء بهم في المنزل فإن اصابتهم بأمراض خطيرة لاوجود له على الأطلاق.

أما بالنسبة للسلوك الاجتماعي فقد أشارت بعض الدراسات إلى أن الأطفال الذين واظبوا على الذهاب إلى مدرسة الحضانة بشكل منتظم في سن مبكره كانوا أكثر عدوانية وأقل تذمراً من هؤلاء الذين تربوا في المنزل وذلك يرجع إلى حد كبير إلى أن سياسة الأخذ والعطاء في مدرسة الحضانة تساعد الأطفال على أن يكونوا أقوى صلابة وأكثر اعتمادا على أنفسهم. وعلى أية حال ، يجب على الوالدين الأخذ بعين الاعتبار نتائج هذه الدراسات في ضوء قيمهم التي يريدون أن يربوا عليها أبناؤهم. فالوالدان اللذان يشجعان الأعتماد على النفس والاستقلالية والتوكيدية Assertiveness قد يرحبون بالبيئة التي قد تساعد أبناءهم على تطوير تلك المبادىء والقيم.

السؤال الآن ماذا عن تأثير مدرسة الحضانة على النمو الذهني أو العقلي لدى الأطفال ؟ كما حاولنا أن نوضح ، فإن هذا السؤال دائماً مايركز عليه الوالدان والمختصين على حد سواء بطريقة بالغة الشده والخطأ. فبغض النظر عن الحقيقة القائلة أن اللعب الخيالي في مدرسة الحضانة – أو في أي موقع آخر – هو الطريقة المثلى للتعلم لدى صغار الأطفال ، فإن مايبدو لنا هو أن تنمية القدرات العقلية ، والمهارات الدراسية لدى الطفل ليست هي الهدف الأول والاساسي لدى الآباء والمدرسين. ذلك أن الأهم بالنسبة لهم – من وجهة نظرنا – هو توفير بيئة ملائمة توفر السعادة للطفل.

لقد تعلمنا في الآونة الأخيرة أن نفكر بشكل صحيح في أهمية مرحلة الطفولة كعملية as process ، وكمرحلة نمائية على الطريق إلى الوصول إلى مرحلة البلوغ. ولكن للأسف الشديد نجد أن الكثير من الآباء والمربين قد ركزوا إنتباههم فقط على الهدف النهائي من هذه العملية ونعني به الوصول إلى الرشد – وقد اغفلوا تماماً أن يعطوا إهتماماً كافياً لمرحلة الطفولة في حد ذاتها وان يعطوا أطفالهم الحق في أن يتمتعوا بطفولتهم.

وعلى أية حال ، لاتوجد أدلة على أن المواظبة على الذهاب إلى مدرسة الحضانة لها تأثير مستمر أو دائم المفعول على تنمية القدرة العقلية لدى الأطفال بطريقة أو بأخرى . بالإضافة إلى أنه وبالرغم من أن الطفل الذي لم تتح له إلا فرصة قليلة – وقد لايتح له الفرصة على الإطلاق – في المشاركة في تفاعلات اجتماعية في سياق اللعب بسبب وجوده في البيت ، قد يكون أكثر سرعة من حيث تقدمه نحو تفاعل جيد ونشط ومريح حين يلتحق بالمدرسة الابتدائية أكثر من أقرانه الذين التحقوا بمدرسة الحضانة ، فإن هذا لايعني إقامة الدليل على أن مثل هذه المكتسبات سوف تستمر فيما بعد.

• كيف يمكن اختيار مدرسة الحضانة المناسبة :

How to choose a Nursery School.

بإيجاز يمكن القول أنه يتعين على الوالدين الذين يبحثون عن مدرسة حضانة مناسبة لأبنائهم أو مركزاً للرعاية النهارية أن يذهبوا إلى موقع الحضانة والتحدث مع المسؤولين عنها وملاحظة الجو العام للمكان عن كثب ، وكيف يتفاعل الأطفال مع المكان ويتجاوبون معه ويتعين عليهم أيضاً أن يعلموا أنه من الأمور الجيدة التحدث مع آباء الأطفال الذين يحضرون إلى الحضانة وإذا أمكن التحدث إلى أولياء أمور أطفال " تخرجوا " بالفعل من الحضانة مؤخراً فإن ذلك سيتيح لهم فرصة أن يعرفوا إنطباعاتهم. وفيما يلي قائمة المراجعة Checklist أو قائمة التدقيق التي قد تساعد أولياء الأمور في اختيار مدرسة حضانة مناسبة لأطفالهم :

(أ) **عدد المدرسين : Number of teachers** : يتعين أن تكون العناية بالأطفال في مدرسة الحضانة من قبل مشرف أو مُربي واحد من يوم إلى يوم ولايجب أن تتغير الشخصيات كل يوم على الأطفال. مع العلم بأنه يجب أن يتواجد داخل مدرسة الحضانة أكثر من مربي من وقت لآخر ، لكي يتم الأعتناء بالأطفال ذلك أن مراقبة الأطفال في الحضانة لمدة طويلة يمكن أن يكوم مرهقاً جسدياً وإنفعالياً.

(ب) **النضج Maturity** : يجب أن يكون مدرس الحضانة ناضجاً وذا خبرة إلى حد كاف يمكنه من أن يعرف كيف يعتني بالأطفال جيداً دون أن يشعر بالضيق أو الملل وأن يعرف أن احتياجاتهم أهم من احتياجاته هو شخصياً.

(جـ) المسؤولية : Responsibility : من الأشياء الاساسـية والضرورية التي يجب أن يتمتع بها مدرس الحضانة أن يكون موثوقـاً بـه reliable ، متسق مع نفسه أو مع غيره Consistent ، يمكن التنبـؤ بسـلوكه. وبـالطبع كل إنسان يمر احياناً بأيام سعيده وأيضاً بظروف صعبه ولكـن يجـب على المدرس أن لايخلط بين الأمور ويكون متقلبـاً في مزاجـه وأن ينحـى عواطفـه جانباً فلا يكون مسرفاً في التأثر بها.

(د) الحنو والانضبـاط : Affection and Discipline : يجـب على المدرس أن يكون عطوفاً مهذباً وحانياً على الأطفال ويجـب أن يظهـر ذلـك وغيره من المشاعر ، للأطفال وعلى أية حال ، يجب أيضاً على المـدرس أن يكون قادراً على تأديب وفرض النظام عليهم وبخاصة عـن طريـق التدريـب والمراقبة ، شريطة ألا يكون ذلك خاضعاً لمزاجه الشخصي ولكن إذا احتـاج سلوك الأطفال إلى ذلك التهذيب والضبط.

(هـ) الحماس Enthusiasm : يجـب على المـدرس أن يكـون شـخصاً مفعماً بالحيوية والنشاط متحمساً لأي شيء يقوم به الأطفال مثـل : القـراءة - زراعة الحدائق - العزف الموسيقي ، وأن يشجع الأطفال على الممارسة ، وأن يكون تواقاً إلى تجريب كل جديد يرى أن الأطفال سوف يحاكونه فيـه ويقلدونه ، مشجعاً الأطفال على حب الاسـتطلاع وأن يـأخذوا دائمـاً بزمـام المبادرة.

(و) الجدولـة والتنظيم Scheduling and Orderliness : يجـب أن يكون هناك وقت منتظم لكل شيء. وأن تقام الترتيبات بحيث يكون المعلـم أو المعلمة قادر على التنبؤ بالأحداث. فالوجبات علـى سـبيل المثـال تكـون بشكل منتظم وفي أوقات معينة. وأيضاً يتعين أن يكون هنـاك وقتـاً فسـيحاً يمارس فيـه الأطفـال اللعـب الحـر ، وسـرد الحكايـات ، وبقيـة الأنشـطة

الجماعية الأخرى مثل الرقص والغناء. ومن المهم أن يكون هناك وقت منتظم للراحة والاسترخاء. وحجرة الأطفال أو حجرات الأطفال يجب أن تكون منظمة ومرتبة بشكل واضح دون إسراف وأن يكون التركيز على الترتيب والمحافظة على النظام بلا مبالغة أو تعنت.

(ز) **التسهيلات والأدوات : Facilities and Equipment** : بالرغم من أن أدوات اللهو مهمة ويجب وجودها في البيئة المحيطة بالطفل أي داخل مدرسة الحضانة إلا أنه يتعين أن تكون هناك أدوات أساسية للعب سواء كان ذلك داخل الحضانة أو خارجها.

والأشياء التي يجب توافرها في الداخل هي مكان فسيح لأنواع كثيرة من الألعاب مثل : منطقة للعب بالمكعبات ، واللعبات البنائية ، وركن هادىء للراحة و " القراءة " على أن يكون به كتب ومجلات بها صور ملونة . وأيضاً ركن للمطبخ به أدوات طبخ صغيرة مناسبة للأطفال وركن للرسم به أوراق وأقلام ملونه ولوحات ، وصلصال ، وأدوات أخرى يجب تزويد الطفل بها حين يمارس هواياته.

كما يجب أن يكون هناك تشكيله مختلفة من لعب الأطفال التي تحدث أصواتاً عند تشغيلها مثل السيارات الصغيرة وسيارات نقل البضائع والأدوات الموسيقية أيضاً مع بقية الأدوات الضرورية التي يجب توافرها.

ومن الأشياء التي يجب توافرها في الخارج : مكان فسيح كاف لممارسة الأنشطة الحركية مثل الجري والقفز والعاب التسلق والزلاجات وأيضاً المراجيح بأنواعها وأيضاً يجب توافر مكان للعب الكرة.

• قلق الإنفصال* : Separation Anxiety

قد يلاحظ في بعض الاحيان أن الطفل الذي يعطي مؤشراً على أنه على استعداد للإفادة من الفرص الغنية والمتباينة التي تتاح له خلال اللعب النشيط عند التحاقه بمدرسة الحضانة الجيدة الإعداد ، قد يصبح في كرب أو شدة. ومن الواضح أن هذا الخوف يكون بسبب إحساسه بإنفصاله عن أمه. وقلق الإنفصال ، كما يسميه السيكولوجيون ، يشعر به غالباً الطفل "الوحيد" Only Child " الذي تحتضنه أمه (أو تحتضنها) بحيث تعامله معاملة خاصة وتحيطه أو تحيطها بالرعاية بشتى الطرق والوسائل ، ويضايق هذه الأم إلى درجة الرعب أن تفكر – مجرد التفكير في أن شيئاً ربما يحدث للطفل في اللحظة التي يبتعد فيها عن عينيها.

---

* قلق الإنفصال : Separation Anxiety :
قد لايرتاح الطفل لغادرة الأم له – خاصة بعد أن يكون قد تعلق بها – ومن هنا قد يبدى احتجاجه على ذلك بصورة أو بأخرى من الصور. فقد يشعر بالتعاسة ويأخذ في البكاء ، أو يهتاج ويحاول التشبث بالأم أو اللحاق بها ، أو غير ذلك من أنماط السلوك التي يقال عنها أنها تعكس نوعا من القلق يسمى قلق الإنفصال.
ومن الطبيعي ألا يبدأ هذا القلق إلا بعد أن يكون الطفل قد بدأ يتكون لديه " مفهوم دوام الاشياء " أي أن الاشخاص الذين يغادرونه يظلون موجودين بالرغم من غيابهم عن بصره. وإلا فكيف يبكي الطفل من أجل شيء يزول بزوال صوته عن عينيه؟ ولذلك فإن هذا القلق لايبدأ عند الطفل قبل بلوغ الشهر التاسع من عمره على وجه التقريب. وفي هذه الفترة أيضاً يكون الطفل قد استطاع أن يميز وجوه الاشخاص الذين تعلق بهم عن غيرهم من الأشخاص ، وغالباً مايكون هؤلاء هم الأبوين أو من يعتني بالطفل بوجه عام. وعلى ذلك يمكن القول أن قلق الإنفصال له علاقة بالنمو المعرفي للطفل ، كما أن له علاقة بنموه الإنفعالي والاجتماعي.
وإذا كانت بداية الفترة الحرجة لقلق الإنفصال هي عند سن التسعة أشهر فمتى تكون نهايتها ؟ اللاحظ أن الطفل عند نهاية السنة الثانية تقل لديه حدة ردود الأفعال التي تصدر منه عند مغادرة الأم له. وقد يعزى ذلك إلى أن قدرات الطفل العقلية في هذه السنة تكون قد نمت بحيث تمكنه من أن يحتفظ بصورة ذهنية ثابتة عن الاشياء في حالة غيابها. كما أنه يكون قد تعلم من خبراته السابقة أن الأم عندما تتركه فليس ذلك إلى الأبد وإنما إلى عودة قريبة ، إذا كانت فترات الإنفصال قصيرة.
(لمزيد من التفاصيل عن قلق الإنفصال يمكن الرجوع إلى : محمد عماد الدين اسماعيل (١٩٨٩): الطفل من الحمل إلى الرشد (الجزء الأول : السنوات الست الأولى ، الكويت : دار القلم ، ص ص ٢٩٠-٢٩٤. وأيضا يمكن الرجوع إلى دراسة : عبد الرحمن سيد سليمان (١٩٩٤): الخوف المرضي من المدرسة (فوبيا المدرسة) في ضوء نظرية قلق الإنفصال ، رؤية تحليلية ناقدة . (مجلة الإرشاد النفسي ، العدد الثالث ، السنة الثانية، جامعة عين شمس : مركز الإرشاد النفسي ، ص ص ٥٧-٨٩).

إن هذا النوع من الحماية الزائدة * Overprotection من جانب الأم قد ينتج عنه - أو على الأقل - يشتمل على الكثير من الإستياء أو الامتعاض من كونها مشدودة دائماً وقلقة تجاه طفلها . وهي دائماً تشعر بحمل ثقيل أو عبء زائد وتحاول إخفاء تلك المشاعر ودائماً تحاول - كنوع من أنواع الإفراط والمبالغة في التعويض أن تشغل نفسها بعناية ومراعاة طفلها.

إننا إذا كنا نعتقد أن هذا السلوك شيء غير طبيعي من بعض الأمهات إلا أن هناك من يعتبره سلوك لاغبار عليه ، ذلك أن أغلب الآباء والأمهات يشعرون بهذا الشعور. إن المتاعب تبدأ حين نحاول أن نخفي مشاعرنا هذه بداخلنا لأننا نشعر - لو أننا أظهرناها - بالذنب أو بالخجل لأننا نود لو استطعنا أن نتخلص من مسؤولياتنا لكي نتفرغ لأطفالنا.

ولكن بالطبع هناك خيط رفيع بين الحماية والإفراط في الحماية ، فإن الشوارع او خارج المنزل عموماً غالباً ماتكون أماكن محفوفة بالمخاطر كمكان للعب الأطفال ، ولذلك فمن الطبيعي أن نقلق على الأطفال الصغار عندما يغيبوا عن أعيننا ، ولكن لاينبغي أن ندع أطفالنا يشعرون بهذا القلق الزائد عليهم لكي لايفقدوا ثقتهم بأنفسهم وقدراتهم فيصبحوا خائفين من الاعتماد على أنفسهم.

---

* الحماية الزائدة : Overprotection :
ميل لحماية الطفل والإغداق عليه والتدليل والتساهل معه إلى حد أنه يخفق في أن ينمو ليصبح مستقلاً ويتحمل الأحباط أو التنافس ، وقد ينمي شخصية سلبية إتكالية ، وكلا الوالدين قد يحمي الطفل حماية زائدة ، ولكن حماية الأم الزائدة أكثر شيوعاً.
(جابر عبد الحميد جابر ، علاء الدين كفافي ، ١٩٩٢ ، معجم علم النفس والطب النفسي ، الجزء الخامس، القاهرة : دار النهضة العربية ، ص ص ٢٥٧٤ - ٢٥٧٥)
والحماية الزائدة أسلوب من أساليب التنشئة الخاطئة لأنه يتضمن قيام أحد الوالدين أو كليهما بحماية الطفل بصورة شديدة لدرجة تؤدي إلى حرمانه من الخبرات اللازمة لنموه بصورة طبيعية. وهو أسلوب يمارسه آباء الأطفال المعوقين أحياناً (المترجمان).

والأمر الذي تجدر الإشارة إليه هو الأطفال الذين يحاطون برعاية أكثر من اللازم – وكنتيجة مترتبة على تلك الحماية – دائماً مايخافون من الذهاب إلى أي مكان بدون إصطحاب أمهاتهم وهم في ذات الوقت لايخافون بنفس الدرجة على أنفسهم.

إن كثيراً من الأطفال في سن الرابعة والذين يكرهون الذهاب إلى المدرسة هم أساساً من نوع الأطفال الذين يترقبون حدوث الشر لإمهاتهم حين يتغيبون هم عنها. وهم يخافون على أمهاتهم طالما ليست أمامهم وهم يشعرون بذلك لأنها هي المسؤولة عن حمايتهم. وهم يفكرون بهذه الطريقة ربما لأنهم يشعرون دائماً أنه إذا حدث شيء ما للأم – وهي المسؤولة الأولى عن حمايته – فسوف يكون مصيره الوحدة والعجز. وبالمثل فإن الأمهات اللاتي يتضايقن – لاشعورياً ممن يقمن به من دور الحماية الزائدة ، نجدهن يملن إلى نقل هذه الرسالة – مهما كانت وسيلة النقل دقيقة ومهذبة ، إلى أطفالهن ، جاعلين أطفالهن يشعرون أن حبهن المتواصل وحمايتهن الدائمة لهم ليست هي كل الأمان لهم.

وقد صورت (أ.أ.ميلن) A.A.Milne السمات المميزة لهذه الزملة Syndrome (زملة الحماية الزائد) في قصيدتها الشعرية الرائعة التي وضعتها تحت عنوان " العصيان " " Disobedience " والتي مطلعها :

" James, James
Morrison Morrison
Weatherby George Dupree
Took Great
Care of his Mother
Though he was only three

James James
Said to his Mother,
" Mother, " he said, Said he:
" You must never go down to the end of the town.
If you don't go down with me."

وهؤلاء هم نحن الذين نتذكر قصيدة " ميلن " ، فنعرف ماذا حدث لمسز "ويزرباي جورج دوبري" Mrs. Weahterby George Dupree متجاهلة تحذيرات إبنها ، ألا تذهب إلى آخر المدينة بدونه ، ولذلك فهي
"Has never been heard from since".

- **قطع خيوط المريلة : Cutting the Apron Strings**

هذا لايعني أن الطفل الصغير الذي يعتمد اعتماداً كلياً على أمه وبشكل أكثر مما ينبغي لايتعين أن يذهب إلى مدرسة الحضانة. ذلك أن الطفل الذي تُصر أمه على أن تجلس بجانبه عندما يلهو ويلعب في فناء المدرسة أو لاتسمح له بأن يذهب مع أقرانه للعب في الملعب ، سيحتاج لتطوير وتحسين ثقته بنفسه وهذا أمر يمكن أن تعززه مدرسة الحضانة. ولكن ينبغي على الآباء والأمهات الذين كانوا مفرطين في حماية أو رعاية أبنائهم أن يبذلوا جهداً كبيراً ليساعدوا الطفل على توسيع أفقه ومداركه بتشجيعه على تجريب أشياء جديدة ، وربما يقترح عليهم في هذا الصدد أن يكلفوا الطفل بمهام أو أعمال روتينية تستدعي قدر من الكفاءة والجدارة من قبل الطفل وتعوده الاعتماد على النفس في الحكم على الأشياء. وعلى الآباء أيضاً أن يشجعوا أطفالهم على إقامة زيارات خارجية مختلفة بدونهم مثل الذهاب إلى منزل أحد الأصدقاء بمفرده ، أو القيام برحلات قصيرة تستغرق معظم اليوم ومن الممكن أيضاً للوالدين والطفل أن يلعبوا سوياً بعض الألعاب

التي تساعد الطفل على تجريب لعب الأدوار مثل المواقف التمثيلية أو افتعال مواقف مثل الذهاب إلى مدرسة الحضانة أو إلىنزهات أو أن يتظاهر الوالدان بأداء مواقف مثل ركوب القطار أو الطائرة على سبيل المثال لا الحصر. وهذه النوعية من الألعاب التي تحتوي على لعب الأدوار يحبها الأطفال كثيراً. وأما الطفل الذي اعتاد ركوب الطائرة فبالتأكيد سيدهش الآباء ويسليهم أيضاً بتخيلاته وملاحظاته الزكية المرهفة وتقليده لصوت الطيار الذي يأتي عبر مكبر الصوت ، وحركات المضيفين والركاب.

إن هذه النوعية من الألعاب أو المواقف المتخيلة تعطي مجالاً كبيراً للوالدين لكي يضعوا الطفل في مواقف كثيرة متعددة ويشاهدون تصرفه على سبيل المثال حين تذهب أمه لشراء تذاكر الطائرة ، وكيف سيكون سلوكه وتصرفه أو أدائه إذا غابت أمه عن عينيه أو إذا شردت عنه في مكان كان من المفروض أن ينتظرها فيه ، وذلك لإعطاء صغار الأطفال الفرصة للقيام بأفضل الحلول سلفاً لمواقف يمكن أن يواجهها الطفل في الحياة العامة والعالم الواقعي.

لماذا الضيق والإنزعاج إذن من جانب الآباء والأمهات ، وهل يجب على الطفل الذي يخاف أن يمكث في المنزل ؟ نحن نعتقد أنه من الجيد أن يبذل الطفل بعض الجهد حتى يتغلب على قلق الإنفصال بشكل بناء وفي مرحلة مبكرة وعلى نحو إيجابي.

إن الطفل دائم الخوف ليس طفلاً سعيداً ، وإذا ماتركنا تلك الجذور الأولى أعني (جذور الخوف) أن تنمو بدون أن نقومها فسوف تتولد لدى هذا الطفل عادة الخوف الدائم والإحساس بأن لا أحد يمكن أن يحميه وسيظل هذا الإحساس مصاحباً له على مر السنين ويطل برأسه بين الحين والآخر كل ذلك في خلال سنوات طفولته. نستطيع القول إذن أن السبب الأول

الذي يمكن أن يستمر طوال الحياة بسبب القلق من الإنفصال هو نقص الثقة في النفس ونقص الثقة بالآخرين والخوف من أن يُترك وحيداً ولكن يجب على الآباء التعامل مع هذه الاشياء ومعالجتها منذ المراحل الأولى للطفولة.

• عندما نضطر إلى تأجيل الذهاب إلى مدرسة الحضانة :

When going to Nursery School Should be Postponed

في أغلب الأحيان وحتى الأطفال الذين تعودوا على الخروج بمفردهم من المنزل يخشون الإنفصال عن أمهاتهم ولكنهم يكونون على استعداد تام للاستمتاع وللإفادة من المواظبة على الذهاب إلى مدرسة الحضانة بيد أنهم قد يواجهون بعض الصعوبات في ظل بعض الظروف.

لقد ظلت الطفلة " سارة Sarah " البالغة من العمر (٣,٥) ثلاث سنوات ونصف ، وطوال أجازة الصيف الطويلة ، تتطلع بشغف إلى الذهاب إلى مدرسة الحضانة ، خاصة وأن توقيت ذهابها إليها كان في وقت اقترب فيه ميلاد طفل جديد بعدها ، وكانت أمها تبدو متعبة ومجهدة من الحمل إلى الدرجة التي لم تستطع فيها أن تلعب معها كعادتها طوال أوقات كثيرة في فترات سابقة . لم تكن أم " سارة " نزقة أو سيئة الطبع ، كما أنها لم تتعمد التوقف عن اللعب مع طفلتها . بل بدا أنها بالفعل منصرفة عن الانتباه لها ، كما لو كانت افكارها مشغوله في مكان آخر ولكثير من ساعات اليوم.

وقد تكلمت الأم مع " سارة " حول الكيفية التي يمكن أن تجلب لها الكثير من المتعة والمرح لها ولأطفال كثيرين وذلك من خلال اللعب والالعاب المتوفرة في مدرسة الحضانة ، وبدت " سارة " أنها تواقة إلى البدء في الذهاب إلى هذه الحضانة.

ولكن عندما بدأ شهر سبتمبر (وقت بدء العام الدراسي عادة) ، ورغم أن كل شيء كان ممتعاً ورائعاً ، مع قدوم أخيها الوليد الجديد ، إلا أن تصرفات " سارة " وسلوكياتها عكست مابداخلها من عدم الإرتياح وبدر منها أشياء على النقيض تماماً من طبيعتها . لقد بدأت الذهاب إلى مدرسة الحضانة باشتياق كبير يوحي برغبتها الأكيدة في الاستمرار ، بيد أنها مع مرور الأيام وباطراد وغالباً مايحدث ذلك في توقيت ذهابها إلى المدرسة ، كانت تصيح وتصرخ وتعلن عن رغبتها في ألا تغادر البيت. وكانت عندما تكون في البيت ، لاتلعب العابها الخيالية (خاصة لعبة دعنا نتظاهر) والتي اعتادت أن تقوم بها وهي في حالة واضحة من البهجة والسرور الشديد . فضلاً عن رفضها اللعب مع الأطفال المجاورين لها في السكن.

وحتى هذه اللحظة ، لم يكن يخطر ببال أم " سارة " أن إبنتها غيورة من طفلها الرضيع. وأن هناك عدة أسباب لهذه الغيرة. الأول : أن أم سارة عانت بعض الآلام في إعداد إبنتها وتهيئتها لميلاد الطفل الرضيع. والثاني : أن سارة لم تكن تتصرف بشكل يدل على غيرتها. فلم تظهر ابنتها إطلاقاً مايشير إلى غيظها أو امتعاضها تجاه الطفل الرضيع ، أو حتى اقترحت على أمها أن تفعل مثلما فعلت إحدى أطفال جيرانهم حين رزقت أمها بالطفل الأول ، فبعد أن ولد أخوها اقترحت الطفلة على أمها أن تعود بهذا المولود مرة ثانية إلى المستشفى. صحيح أن " سارة " كان يبدو عليها أنها تحب أخاها ، وكانت دائماً في حالة شوق لمساعدة أمها ، كأن تناولها علبة المساحيق Talcum Powder أو أن تؤرجح الطفل في مهده أو أن تهز هزه في عربته. الشيء الوحيد الذي كان مختلفاً في سلوك سارة هو مقاومتها ومعارضتها للذهاب للمدرسة .. فضلاً عن أنها لم تكن تستمتع باللعب بمفردها أو مع صديقاتها وهو اللعب الذي اعتادت أن تجد متعة كبيرة فيه.

ولكن بطبيعة الحال ، كانت " سارة " غيورة ، وهذا هو السبب في أنها كانت خائفة من الذهاب إلى المدرسة ، أو أن تلعب مع صديقاتها. ويمكن تلخيص حالها في البيت في أنها ملتصقة تمام الإلتصاق بأمها ، وكانت كل تصرفاتها تؤكد على أنها لازالت في مسيس الحاجة إلى وجودها، وأبرزت من خلال سلوكيات مختلفة أنها دائماً في حاجة إلى العون منْها كلما قامت بعمل أي شيء.

إن المشاعر والأحاسيس الأولى التي دلت على أن " سارة " تغار من المولود الجديد ، والتي نجمت عن خوفها من أن تزاح عن مكانتها لدى الأم، يمكن أن نراها في أوجه عديدة من السلوك. فمظاهر الغيرة يمكن أن تلاحظ في تقلب الحالة المزاجية ، والتعبير الانفجاري عن الغضب ، وفي الاستياء الصريح الواضح من المولود الجديد ، كما قد تبدو الغيرة في النكوص* إلى سلوك طفلي Infantile behavior – كأن يطلب الطفل استخدام زجاجة الارضاع في الشرب ، أو أن يلجأ إلى تبليل الفراش دائماً مثلما يفعل الطفل الرضيع. والطفل الغيور ربما يبدأ في أن تنتابه ليلاً أحلاماً سيئة مزعجة ، أو أن يخاف من الذهاب إلى فراشه كل ليلة لينام. أو تظهر الغيرة لدى الطفل ، كما في حالة " سارة " . في الكشف عما تعانيه من خلال محاولتها أن تتأكد باستمرار أنها لم تزل مرغوبة ومتقبلة من أمها – كما قد يكشف الطفل عن غيرته عن طريق تبدل وتغير في سلوك الطفل العادي أثناء اللعب.

---

* النكوص **Regression** :

هو رجوع المرء إلى الأساليب التي كان يتبعها في مراحل نموه الأولى للتعبير عن دوافعه الفطرية. ويفسر بعض علماء النمو والصحة النفسية للطفل السلوك النكوصي على أنه نوع من مواجهة المواقف التي تصل صعوباتها إلى حد لايمكن التغلب عليه. ويتوسع البعض في معنى هذا السلوك فيجعله شاملاً لجميع أساليب مقابلة المواقف التي يفشل أمامها الإنسان. ويلاحظ أن الكبار أنفسهم إذا واجهتهم صعوبات كبيرة فقد يقابلونها بالبكاء ، أو بأحلام اليقظة. وإذا شعر الطفل بغيرة شديدة من أخ أصغر منه ، فإنه أحياناً يعود إلى الحبو ، وعدم القدرة على ضبط نفسه في التبول والتبرز ، وكثرة الصراخ ومص الأصابع وماشابه ذلك. ويحدث هذا النوع من النكوص عادة في أبناء الأمهات اللاتي يعملن لكسب عيشهن. ويؤدي هذا السلوك وظيفة هامة وهي الرجوع لمرحلة سابقة تستلزم رعاية الأم وعدم إبتعادها (المترجمان).

ومما تجدر الإشارة إليه ، أنه تحت أي ظروف ، يستطيع المرء القول أن أحد العلامات الدالة على أن الطفل ربما يعاني من بعض المتاعب هي حدوث تغير مفاجىء ، ومثير في أسلوب صغار الأطفال في لعبهم. فالطفل الذي يملك طاقات داخلية والذي تظهر معاناته في شعوره بالقلق يميل إلى الكشف عن هذه المعاناة إما في تغير أسلوبه في اللعب (كما رأينا في حالة الصبي الصغير الذي مثل وأعاد تمثيل العملية الجراحية التي أجريت له*) أو في عجزه وعدم قدرته على الشعور بالراحة والاسترخاء إلى درجة كافية في سياق اللعب فيمتنع عن اللعب على الإطلاق.

ولهذا – نرى من وجهة نظرنا – أن الوقت لايكون مناسباً ولا ملائماً لأن يلتحق الطفل بمدرسة الحضانة في هذه الاثناء ، حتى لو كان الطفل في حالة عادية من الثقة بالنفس. ولذلك يمكن القول أنه كان من الأفضل بالنسبة لحالة الطفل " سارة " أن تلتحق بمدرسة الحضانة في غضون شهر أو شهرين قبيل مجييء المولود ، ومن هنا كان من الأفضل أن تذهب إلى مدرسة الحضانة قبل مولده لابعد أن يولد. حينئذ ، ماكان لها أن تشعر أنها قد أُقصيت بعيداً عن المنزل لتفسح المجال للرضيع. أو يمكن أن نتصور الذي حدث لها على نحو آخر ، ذلك أنه كان من الصعب أن تذهب إلى المدرسة في هذا التوقيت . ولما كان الإلتحاق بمدرسة الحضانة غير ممكن فقد كان من المتعين على الوالدين أن يرجئا ذهابها وهما مضطران لذلك ، حتى يُعاود " سارة " الشعور بالأمان ، وحتى تكون أكثر تعوداً على وجود الرضيع ومتطلباته الروتينية التي يجب أن تؤديها الأم ، وحتى يأتي يوماً يصبح فيه وجود هذا الرضيع أمراً مُسلماً به ، كعضو في الأسرة.

---

* يمكن الرجوع إلى هذا المثال في الفصل الأول ، ص ٦١ – ٦٣.

وهناك ، أيضاً ، أوقاتاً أخرى ، لايوافق الباحثون أو لايستحسن فيها أن يبدأ الطفل في الذهاب إلى مدرسة الحضانة – وذلك عندما يكون أحد أفراد الأسرة – مثلاً – مريضاً وملازماً للفراش. فلو أن أم الطفل مريضة بالفعل ، فسوف نجد أن الولد أو البنت يميلان إلى إدراك البدء في الذهاب إلى مدرسة الحضانة على أنه أبعاد له أو أبعاد لها عن المنزل ، أو أنهما – أحدهما أو كلاهما – يدرك ذلك على أنه عقاب لكونه يتصرف تصرفات رديئة لاتعجب الأم ، وربما يصل الأمر إلى ماهو أسوأ من ذلك فيعتبران أن ذهابهما إلى مدرسة الحضانة سيكون سبباً في مزيد من مرض الوالدين. وبصفة عامة ، فإنه من الأفضل ألا نبدأ شيئاً جديداً في حياة الطفل ، – في ذلك التوقيت – خاصة إذا كان هذا الشيء يتضمن الذهاب بعيداً عن البيت، وهو التوقيت الذي يحدث فيه تغيراً في نظامه ، أو يحدث فيه أزمة داخل نطاق الأسرة.

الفصل الرابع

اللعب العنيف

الفصل الرابع

اللعب العنيف (العدواني)
The Worrisome Play

- مقدمـــــة.
- الاسباب الدافعة إلى العدوان (نظريات العدوان).
- السلوك العدواني.
- ماذا نفعل أمام العدوانية.
- الفرق بين العدوان والكراهية.
- الأقنية الآمنة للعدوان.
- اللعب والعنف.
- التشاجـــــر.
- التنافس الأخوي.
- تحول العدوان نحو الداخل.
- المتنفسات البناءة.
- اللعب الجنسي.
- استكشاف الأعضاء الجنسية لدى الطفل.
- لعبة الطبيب.
- أحلام اليقظة والتخييل.

الفصل الرابع

اللعب العنيف (العدواني)
The Worrisome Play

مقدمــــة :

يعتبر العدوان استجابة طبيعية لدى صغـار الأطفـال ، فهـو بمعنـاه البسيط ، يظهر عندما يحتاج الفرد إلى حماية أمنه أو سـعادته أو فرديتـه.. ويمكن تعريف العدوان بأنه السلوك الذي يؤدي إلى إلحاق الأذى الشـخصي بالغير ، وقد يكون الأذى نفسياً (على شـكل الإهانـة أو خفـض القيمـة) أو جسمياً بشرط ألا يكون ناتجاً عن الاستفزاز ، وهي الحالة التي يحاول فيها الطفل السيطرة على أقرانه عن طريق الإيذاء الجسـمي (الضـرب أو اللكـــم أو الرفس أو رمي الاشياء أو الدفع أو البصق) ، و/أو الهجوم اللفظي (إطلاق الاسماء ، الإغاظة ، الشتم ، التسلط ، ملاحظـات التحقـير ، التشـاجر ، التهـديد بالإيذاء).

والطفل العدواني على نحو شديد ومستمر يميل إلى أن يكون قهرياً ، ومتهيجاً ، وغير ناضج وضعيف التعبير عن مشـاعره ولديـه توجـه عملـي. والطفل العدواني متمركـز حـول الـذات * ويجـد صعوبـة في تقبـل النقـد أو الإحباط ، والأطفال الأقل ذكاءً وجد أنهـم أكـثر ميـلاً للعـدوان ، ربمـا لأن الطرق المنظمة في حل الصراع أكثر صعوبة في التعلم.

* التمركز حول الذات **Egocentric** : خاصية تميز الفرد المتمركز حول ذاته أو الاناني ، وهـو الـذي ينظـر إلى كل شيء من خلال ذاته وعلاقة هذا الشيء به ، ولايبالي باحتياجات الآخريـن وحقوقهـم. أمـا مصطلـح الآنانية Egotism فيستخدم للإشارة إلى الفرد الذي يتحدث عن نفسه تكراراً ومرارا بصورة غـير عاديـة ، وغالباً ماتبدو هذه الاشارة واضحة من خلال الاستخدام المتكرر لكلمة " أنا " (عبد العزيز السـيد الشـخص و عبد الغفار عبد الحكيم الدماطي ، ١٩٩٢ ، قاموس التربية الخاصة وتأهيل غير العاديين. القاهرة : مكتبـة الانجلو المصرية ، ص١٦١).

إن معظم الأطفال ممن تتراوح أعمارهم بين الثالثة إلى السابعة يحرزون تقدماً في اتجاه ضبط العدوان ، فبينما يحاول طفل العامين حل الخلاف بضرب الآخر بشيء ، فإن طفل الأربع سنوات أميل للمجادلة مع الآخر ، لبعض الوقت على الأقل. وفي عمر ٨ – ٩ سنوات يصبح الطفل منضبطاً بشكل جيد ، ومع أن المشاجرات تحدث في هذا العمر ، إلا أنها تكون مختصرة ، أما إذا استمر الطفل الكبير في خوض المشاجرات والقيام بأفعال عدوانية شديدة فإن على الآباء أن يأخذوا ذلك على محمل الجد ، وأن يستخدموا أساليب عمل سريعة وفعالة لكبح هذه العدوانية.

لقد وجد أن إنتشار العدوانية (اللفظية والجسمية) متساو تقريباً فيما بين الأولاد والبنات. وقد وجدت إحدى الدراسات أن حوالي ١٠٪ من الأطفال في عمر ١٠ (عشر) سنوات لديهم عدوانية زائدة بشكل ملحوظ.

- **الأسباب الدافعة إلى العدوان (نظريات العدوان) :**

هناك نظريات متعددة حول أسباب عدوان الأطفال ، فالبعض يعتقد أن هناك غريزة عامة للمقاتلة لدى الإنسان ، بينما يرى آخرون أن صغار الأطفال يتعلمون الكثير من العادات العدوانية عن طريق ملاحظة نماذج من سلوك الآباء والأخوة والرفاق وغيرهم ، كما يبدو أيضاً أن العدوان يزيد احتمال تعلمه عندما يُكافأ الأطفال لقيامهم بتصرفات عدوانية ، وذلك عندما يحصلون على مايريدون أو يجذبون انتباه الراشدين الذين يهمونهم. وتؤكد نظريات أخرى على أن احباطات الحياة اليومية تستثير الدافع إلى العدوان لدى الإنسان ، أي أنك تتصرف بعدوانية عندما يمنعك عائق ما من تلبية حاجاتك أو الوصول إلى هدفك .. ومن الأدلة على نظرية الاحباط –

العدوان* حقيقة أن معظم مشاجرات الأطفال في سن ماقبل المدرسة تنشأ بسبب الصراع على الممتلكات (أحد الأطفال يحاول أن ياخذ لعبة طفل آخر) ، وهي مشاجرات يقل عددها مع تقدم العمر ولكنه يبقى السبب الأول للمشاجرات في جميع الأعمار. ومن العوامل الأخرى اتجاهات المجتمع نحو العدوان. فالزيادة المطردة في جرائم العنف في الولايات المتحدة (بما في ذلك إساءة معاملة الزوجة والأطفال) تظهر عدم قدرة الأفراد على ضبط العدوان في ذواتهم ولدى أطفالهم ، ولقد شهد العقد الماضي تزييناً للعنف في الروايات ووسائل الاتصال الجماهيري ، بينما تقوم بعض المجموعات الفوضوية بتمجيد التخريب والوحشية. ويبدو أن هناك ثقافة فرعية تقوم على العنف قد أصبحت جزءاً من المجتمع الأمريكي ، وهذه الثقافة تعتنق معايير اجتماعية قائمة على العنف مثل " العين بالعين " و "الغاية تبرر الوسيلة". كما أن المجتمع الأمريكي قائم على قوانين التنافس والتنافس يؤدي إلى زيادة العدوان.

وقدرة الطفل على التخيل تبدو أيضاً عاملاً مؤثراً في العدوان حيث تُظهر بعض الدراسات أن الأطفال الأكثر قدرة على التخيل ، وحتى على التخيل العدواني ، هم أقل إحتمالاً للقيام بسلوك عدواني. وهناك عامل آخر وهو زيادة استخدام العقاقير ، فمثلاً من المعروف أن الكحول يستثير تصرفات العدوان العشوائي لدى المراهقين أو يجعلها أسوأ ، إذ أن التسمم

* فرض الإحباط – العدوان Frustration - aggression hypothesis : نظرية قدمها دولارد Dollard وزملاؤه عام ١٩٣٩ مؤداها أن الإحباط يؤدي دائماً تقريباً إلى عدوان وبالعكس ، فإن العدوان دائماً تقريباً تعبير عن إحباط (جابر عبد الحميد جابر ، علاء الدين كفافي (١٩٩٠) معجم علم النفس والطب النفسي ، ج٣ ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ص ١٣٤٤).

الكحولي يحد من وظائف الأنا* ويخفض من سيطرتها ويولد القهرية*.

وأخيراً فقد لوحظ أن الأولاد الذين يأتون من بيوت يكون الأب غائباً عنها لفترة طويلة يظهرون تمرداً على التأثير الانثوي للأمهات اللواتي يحملن أعباء إضافية ، بأن يصبحوا شديدي العدوان ، وأكثر هؤلاء الأولاد يتصرفون كما لو أنهم يعتقدون بأن التصرفات العدوانية تجاه الآخرين هي دليل الرجولة.

ومن المحتمل أن معظم النظريات المذكورة آنفاً صحيحة جزئياً : إذ أن جميع العوامل المشار إليها يبدو أنها تلعب دوراً في تنمية العدوان لدى الأطفال ، وبسبب وجود نظريات متعددة للعدوان ، فإن من غير المدهش أن نجد أن حلولاً متعددة قد اقترحت لهذه المشكلة.

- **السلوك العدواني : The Aggression Behavior**

ذكرنا في أكثر من موضع سابق أن العدوان يشير إلى أنواع السلوك الذي يستهدف إيذاء الآخرين أو تسبب القلق عندهم ، وهو عند الطفل في مرحلة ماقبل المدرسة يتضمن الضرب وتدمير الممتلكات والهجوم اللفظي

---

* وظائف الأنا : **Ego Functions**: يعني هذا المصطلح في التحليل النفسي الأنشطة المتعددة للأنا بما فيها إدراك العالم الخارجي والوعي بالذات وحل المشكلات والسيطرة على الوظائف الحركية والتكيف مع الواقع والذاكرة ، والتوفيق بين الافكار والدفعات المتصارعة. ويوصف الأنا كثيراً بأنه الوكيل التنفيذي في الشخصية ويعمل حسب مبدأ الواقع (جابر عبد الحميد جابر ، علاء الدين كفافي ، ١٩٩٠ ، معجم علم النفس والطب النفسي ، ج٣ ، القاهرة: دار النهضة العربية، ص ١٠٨٨).

* القهر : **Compulsion**:
  - سلوك مدفوع بعوامل تجبر الشخص على أن يتصرف ضد رغباته حالة سيكولوجية يشعر فيها الفرد بأنه مقهور.
  - القوة الكامنة التي تجبر الفرد على أفعال معينة.

  (جابر عبد الحميد حابر ، علاء الدين كفافي ، ١٩٨٩ ، معجم علم النفس والطب النفسي ، ج٢، القاهرة : دار النهضة العربية ، ص ٦٩٠).

ومقاومة مايوجه إليه من طلبات وأوامر. وميل الطفل إلى أن يكون عدوانياً صريحاً يتوقف على عدة عوامل ، ثلاثة منها هي : ١- شدة رغبته في إيذاء الآخرين وايلامهم. ٢- درجة إحباط البيئة وإثارتها للميول العدوانية. ٣- كمية القلق والشعور بالاثم المرتبط بالعدوان. كما أن هناك بعض الأدلة المقنعة على صحة الفرض القائل بأن الطفل يمتنع عن السلوك العدواني الصريح في الظروف التي يصبح الخوف والقلق مرتبطين فيها بالاستجابات العدوانية. فقد قام كل من "هولنبرج وسبري " Hollenberg, E & Sperry, M. بملاحظة (٢٣) ثلاثة وعشرين طفلاً من أطفال مدارس الحضانة خلال أربع جلسات للعب بالعرائس. وتسجيل كل وقائع العدوان وتقديرها. وكان التقدير يتم عند لجوء الأطفال إلى نوعين من السلوك العدواني. الأول : العدوان الشديد (كالعقاب المادي والإيذاء البدني ، تخريب الأدوات) الثاني : العدوان المخفف (كالعدوان اللفظي ونحوه). وفي خلال الجلسة الثانية للعب بالعرائس قام الباحثان بمعاقبة (١٢) إثنى عشر طفلاً ، هم أعضاء المجموعة التجريبية عقاباً من نوع عدم التقبل أو الاستهجان (بعبارات من قبيل " لاياجون ، ألا تعلم أن الأطفال الطيبين لاينبغي أن يفعلوا شيئاً كهذا ؟ " كلما صدر عنهم سلوك عدواني. وأما أفراد المجموعة الضابطة وعددهم (١١) أحد عشر طفلاً فلم توجه إليهم عقوبة ما وكانت تتاح لهم الحرية التامة في التعبير عن العدوان خلال الجلسات الأربعة.

أما في خلال الجلسة الثالثة فلم يوجه العقاب إلى أحد. ومع ذلك تبين أن أفراد المجموعة التجريبية أظهروا استجابات عدوانية في هذه الجلسة تقل بدرجة إحصائية دالة عما أظهروا من استجابات عدوانية في خلال الجلسة الأولى. وأما المجموعة الضابطة فكانت على العكس من ذلك. أي أن العدوان المتضمن في اللعب بالعرائس كان يزيد شدة وتكراراً من الجلسة الأولى إلى الجلسة الرابعة. وبعبارة أخرى تبين كما هو متوقع أن

العقاب يؤدي إلى كف العـدوان ، بينمـا " التسـامح فيمـا يتصـل بـالعدوان ينتقص من توقع العقاب أو قد يزيد من توقع الاثابة على العدوان " وبذلـك يؤدي إلى إزدياد العدوان. والظاهر أن هذه النتائج تنطبق أكبر الإنطباق على الموقف الأسري. أعني أن العـدوان إذا ووجـه في الأسـرة بالعقـاب ، ترتـب على هذا أن يتعلم الطفل كف الاستجابات العدوانية في هذه الظروف.

أضـف إلى ذلـك أن الخـوف أو القلـق الـذي يرتبـط بالاسـتجابات العدوانية يطرأ عليه التعميم ويصبـح مرتبطـاً بالتعبـير العدوانـي في المواقـف التي تشبه موقف الأسرة. وهكذا يتعلم الطفل أن يكف السلوك العدوانـي في هـذه المواقـف كمـا يكفهـا في المـنزل. ولكننـا نجـد أيضـاً أن هـذه الدوافـع العدوانية لايتم القضاء عليهـا بسـبب أنهـا علـى درجـة كبـيرة مـن القـوة. وعندئـذ وفي هـذه الظـروف تتعـرض الاسـتجابات العدوانيـة " للنقـل أو التحويل" Transference أعني أنه قد يعبر عنهـا في مواقـف مختلفـة تمامـاً عن موقف الأسرة (مثال ذلك في موقف اللعب بالعرائس الذي يكون التسامح متوفراً فيه). كذلك من الممكن أن نشتق بعض التنبؤات المعينة الـتي تتصـل بالتعبير عن العدوان وكفه اشتقاقاً من هذه الاعتبارات النظريـة. مثـال ذلـك أننا نستطيع أن نتنبأ بأن الأطفال الذين تكثر مواجهتهم للاحباط في المـنزل تنشـأ عندهـم دوافـع واستجابات عدوانيـة قويـة. كمـا أن الأطفـال الذيـن يعاقبون على التعبير عن العدوان في المنزل يقومون " بتحويـل " عدوانهـم ؛ أعني أنهم يكشفون عنـه في المواقـف الـتي لاتنطـوي إلا علـى أقـل تهديـد بالعقاب.

لقد قام الباحثان المشار إليهمـا آنفـاً - نعـني هولينـبرج وسـبري - بدراسة أخرى تتنـاول تأثـيرات العقـاب والاحبـاط مـن جـانب الأسـرة. في عدوان الأطفال عند لعبهـم بـالعرائس ، فتوصـلا إلى نتـائج متعلقـة بهذيـن المتغيرين (العقاب والاحباط). كان المفحوصون عبارة عن (٢٠) عشرين طفلاً

من أطفال مدارس الحضانة تمت مقابلة أمهاتهم مقابلة استقصائية متعمقة سُئلن فيها عن القواعد المقيدة للأطفال ، وعن التجاوب مع حاجات الطفل ومطالبه ، وعن طريقة فرض الإذعان والإنصياع لدوافع الأم ، وعن سلوك الأمهات خلال فترة الرضاعة والفطام والتدرب على ضبط عمليتي الإخراج. واشتقت درجات الإحباط في الأسرة من الاجابات التي يجيب بها الأمهات عن هذه الاسئلة. كذلك تم تقدير العقاب على العدوان في الأسرة على أساس من تقارير الأمهات عن مبلغ تكرار وشدة وطول فترات الضرب والتهديد والعزل والتوبيخ.

وقد اشارت نتائج الدراسة إلى صحة تأثيرات المتغيرين بصفة عامة. ذلك أن الأطفال الذين كانوا ينتمون إلىمجموعة الأحباط المرتفع (أي مافوق الوسيط في الاحباط في الأسرة) ، يميلون إلى أن يكونوا أكثر عدواناً في اللعب المتسامح بالعرائس من الأطفال قليلي الإحباط. كذلك تبين أن الأطفال الذين عوقبوا بدرجة عالية (أي مافوق الوسيط في عقاب الأسرة) يظهرون عدواناً أكثر في هذا الموقف (أي عدواناً محولاً أكثر) من هؤلاء الأطفال الذين عوقبوا بدرجة طفيفة. كما أن الأسر التي قدرت ذات احباط وعقاب عال كان أطفالها يظهرون قدراً أكبر وأشد من التعبيرات العدوانية في اللعب بالعرائس من الأطفال الذين ينتمون إلى أسر لاتحبط أو تعاقب أطفالها بدرجة عالية.

وخلاصة القول أن هناك أنواعاً معينة من اللعب الطبيعي جداً أو إلى حد كبير ، لكنها في ذات الوقت غالباً ماتثير الوالدين والمعلمين حيث أنه يشكل خطورة وضرر على صحة أطفالهم بكل ماتحمله الخطورة والضرر من معان عديدة. بيد أن اللعب العدواني على وجه الخصوص هو الذي يسبب كثيراً من المتاعب للبالغين. إذ يجعل الوالدان أكثر ضيقاً وتوتراً عند رؤية أطفالهم يتشاجرون مع بعضهم البعض ، كما يزعجهم كذلك أنهم قد يرونه على أنه خلل ما في السمات الشخصية الاساسية المميزة لأطفالهم.

واللعب العدواني ليس هو النوع الوحيد الذي يضيق به الوالدان ذرعاً ولكن أيضاً اللعب الذي يتعلق بالنواحي الجنسية والذي قد يثير أكثر الوالدين إنضباطاً للأعصاب أضف إلى ماسبق أيضاً عديداً من الاشياء التي قد تسبب إنزعاجاً للوالدين ولكن بدرجة أقل ومنها على سبيل المثال أحلام اليقظة Daydreaming واللعب الخيالي Fantasy Play ولكن هذه الأنواع من اللعب هي تعبيرات طبيعية للدافع نحو الاستكشاف لدى الأطفال ، والتي يمكن القول عنها – إذا أحُسن توجيهها في المسارات الملائمة – أنها تُعزز النضج الصحي والنمو السوي لهم.

- **ماذا نفعل أمام عدوانية الأطفال : What to do about Aggression**

بدأت السيدة ستيلا هاريسون Stella Harrison في اصطحاب طفلتها البالغة من العمر ٤ سنوات واسمها " ميج " " Meg " إلى الملعب عدة مرات في الأسبوع. كانت " ميج " تحب اللعب في صندوق الرمل وبالزلاقات (الخاصة بالتزحلق على الجليد) والأرجوحات. وكانت تستمتع بصفة خاصة باللعب مع طفلة أخرى من سنها تدعى " جيل " Jill وقد إعتادت على المجيء إلى الملعب برفقة والدتها مرتان أو ثلاث مرات أسبوعياً وذات يوم بينما كانت " ميج " و " جيل " تلعبان في مرح من خلال القيام بعمل الفطائر المصنوعة من الرمل والكيك جذبت " ميج " زميلتها " جيل " فجأة ولطمتها على خدها بشدة. ولم تعرف " جيل " لماذا أقدمت زميلتها على صفعها. إلا أنها لم تبكِ ، بل مكثت في إحدى الأركان مشدوهة فاتحة فمها ومحملقة عيناها إلا أن الأنزعاج الشديد كان قد بدا على أم " ميج " وسرعان ما جذبتها إلى خارج صندوق الرمل ووبختها وعنفتها على ضرب "جيل" دونما سبب قائلة لها " كيف تفعلين ذلك " ؟ ، " لماذا تضربين زميلتك " ؟ " إنها لم تفعل لك شيئاً " ، فأجابت " ميج " بلا إنفعال كما

لو كان هذا هو التصرف الطبيعي في مثل هذه المواقف. قائلة " لقد اضطررت إلى أن أفعل هذا.. فقد سبق لها أن ضربتني. هي التي بدأت أولاً.

إننا نحن الكبار نعرف الرد على الفعل بمثله ولذا كان الوصف الصريح والمباشر من جانب " ميج " على مابدر منها يبدو أمامنا على أنه وصف صحيح لأنه يذكرنا بنزعتنا في استخدام " السلوك الدفاعي " * Defensive behavior في دنيا الأعمال التجارية . في دنيا السياسة ، وفي العلاقات الإجتماعية. ومن هنا نحن نضحك من هذا السلوك الدفاعي لأننا نكون خجولين. إلا أن " ميج " لم تكن خجولة لأنها لم تكن متعمدة أن تلحق بزميلتها أذى حقيقي.

لقد كان تصرف " ميج " إندفاعياً وغير متعمد – وربما كان تصرفها هذا قد أثار ذهولها لما فعلته بزميلتها ولذلك تقبلت زميلتها الأمر بهدوء تام وهي تقف قبالتها. وهذا مايفسر لنا أنه بعد إنتهاء توبيخ أمها وتعنيفها – استأنفت كل من " ميج " و " جيل " لعبهما مرة أخرى كأن شيئاً لم يحدث. وقد بدا أن الحادثة قد تم نسيانها ، لكن أم " ميج " لم تستطع أن تنساها وبدا عليها الغضب فعلاً لما شاهدته ؛ ذلك أن ماحدث من طفلتها ضايقها إلى حد كبير بالإضافة إلى أنها لم تفعل شيئاً كهذا من قبل. وهنا سؤال يطرح نفسه من أين جاء عنصر العدوانية ؟ وما الذي يحركه بالفعل في كل ألعاب الأطفال الفردية أو الجماعية على حد سواء ؟

---

* السلوك الدفاعي : **Defensive Behavior**: السلوك الذي يتميز باستخدام أو بالاستخدام المفرط للميكانيزمات الدفاعية التي تعمل على المستوى اللاشعوري. وهو نمط من الإستجابات لتهديدات واقعية أو متخيلة تحدث إيذاءً بدنياً أو تضرراً للذات أو للأنا ؛ كالفرد الذي تنتفخ أوداجه وتجحظ عيناه وترتعش يداه ويندفع الدم إلى وجهه في المواقف التي تتضمن الخطر أو التهديد. وهو مصطلح شبيه بمصطلح " سلوك الهجوم " Attack Behavior (جابر عبد الحميد ، علاء الدين كفافي ، ١٩٩٠ ، معجم علم النفس والطب النفسي ، ج٣ ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ص٨٧٦). وسلوك الهجوم هو استخدام عدوائي للقوة والعنف ضد عدو. وعادة مايتم هذا بقصد إيذائه وقد تستخدم الحيوانات وبعض الناس الهجوم كشكل من أشكال الدفاع (جابر عبد الحميد جابر ، علاء الدين كفافي ، ١٩٨٨، معجم علم النفس والطب النفسي، ج١ ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ص ٢٩١).

• الفرق بين العدوان والكراهية * (الاتجاهات العدائية) :
The Difference between Aggression and Hostility.

يرى البعض أن العدوان يبدأ مع بداية الحياة نفسها ، وأنه يؤدي وظيفة بيولوجية ضرورية للغاية. وأن اللعب الاستكشافي المبكر لدى كل رضيع لابد أن يكون متميزاً بالعدوانية. وعلى ذلك فإن الحدة التي يبحث بها الطفل أو الرضيع عن اشيائه والحدة التي يمسك بها حلمة زجاجة الإرضاع في فمه ، والأسلوب القوي الذي يعكس النشاط والحيوية لدى الطفل الصغير جداً حين يلوح بيده ، أو حين يثني رجليه ، أو حين يدفع قدميه بقسوة تجاه صدر أمه محاولاً الوقوف قبل أن يستطيع الوقوف أو حتى حين يحاول الجلوس وهو غير قادر على ذلك ، فإن مثل هذه الأفعال والتصرفات تدل على بعض معاني العدوانية لدى الطفل. لكن هذا النوع من العدوان – الناجم عن الدوافع البيولوجية لدى الطفل – ليس هو مانعنيه بالعدوان الذي يحمل اتجاهات عدائية سالبة. فعلى الرغم من أن السلوك العدواني قد يترك أثراً ، وأحياناً مايكون هذا الأثر غير سار ، تجاه شخص

---

* عدوان Aggression : يمكن النظر إلى العدوان على أنه سلوك مدفوع بالغضب والكراهية أو المنافسة الزائدة ويتجه إلى الإيذاء والتخريب أو هزيمة الآخرين ، وفي بعض الحالات يتجه إلى الذات وعند فرويد يعتبر الدافع العدواني دافع فطري وغريزي. بينما توضح الدراسات الانثربولوجية أنه استجابة لعوامل ثقافية، لأننا نجد مجتمعات تتسم بالعدوانية الزائدة أو الشديدة ، بينما تتصف مجتمعات أخرى باللاعدوانية أو عدم العدوان. وفي الدراسة الشهيرة التي قام بها " دونالد " و " ميلر " اعتبرا العدوان استجابة شائعة وعامة تترتب على شعور الفرد بالاحباط. وعلى ذلك لايزال الخلاف بين العلماء عما إذا كان العدوان دافع أولي فطري يدفع الكائن إلى التخريب والعدوان ، أم استجابة معينة في مواقف خاصة كالمواقف الاحباطية. أي . هل العدوان غريزة لها أهدافها الخاصة بها أم أنه مصدر الطاقة التي تمكن الذات أو جهاز الأنا من التغلب على العقبات التي قد تعترض سبيل إشباع دوافعه. (جابر عبد الحميد جابر ، علاء الدين كفافي ، ١٩٨٨ ، معجم علم النفس والطب النفسي ، ج١ ، القاهرة دار النهضة العربية ، ص١٠١).

أما الكراهية Hostility : فهي غضب تشبثي وازدراء مختلط بدافع قوى للانتقام. ولو أن دفعات الكراهية قد تكون عادية وسوية وذلك في المواقف التي يشعر فيها الفرد بالاحباط والحرمان وبالتعصب ضده فإنها قد ـون أيضاً عاملا في نوبات القلق والسلوك الوسواسي القهري والاكتئاب ، والشخصية المناهضة للمجتمع والاستجابات البارانوية (جابر عبد الحميد جابر ، علاء الدين كفافي ، ١٩٩١ ، معجم علم النفس والطب النفسي ، ج٤ ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ص ١٥٧٢).

آخر ، فإن السلوك العدواني في حد ذاته ليس بالضرورة أن يتضمن اتجاهات عدائية. حتى حين يحمل السلوك العدواني بعض معاني العنف والقسوة وبعض المعاني التي تشير إلى الهدم والتخريب. وبمعنى آخر ، علينا أن ننظر إلى سلوك العدوان على أنه قوة الحياة The Life force التي تدفع البذر إلى الظهور على سطح الأرض ، والتي تدفع الطائر الصغير إلى أن يأخذ طريقه إلى خارج البيضة ، وأن يطوف بحثاً عن الطعام ، والتي تدفع السمكة الكبيرة إلى أن تلتهم السمكة الصغيرة ، والتي تدفع القط إلى أن يلتهم فأراً. أن ذلك كله يدفعنا إلى القول بأن العدوانية جزءٌ لايتجزأ من اللعب والتعلم والعمل ، وأنها أحد مكوناتهم المستمرة مدى الحياة. إن العدوان هو القوة التي تقف خلف إنجازاتنا المتعاظمة ، بالإضافة إلى أنه القوة التي تظهر في تصرفاتنا التي تتسم بالبغض والكراهية. ومن هنا فإن العدوانية يمكن أن تعبر عن قوى بناءة أو قوى هدامة ، في حين تعبر السلوكيات العدوانية عن اتجاهات عدائية فقط عندما يكون هدفها الأساسي هو إلحاق الأذى والضرر بشخص ما أو بشيء ما.

- **الأقنية الآمنة للعدوان Channeling Aggression Safely:**

يمكن القول أنه إذا كان العدوان في سلوك الطفل لايلحق ضرراً بالطفل نفسه ، أو يلحق ضرراً بالآخرين . وإذا كان اللعب العدواني ليس هو الطريقة الرئيسية أو الوحيدة التي تلاحظ على لعب الأطفال الصغار، فليس هناك مايدعو الآباء والأمهات إلى القلق. وبمعنى آخر . يمكن النظر إلى طريقة لعب الطفل على أنها علامة ومؤشر على أنه يود أن يلفت الانتباه إلى أن مايفعله سمة غالبة على تصرفاته ، وأنه يحاول الاكتشاف أو لديه قدرة على الاستكشاف وعلى اختبار نفسه. وبطريقة أخرى يمكن القول بأن اللعب العدواني هو طريقة نحو الارتقاء وتطوير الذات. وهذا ليس معناه أن المطلوب هو أن يضرب الطفل الأطفال الآخرين ، إذ من الواضح تماماً أن

المقصود هو الا نشجع الطفل على ذلك ، ولكن إذا لم يكن السلوك العدواني أمر مألوف من قبل الطفل ، فليس من المفروض أن تكون ردود أفعالنا أو استجاباتنا نحوه حادة كما فعلت أم " ميج " مع طفلتها. إن " ميج " بدأت فقط في إكتشاف ما الذي يجب أن تفعله مع الطاقة الفائضة Surplus Energy التي قادتها إلى ضرب زميلتها ، وليس مجرد التعبير عن الغضب. إن الأطفال في سن الرابعة الذين يلعبون معاً عادة مايكون خشنين في لعبهم بل ويطرحون بعضهم بعضاً على الأرض . إن الضرب المتبادل والارتطام بين صغار الأطفال ليس دليلاً على وجودٍ مانسميه العدائية كما هو الحال في الشجار والتقابل بين كبار الأطفال فضلاً عن الراشدين.

- **اللُعب (جمع لُعبة) والعنف Toys and Violence :**

ان اللعب بالمسدسات والبنادق أو أية أسلحة أخرى ربما تثير غضب الكثير من الوالدين والمعلمين على نحو واضح فالآباء والأمهات فضلاً عن المعلمين يخشون أن تولد مثل هذه اللُعب المزيد من العنف والمزيد من التشاجر بين الأطفال.

إن السيدة "هاستنجز" Mrs. Hastings وهي معلمة في روضة أطفال تتميز بأنها سيدة رقيقة ، مُحبة للهدوء والصمت ، لذلك كان يزعجها كثيراً تواجد معلمات أو المشرفات في غرفتها وكانت كلما تزايد عدد اللعب الحربية الموجودة في حجرات الدراسة كلما أدى ذلك إلى تزايد غضبها وتوترها ولهذا قررت أن تقف موقفاً حازماً من هذه المسألة. في البداية شرحت للأطفال كيف أن هذه اللُعب من الأسلحة خطيرة وكيف أنها تُستخدم لقتل الناس وأنه من الآن فصاعداً يتعين ألا توجد مثل هذه الاسلحة اللعب في الفصل الدراسي ولاحتى مجرد مسدسات الماء. وقد

إستمع الأطفال لمعلمتهم بعناية وأومأوا برؤوسهم علامة على الموافقة ، وبعدها بدأت تلك الألعاب تختفي من حجرة الدراسة.

ولكن الذي حدث في صباح اليوم التالي أن مسز " هاستنجز " فوجئت بالأطفال يلعبون بشوك بلاستيكية وأقلام الألوان الفلوماستر يوجهونها إلى بعضهم البعض ويصدرون في نفس الوقت ضوضاء أصوات البنادق والمسدسات. فماذا يمكنها أن تفعل – هل تصادر هذه الشوك وهذه الاقلام من أيدي الأطفال ؟ إنها تدرك تماماً إنها إذا فعلت ذلك فبالتأكيد سوف يقوم الأطفال باستبدالها بغيرها وحالاً سيفعلون ذلك. لهذا قررت مسز " هاستنجز " أن تتقبل الأمر – وأن تتجاهله – إذ ادركت أن الأطفال في حاجة إلى اللعب لعبة البنادق. وفي خلال أسابيع قليلة ، وجدت أن معظم تعليماتها قد ذهبت هباءً ولم يتحول الأطفال عن إطلاق النيران في لعبهم الخيالي ولم تتحول ألعابهم إلى مسارات أخرى غير تلك الالعاب التي تشير إلى ولعهم بتمثيل الحروب.

إن لعب الأطفال التخيلي (الإيهامي) بالبنادق والمسدسات ، أو بالأحرى ، لعبهم بأية العاب أخرى من خلال لعب الدور لايشير بشكل قاطع إلى ميلهم إلى ممارسة العنف أو أن ينذر بنوع خاص إلى نزوعهم نحو مهنة معينة ، أو لايشير على أقل تقدير إلى نوع من السلوك الإجرامي. إنما الأمر المؤكد أن هؤلاء الأطفال يلقون إهتماماً ورعاية من والديهم وكذلك هم من الأطفال الذين يتمتع والديهم بضمائر حية ، ويجدون لديهم الوقت والقدرة على منح أطفالهم الحنو Affection والتشجيع ، وأيضاً النظام. أما الطفل الذي يلقى إهمالاً وسوء معاملة ، أو الطفل الذي يُعامل بقسوة ، فهو من ناحية أخرى ، لايحتاج إلى لعبة البنادق والمسدسات كي يخفي أفكاره الخطيرة من حيث الجوانب التدميرية فيها ، أو ربما نجد مثل هذا النوع

من الأطفال في يوم ما من الأيام يحول هذه الأفكار التدميرية إلى أمثلة حية في الواقع الذي يعيشه.

• **التشاجر Quarrel:**

لايتضمن التشاجر العدوان البدني ، ومع ذلك فإنه قد يُصبح منهكاً مقلقاً للآباء والأمهات ومعلمات مدارس الحضانة. لكن التشاجر لحسن الحظ قلما يكون خطيراً في مرحلة ماقبل المدرسة. ولو أن مراته كثيرة العدد أو التكرار في هذه السن.

وقد تبين من تحليل لعدد (٢٠٠) مائتي مشاجرة قامت بين (٤٠) أربعين طفلاً ممن ينتمون إلىفترة ماقبل المدرسة أن الأولاد يتجادلون أكثر من البنات ، وأن المشاجرات التي تنشب بين الأطفال الأكبر سناً تكون أقل عدداً ولكن أطول دواماً من الأطفال الصغار. وأن الخلافات تحدث بصفة أكثر بين الأطفال الذين يتفقون في الجنس ولكن يختلفون في العمر. وأن الأطفال الأصغر سناً ولو أنهم يشتركون في مشاجرات أكثر ، إلا أنهم يتخذون أدواراً أقل عدوانية ولايقدمون إلا مقاومة قليلة في مواجهة السلوك الأكثر عدوانية الذي يصدر عن الأطفال الكبار.

وأما الخلافات اللفظية بين الأطفال ؛ فكانت مثل سائر خلافاتهم قصيرة في العادة تنتهي بسرعة. كما أن الإبتهاج كان يعقب المشاجرات بنسبة أكبر مما يعقبها الاستياء والسخط. فالظاهر إذن أن إنفعالات الأطفال في هذه السن تستثار بسرعة وتزول بسرعة. ولأن المشاجرات تزود الأطفال بفرص لتعلم أشياء جديدة ، أوصى القائمون بالدراسة الآباء والأمهات أن يتركوا أطفالهم يتقاتلون وينهون معاركهم في الأحوال العادية.

على أن الطفل لابد له من أن يجرب كلا من الاستجابات "المرغوبة" (الودية ، القائمة على التعاطف) وغير المرغوبة (العدوانية ، العدائية ، الخلافية) في خلال عملية التنشئة الاجتماعية. والسلوك العدواني يمكن أن يعد نتيجة سوية لاتساع إحتكاكات الطفل الإجتماعية. صحيح أن الآباء والأمهات والمعلمين من حقهم أن ينزعجوا من العداوات والمشاجرات التي تزيد عن الحد المعتاد في تكرارها أو شدتها. ولكنه يبدو أنه لابد من أن يصحب عملية " التجريب " الاجتماعية قدر معين من العدوان.

- **التنافس الأخوي Sibling Rivalry:**

وهناك نموذج أو حالة خاصة من العدوانية ، تشتمل على مكون من مكونات العدائية يتعين وضعه في الاعتبار لأهميته ، وهو التنافس بين الأخوة والأخوات ، فذلك الجانب ربما يعد أحد المظاهر الذي يضيق بها الوالدان ذرعاً وترهقهم نفسياً إذا ماظهرت بشكل ما في سلوك الطفل. ولانذهب بعيداً إذا قلنا أنها أكثر المظاهر التي تثير غضبهم وحنقهم ، أيضاً.

إن من أصعب الأمور واشقها على أي باحث أن يحاول في بعض الأحيان أن يحدد الفرق بين الالعاب الجماعية في صورتها المجردة والتي يقوم بها الأخوة والأخوات والتي قد تشتمل على " تعذيب " Torturing "الضحية" The Victim ، والسلوك العدائي الذي يتميز بقدر كبير من الخطورة. والأمر الأكثر صعوبة في هذا الصدد ، هو أن الآباء والأمهات لايعرفون بالضبط ما إذا كان صحيحاً أم غير صحيح ضرورة التدخل بين الأخوة والأخوات لمنع استمرار الشجار فيما بينهم. ويتساءلون دائماً هل من الأفضل أن يوبخوا ويعنفوا صغارهم على اقتتالهم مع بعضهم البعض أم أن

الأفضل إبعادهم عن بعضهم البعض ، أم أن الأفضل الانتظار ويدعون الصغار حتى يفرغوا من خلافاتهم ، ويضعوا حداً لشجارهم بأنفسهم ؟

إن الوالدين الذين تتوفر لديهم الشجاعة الكافية لترك الغرفة عند بدء الخلافات والنزاعات بين أطفالهم (ولاينصح بتلك الخطوة بطبيعة الحال إلا مع الأطفال في سن ٣ - ٤ سنوات على الأقل) ، يرون أن الانسحاب من ميدان المعركة هو دائماً أفضل سبيل لوضع حد ونهاية لشجار أطفالهم قبل أن تخرج الأمور من أيديهم. وعندما يلمس الآباء والأمهات الآثار المفيدة لغيابهم في أثناء شجار أولادهم الصغار ، فسوف نراهم يندهشون ويتعجبون إلى ما سوف تصير الأمور إليه لو أنهم لم يتدخلا في الشجار على الاطلاق. ثم ماذا عن ترك الآباء والأمهات لأطفالهم يلعبون تحت إشرافهم أو تحت إشراف شخص آخر ؟ هل سينخرط الأطفال في مثل هذه المعارك والمواقع وهم يلعبون مثلاً لعبة بيت الدمية ، أو لعبة الشاحنات ، أو البناء بالمكعبات الخشبية ؟ والإجابة هنا ، ستكون في أغلب الاحتمالات : "لا"، فحتى الإخوة والأخوات الذين إعتادوا أن تعلو أصواتهم ويتصايحون في داخل نطاق الأسرة ، نراهم يميلون إلى أن يكون تفاعلهم في غياب الوالدين في شكل دوائر مغلقة ، وتقارب حميم يبدو في حماية بعضهم البعض بإخلاص.

إلا أن غياب الوالدين المستمر من ناحية أخرى سينمي لدى الأطفال على المدى الطويل إحساس مؤداه أنه من الصعب أن يتعلموا أن ينسجموا مع بعضهم ، أو أن يحب كلا منهم الآخر. إذ انهم لايتشاجرون ولايتقاتلون حقيقة حول ممتلكاتهم الشخصية ، لكنهم سوف يتشاجرون ويتقاتلون حول الحصول على تقبل الوالدين ، واهتمامهما ، وانتباههما ، ولكي يصلوا إلىإشباع هذه الحاجات النفسية فسوف يصرون على الشجار المرة تلو المرة.

إن كل الآباء والأمهات ذوي الخبرة والتجربة يعرفون أن كل دقيقة يقضيها الطفل مع أحد والديه أو كلاهما ، سوف تولد لدى الطفل الصغير الرغبة في أن يتفهم الاشياء من حوله وأن يصل إلى حلول وسط فيما يتعلق بالاشياء التي كان يتشبث بها منذ لحظة سابقة. ولذلك يمكن القول أن معظم الأطفال على هذا النحو. كما أن الأطفال الغيورين إلى حد ما يظهرون شكاواهم إلى آبائهم عن طريق شجارهم ، وهذا يصدق فقط على الآباء والأمهات الذين يهتمون بإنهاء الشجار بين أطفالهم.

إن التنافس الأخوي يمكن أن يختفي بالتدريج - إن عاجلاً أو آجلاً وفي الوقت المناسب وقتما يريد الوالدان ذلك - مع أنه على أقل تقدير قد يفتح المجال للصراع والنزاع وذلك في سياق نمو الاحساس بالهوية لدى الطفل ، أو في سياق مشاعر التفاؤل والثقة بالنفس التي يتم تعزيز وتدعيم جزء مهم منها من خلال اللعب. وفي الوقت نفسه ، لاتوجد هناك قواعد عامة تشير إلى المدى الذي يتعين على الوالدين عنده أن يتدخلا في مشاجرات أطفالهم. إلا أنه يمكن توجيه النصح في هذا الصدد بضرورة الفصل بين صغار الأطفال حين يبدأون في الشجار ، وذلك في حالة ما إذا كان سلوكهم سيتحول إلى الحاق الضرر بأجسامهم ، وإعطائهم اشياء يلعبون بها في حالة الفصل المؤقت فيما بينهم. إن الهدف من هذا الفصل المؤقت ليس هو إخماد العدوان عند الأطفال وإسكاته . أو حتى إخماد الغضب لديهم ، ولكنه بالإضافة إلى كل ذلك يقدم لهم متنفسات إنفعالية مشروعة لطاقاتهم.

وعلى أية حال ، فإن من الأمور العامة القول أن باللعب العدواني لايتعين اسكاته. أو بمعنى آخر يتعين على الآباء والأمهات ، ومعلمي ومعلمات رياض الأطفال أن يحاولوا تقنية * To Channel طاقات هؤلاء

* To Channel = تعني ؛ يوجه نحو قناة ؛ يحصر اهتمامه في مجرى أو اتجاه.

الأطفال الصغار عن طريق بدائل معينة لايشعر الأطفال عند ممارستها أنهم محاصرون ومجبرون على سلوكيات محددة. إن اللعب النشط الفعال بالزلاجات والأرجوحات ، وأيضاً الجري ، والتسلق ، والقفز هي متنفسات جيدة تؤدي بالأطفال إلى التعبير عن طاقاتهم وقواهم.

وعندما تتم عملية تحويل طاقات الأطفال العدوانية إلى مسارات أخرى مقبولة ، سيكون هناك إحتمال قوي في أن يكون لعبهم أقل انفجارية إلى حد كبير ولن يتحول بطبيعة الحال إلى كراهية صريحة. وتشير لنا الفطرة السليمة التي تعكس الحكم على الاشياء بصورة صائبة أن الأطفال في حاجة إلى متنفسات لدوافعهم العدوانية أكثر مما يحتاجه الكبار الراشدين ، وآية ذلك أنهم لم يصلوا بعد إلى مرحلة ممارسة ضبط يشوبه العقل على مشاعرهم وأحاسيسهم فضلاً عن سلوكهم.

- **تحول العدوان نحو الداخل : Aggression turned Inward**

إن إخماد اللعب العدواني بالإضافة إلى توفير متنفسات أخرى جيدة لإنفعالات الطفل يعد أفضل الوسائل للتخلص من الطاقة العدوانية عنده وإن كان الأكثر ضرراً هو إخماد اللعب العدواني واسكاته لأنه قد يتضمن بعض المخاطرة أيضاً. كما أن الطفل الذي يوبخ ويُعنف على لعبه الخشن ، والذي يوجه إليه التحذير بشكل مطرد ضد إلحاق الضرر بأي شخص آخر أو بأي شيء ، نجده يميل إلى إلحاق الضرر بنفسه طالما لايستطيع ذلك مع آخرين ، ومن ثم يصبح شخصية معرضة للحوادث Accident - Prone في اللعب.

وهذا الطفل تصل إليه من والديه رسالة فحواها إن إيذاء نفسه هو أكثر أماناً بل ومسموح به من قبل الراشدين الكبار من حيث كونه يعكس تحمل المسؤولية بدلاً من تصريف العدوان على الاشياء التي يلعب بها مثلاً.. والطفل الذي تصدر إليه التعليمات باستمرار على ضرورة ألا يلحق الضرر بالآخرين يشعر أنه مكبل ، وأنه طفل مزعج ، ويترتب على ذلك ان يتولد لديه شعور بالغضب ، وشعور بالذنب أيضاً. وبالتالي يترتب أيضاً على كل ماسبق من عدم وجود متنفسات متقبلة لعدوانيته ، أن يطلق العنان لطاقته وغضبه فيصبهما على ذاته. ومما تجدر الإشارة إليه أن إيذاء الذات يؤدي وظيفتين هما : يعطي للطفل متنفساً لمشاعره القوية ، والثانية: أنه حين يعاقب نفسه ، فإنه بالتالي يجد خلاصاً من الاحساس بالذنب.

وبصفة عامة ، يمكن القول أننا نحن الكبار نشعر بارتياح أكثر عندما نرى أن لعب الأولاد يغلب عليه العدوانية ، وأنهم مهيئون للمنافسة الجادة الخشنة أكثر مما نراه في لعب البنات حينما يلعبن في شيء من العنف. وغالباً مانتكلم نحن الكبار عن اللعب العنيف والتنافس الصريح لدى البنات على أنه طريقة ذكورية في اللعب. وعلى الرغم من أننا لسنا متأكدين مما إذا كان اتجاهنا نحو لعب الذكور وإختلافه عن لعب الإناث هو انعكاس لفروق بيولوجية وثقافية بين الجنسين ، إلا أن الأمر الحقيقي هو أنه في معظم الثقافات نجد أن الأولاد دائماً يجدون الميل إلى تشجيعهم على الإنخراط في اللعب العنيف ، وفي الاشتباك بالأيدي ، وفي المصارعة ، وغيرها من صور السلوك التنافسي أكثر من البنات. وعلى أية حال ، فإن هذا الاتجاه يبدو أنه في سبيله إلى التغير إلى حد ما في السنوات الأخيرة، فملاحظاتنا لسلوك البنات في المدارس ، وفي الشوارع ، وفي الملاعب تقودنا إلى اعتقاد مؤداه أن أكثر بنات هذه الأيام قادرات على الشجار مثلهن مثل البنين الذين اعتدنا أن نرى منهم ذلك فقط دون البنات.

- **المتنفسات البناءة : Constructive Outlets**

سواء كان القول بأن البنات بطبيعتهن عدوانيات مثلهن في ذلك مثل البنين صحيحاً أو غير صحيح ، فإن الثابت أن العدوان هو أحد المكونات الفعلية لكل أنواع سلوك اللعب الذي ينخرط فيه كلا الجنسين منذ سنوات النمو المبكرة. وحقيقة أن اللعب باشكاله المتنوعة والمتباينة يزود أي طفل – ولداً كان أم بنتاً – بأعظم المتنفسات البناءة والايجابية والتي يمكن أن تخفف من وطأة آثار العدوان. وعلى هذا يمكن القول أن هذه المتنفسات هي صمام أمان Asafety Valve لإنطلاق التوتر الإنفعالي والذي إن لم يجد له متنفساً ربما يلجأ الأطفال إلى وسائل على قدر كبير من الخطورة. وربما يتحول هذا التوتر – كما سبق أن رأينا – إلى اتجاهات عدائية وكراهية تجاه الآخرين أو تجاه الذات.

إن الأنواع المختلفة من اللعب العدواني هي على أية حال أنواع جذابة من اللعب لدى أناس مختلفين ، وبالطبع ، يعتمد هذا على مايتمتع به الفرد من قوة جسمية أو تركيبة نفسية ، وعدد وافر من العوامل المختارة الأخرى بالإضافة إليهما.

إن الرياضي الذي يشبع رغباته النفسية والرياضات التي يشيع فيها الإحتكاكات البدنية التي تسمح بالاشتباك مع آخرين في إطار تركيب أو بناء حبي وسلمي هما صورتان من صور التنفيس التي تحظى بجاذبية خاصة لدى العديد والعديد من الناس من مرحلة الطفولة المبكرة إلى مابعدها من مراحل النمو. ذلك أن هذه الألعاب الجماعية والرياضات البدنية ، وهذه المنافسات تجعل الأطفال أقل ميلاً إلى الشعور بالخزي عند الخسارة، وأن يكونوا أقل ميلاً إلى القتال والنزال الحقيقي عند الغضب. وهذه الرياضات أيضاً تجعل الاشخاص أكثر إحساساً بالأمان سواء في حالة

الخسارة أو الهزيمة (ففي داخل الألعاب الجماعية هناك قيود وتحديدات. والتي هي في العادة ملزمة لجميع اللاعبين) ، أو في حالة الفوز والإنتصار، ذلك أن الفائز - بالإضافة إلى ماقلناه آنفا - الذي لايميل إلى أن يهزم خصمه بأساليب ماكره أو دنيئة أو يحاول أن يقابل الأذى بمثله ، يميل إلى تكرار نفس السلوك إذا كان التشاجر أو العراك حقيقياً.

وحقيقة الأمر أنه ليس فقط الألعاب الرياضية الجسمية ، ولكن أيضاً كل الألعاب الجماعية ، تشتمل على كثير من أنواع السلوك الذي لانفكر في أنه سلوك عدواني ، لأنه من النوع الذي يكون " مبنياً " على سلوك شبيه بالعدوان. وربما توضح لنا لعبة " الشطرنج" Chess بشكل أكثر " دراماتية " وإثارة من أية لعبة أخرى ، تعبيرها عن " العدوان " (إذ قد تتضمن ، أحياناً ، اتجاهات عدائية حقيقية) ، كما أنها تبدد مثل هذه المشاعر والاحاسيس بأمان. وربما تبدو لعبة " الشطرنج "على أنها لعبة مفعمة بالسلام ، لأنها لعبة الفكر والعقل ، والذكاء والفطنة ، ولعبة الجلوس لوقت طويل ، ولعبة الهدوء. صحيح أن اللاعبين فيها يظلون في أغلب الوقت جالسين ساكنين بلا حراك ، وهم بالكاد يتكلمون ويظلون على هذه الحال لعدة ساعات إلا أن لعبة " الشطرنج " - في واقع الأمر - هي بالفعل واحدة من أكثر الألعاب عدوانية ، فخلف الحقيقة القائلة بأن هذه اللعبة ترمز إلى الحرب والفوز فيها يكون عن طريق الإنتزاع والإخضاع - إما بالشلل والعجز أو الموت - لأحد ملوك الجيش عن طريق استخدام القوة العسكرية أو أية جيوش أخرى ، نقول أن خلف هذه الحقيقة هناك طاقة عقلية ونفسية يحتاجها اللاعب في ممارسته لهذه اللعبة وهذه الطاقة المطلوبة طاقة ضخمة وهائلة. ولأن التركيز يكون محصوراً في وقت اللعب على طاقة اللاعب ، إلى درجة يكون فيها مقيداً تماماً بحدود اللعب ، فإن اللاعب لايكون واعياً بما يدور حوله في أثناء اللعب. ولو حدث أن تكلم إليه أحد ، فإنه ببساطة لن يسمعه ، ويترك المتحدث بلا إجابة ، وعلاوة

على ذلك ، فإن كثيرين من لاعبي الشطرنج يعترفون صراحةً بأنهم ينـابهم مشاعر عدائية إلى حد كبير تجاه خصومهم وذلك في أثناء مجريات اللعب ؛ ففي أثناء المباراة تكون لعبة الشطرنج هي بالفعل لعبة حـرب حقيقيـة بـين الطرفين.

ومن المؤكد كذلك أن أعلى المشاعر المعـبرة عـن العـدوان مـن خـلال اللعب العدواني ، تكون في النشاط الفني. فكل الفنون ماهي إلا مجموعـات من الالعاب ، فالفن نوع من اللعب. أو لنقل أن كل اندماج مثالي في العمل أو اللعب يجعل الاثنان يصلان إلى حالة يتعذر فيها التميـيز بينهمـا فضلاً عن صعوبة فصل أحدهما عن الآخر ، وهـذا أمـر مفهـوم علـى أنـه بديهـي وواضح بذاته Self-Evident. ولذلك نجـد أن جميـع المحـاولات الإبتكاريـة والفنية تتطلب الكثير من الطاقة العدوانية ، سواء كان الإنخـراط فيهـا مـن قبل الأطفال أو الراشدين الكبار. فلكي " تلعـب " أو " تعـزف " علـى آلـة موسيقية ، حتى لو كان اللاعب أو العـازف مقتـدراً إلى حـد كبـير ، فمـن الواضح أن المرء يتطلب دافعاً قوياً وحافزاً عظيماً ومثـابرة ، والشـيء الـذي يحدث في الفن من حيـث الكفـاءة في الإنجـاز يحـدث كذلـك في أي نشـاط إبتكاري. والخلاصة من كل ماسبق هو أن العدوان هـو الطاقـة لكـل القـوى الموجهة نحو التعلم.

- **اللعب الجنسي Sex Play:**

كثير من الكبار الراشدين والناس عمومـاً يكونـون علـى درجـة عاليـة جداً مـن الضيـق والقلـق فيمـا يتعلـق بلعـب الطفـل الـذي يتصـل بالمعـاني الجنسية Sexual Overtones أكثر من ضيقهـم وقلقهـم بلعـب الطفـل الـذي يتصف بالعدوانية.

إلا أنه هناك مقدار واضح من اللعب يتخذ صبغة اللعب الجنسي، وهذا المقدار يظهر جلياً واضحاً على نحو خاص في أثناء مرحلة ماقبل المدرسة ، وفي السنوات المبكرة من المدرسة الابتدائية ، وذلك عندما يتوق الأطفال إلى إشباع ماديهم من حب الاستطلاع * Curiosity يتعلق باعضاء جسمهم – والجسم هو المصدر الأول لألعاب الطفل الباكرة ذات الصلة بالموضوعات الجنسية. ومع بلوغ الطفل سن الثامنة أو مايتلوها من سنوات، يصبح كلاً من البنين والبنات – على وجه العموم – على حذر إلى حد ما أو أكثر إحتشاماً وحياءً في الأمور ذات الصلة بالجنس ، كما يكونون أقل ميلاً للعب الذي يتخلله القهقة Giggly ، أو العاب الاستكشاف الجنسي التي تميز لعب صغار الأطفال.

وكما رأينا بالفعل ، يكون الأطفال أكثر فضولاً إلى حد فوق المعتاد في مرحلة ماقبل المدرسة عنها في فترة العامين ، وهم في هذا منقادون أو مدفوعون بطبيعتهم وفطرتهم إلى استكشاف المزيد من المعلومات عن أجسامهم وأنفسهم ، وعالمهم ، وذلك في سياق النمو المتسارع لعقولهم وحواسهم وبما تسمح باستيعابه هذه العقول. فكل شيء فيما حولهم قابل للشعور به ولمسه، وكل شيء حولهم قابل للرؤية والسمع ، يثير لديهم الدافع إلى الاستكشاف ، بما في ذلك أجسامهم ، أو لنقل كل أجزاء أجسامهم.

---

* حب الاستطلاع **Curiosity**: نزعة للبحث والملاحظة أو جمع المعلومات وخاصة عندما تكون المادة جديدة أو مثيرة للاهتمام. وهذا الدافع يظهر تلقائياً لدى الحيوانات والأطفال الصغار الذين يفحصون ويعضون ويتناولون ويزوقون ويشمون كل شيء تقريباً في البيئة المباشرة. وحب الاستطلاع طريقة أولى للتعلم وتتخذ صورة طرح أسئلة كثيرة منذ فترة الحضانة إلى مابعدها. وبسبب ظهور حب الاستطلاع منذ وقت مبكر في حياة الطفل ، اعتقد كثير من علماء النفس أنه دافع فطري غير متعلم (جابر عبد الحميد جابر ، علاء الدين كفافي ، ١٩٨٩ ، معجم علم النفس والطب النفسي ، ج٢ ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ص ٨٣٤).

• استكشاف الأعضاء الجنسية : Discovering the Sexual Organs

نظراً لأن الفم ، وأصابع اليد ، وأصابع القدم يتم اكتشافهم والتعرف عليهم مباشرة منذ بدء الحياة ، فإنه بطبيعة الحال ، وبشكل سريع إلى حد كبير ، يتوقع الآباء والأمهات أن مناطق أخرى من جسم الرضيع سوف يحاول إستكشافها وخاصة المنطقة الخاصة بالإعضاء التناسلية Genital area وهي المنطقة الحساسة في الجسم – بطبيعتها الفطرية. وهذا الاستكشاف العشوائي هو أكثر أنواع اللعب الجنسي الذي يظهر مبكراً جداً في بدايات الطفولة المبكرة. وربما تأتي إثارة هذه المنطقة الحساسة – وبطريقة فطرية طبيعية بكل ماتحمله كلمة فطرية من معنى – وذلك عندما يشعر الطفل الرضيع بمشاعر طيبة في سياق قيام الأم بعملية رعايته وتعهده ، وذلك عندما تحمله بإطمئنان ، وتربت عليه برفق ، وتجفف جسمه بعد استحمامه أو حين تستبدل بعض ملابسه. إن هذه الخبرات الجسمية المستساغة في مرحلة مبكرة من نمو الطفل تساعده في أن يتهيأ للتمتع بالملاطفات Caresses في فترات تالية من حياته.. وبالإضافة إلى ذلك ، تعد هذه الخبرات نوع مبكر من التربية الجنسية قبل اللفظية Preverbal Sex Education وهي أفضل أنواع التربية ذات الصلة بتعلم المحبة ، والثقة بالناس ، والقدرة على الاعتماد على النفس.

ومع مرور مرحلة العامين الأولين ، يكون الرضيع على درجة حسنة من التقبل لكل أجزاء جسمه (أو جسمها) ويكون أكثر ميلاً لأن يكون لديه إهتمام نشط على نحو خاص بالاجزاء التي عادة ماتحجب وخاصة أمام الناس الآخرين. والطفل الصغير في هذه المرحلة السنية يكون مفهومه عن ذاته كشخص ، وأن هويته أو ذاتيته منفصلة تمام الإنفصال عن الاخرين ، ولكنه يشاركهم نفس الأجهزة الأساسية. ويكون الطفل تواقاً إلى مقارنة نفسه بكل شخص آخر ، وذلك ليزيد من فهمه لسلامة الناس ،

وكيفية تطابق مالديه على مقاييس الناس الجسمية وطريقة تفكيرهم في الاشياء وما إلى ذلك.

والطفل في العامين الأولين يكون مفتوناً بالحقيقة القائلة أن له أنف تماماً مثل أمه ، وأن أمه تملك حاجبين مثله ، وكذلك تملك شعراً ، وأصابع يدين كذلك .. ويكتشف الأطفال في سن العامين الأولين أيضاً أن بعض أجزاء أجسامهم تختلف عن بعض أجزاء الراشدين الكبار. وهذا يثير حب الاستطلاع لديهم ، كما يحرك لديهم الرغبة في الفهم والإدراك ، أيضاً، وذلك في حالة خاصة ، هي إذا كان أحد الوالدين أو كليهما يتصرف بقلق فيما يتعلق باستكشاف الطفل لاعضائه التناسلية ويبعدون يده، أو قد يصفعونه بعصبية شديدة ، إذا هو (أو هي) لمس هذا الجزء من الجسم.

- **العاب الأطفال ذات الصلة بالطبيب : Doctor Games**

يمكن القول تقريباً أن كل الأطفال في مرحلة ماقبل المدرسة يلعبون لعبة " الطبيب " Doctor اللعبة الجنسية المتمتعة بقداسة القدم The Timehonored Sex game بنصوصها و " سيناريوهاتها " المتباينة والمتنوعة، بدءاً من إجراء الفحص الجسمي ، والذهاب إلى المستشفى لولادة الجنين ، وإعطاء الحقنة الشرجية an enema. وبدون أية علامات للدهشة ، يلاحظ أن أغلب الأطفال الصغار يدخلون ضمن ألعابهم الجنسية المنطقة الشرجية Anal area ، وبرغم كل شيء يمكن القول أن اهتمامهم بهذه المنطقة وثيق الصلة باهتمامهم بالمنطقة التناسلية ، وهو أيضاً وثيق الصلة بإهتمامهم باخفائها بارتداء الملابس وحجبها تماماً ؛ لأن صغار الأطفال ، لسوء الحظ، يعتقدون أن هذه المناطق هي المناطق " القذرة " في الجسم.

إن لعبة الطبيب تمدنا بموقف مُعد وفقاً لتعليمات معينة يمكن من خلاله أن يلعب الأطفال الصغار بمأمن من لوم الكبار ، خاصةً الأطفال صغار السن جداً (أطفال العامين) من الجنسين الذين يتبادلون خلع ملابس بعضهم (وهذا الخلع المتبادل للملابس هو الوضع الطبيعي والمقبول حين يتم في عيادة الطبيب) ، وبالتالي فهو فرصة لرؤية الأطفال لأنفسهم ومن ثم الوقوف على الفروق الخفية الغامضة Mysterious Differences بين البنين والبنات.

إننا جميعاً نتذكر لعبة الطبيب لأننا مارسناها في طفولتنا المبكرة في سنوات عمرنا الأولى. ولذلك فإن عالمية هذه اللعبة – وانتشارها بين جميع الأطفال بوجه عام ، تبين لنا أهميتها بالنسبة لصغار الأطفال الذين يمكن القول عنهم أن ينمون إحساساً أولياً بالهوية والثقة بالنفس – Self assurance لإشباع حاجتهم لحب الإستطلاع فيما يتعلق بالكيفية التي صنع بها جسم الإنسان ، وكيف يشبه هذا الجسم أجسام أخرى أو يختلف عنها. إن الأطفال يريدون – في نهاية الأمر – أن يتأكدوا من أنهم حقيقة على مايرام وأنهم كالآخرين ، وأنه لاشيء تم بطريقة خاطئة فيما يتعلق بتكوين أجسامهم.

إن الآباء والأمهات الذين يفاجئون أطفالهم في مرحلة ما قبل المدرسة ويأخذونهم على حين غرة إلى المستشفى لإجراء بعض الفحوصات أو لإجراء " عملية جراحية " أو اشياء من هذا القبيل مما قد يصاحبه عادة الكثير من الضحكات العصبية من قبل الأب أو الأم يعتقدون أنهم يقومون بالأمور على أحسن وجه وذلك للحفاظ على الإحساس بالملاطفة والمسايرة لما يحدث للطفل ، وإنه لن يستجيب لذلك بأية علامات تدل على الغضب، ساخرين بأن الحدث كله سوف يصبح خارج النسبة والتناسب. وذلك قد يرجع لعدة أشياء . الشيء الأول أنه من المحتمل أن يكون الأطفال على

استعداد للشعور التام بالذنب فيما يتعلق بما هو مطلوب منهم أن يكونوا عليه من تحمل المسؤوليات ، وهم يعرفون تمام المعرفة أنهم - إذا لم يكونوا على مستوى التحمل - فإنهم ينتهكون بذلك أحد محاذير الكبار. الشيء الثاني : أن إكراههم وإجبارهم يمكن أن يعزز لديهم الشك في أن الأجزاء الخاصة من أجسامهم ليست طاهرة ، بل ربما تكون غير نظيفة ، ومن هنا فهم أشرار ، لأنهم يهتمون بأجسامهم.

• أحلام اليقظة * والتخييل ** : Daydreams and Fantasy

يميل الكبار الراشدون إلى الضيق من ظاهرة مؤداها أن للأطفال أصدقاء متخيلون ، أو يضيقون ذرعاً بنوعية معينة من أطفال ينخرطون في اللعب التخييلي (الخيالي) على نحو مسرف ، ويرون أن مثل هؤلاء الأطفال سيشبوا كاذبين ، لأنهم غير قادرين على معرفة الفرق بين الحقيقة والوهم، أو أنهم بعبارة أبسط لايكترثون بالحقيقة والواقع. وحقيقة أن الأطفال الذين يتخيلون أن صديقاً ما يشاركهم كل أنشطتهم من وقت الإفطار إلى أن يحين موعد النوم يعرفون جيداً أن هذا الصديق المتخيل لايوجد كحقيقة أو كواقع ، وهم على أية حال بسلوكهم هذا ، قد ينجحون في أن يحاكوا آبائهم وأمهاتهم محاكاة تهكمية ساخرة.

---

* أحلام اليقظة : Daydream, Daydreaming : تخيلات أو أحلام أثناء اليقظة حيث تجد الرغبات الشعورية واللاشعورية سبيلها إلى التحقق والإشباع أثناء التخيل. ومن بين هذه التخيلات الرغبة في تنمية الذات وفي الإعتراف والتقدير (أحلام البطل الغازي) ، والرغبة في العطف والحنان (أحلام البطل المعاني) وأحلام اليقظة التي تعبر عن ميول اجتماعية وجنسية وعاطفية ومهنية. وحينما ينخرط الفرد في أحلام اليقظة بدرجة معتدلة فإنها تعتبر ظاهرة صحية وأحيانا ماتكون متنفسا سويا للعواطف ، أما إذا انغمس فيها الفرد بدرجة زائدة أو مبالغ فيها فإنها تعتبر ظاهرة غير صحية لأنها تكون في هذه الحال إنسحابا من الواقع وهروبا منه (جابر عبد الحميد جابر ، وعلاء الدين كفافي ، ١٩٩٠، معجم علم النفس والطب النفسي ، ج٣ ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ص٨٥٨).

** خيال أو تخييل : Fantasy : التخييل وسيلة يتوافق بها الفرد مع رغباته الملحة التي لاتجد إشباعاً، والاستغراق فيه والتمادي قد يعوق الفرد عن مواجهة المشكلات على نحو مباشر بالتفكير والفعل، وقد يكون التخييل خيالا مختلقا ، أو صورة عقلية ، أو حلما . أو حلم يقظة حيث تشبع رغباتنا الشعورية أو اللاشعورية (جابر عبد الحميد جابر ، علاء الدين كفافي ، ١٩٩٠ ، معجم علم النفس والطب النفسي، ج٣ ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ص ١٢٦٠).

للوصول إلى الحقيقة ينمو فقط على نحو تدريجي ، وهو ليس شيئاً كالذي يستطيع الكبار فهمه وقبوله على مستوى العقل ، ولايتوقع من طفل ماقبل المدرسة أن يبلغه عن طريق الفهم. ولأن الكبار الراشدين ، بالإضافة إلى ذلك، قد خبروا رؤية اللعب الإيهامي في فترات مبكرة من طفولة أبنائهم – مثل وجود زميل لعب متخيل ، نسج حكايات طويلة من الخيال – فإنهم يعدونه واحداً من أكثر أشكال اللعب استثارة للتفكير الإبتكاري والتفكير الميال إلى التمحيص والتأمل.

إن نسج الطفل – في مرحلة الطفولة المبكرة – لحكايات متوهمة من الخيال ، تشير إلى أنه ليس الطفل وحده ، ولا أسلوبه المتواصل في اللعب يوفر لنا مقدار الإنسحاب المطلوب بعيداً عن ضغوط التعايش مع مهام النمو في هذه المرحلة والتعليمات الصادرة عن الناس الآخرين. كما تمدنا الحكايات المتوهمة بوقت كاف لتقييم سلوك الطفل ، وعمل الترتيبات اللازمة ، وإدراك كل الإنطباعات ، والمثيرات البيئية التي تصل إلى الطفل. وبمجرد أن نترك الطفل " يقلع " بخيالاته وتصوراته فإنه يبدأ في تعلم كيف يفكر بإبداعية وإبتكارية. إن هذا اللعب الإيهامي المبكر يزود الطفل بحلقة مباشرة إلى الابتكارية في مرحلة الرشد. وفي حديثه عن أكثر سنوات حياته إبداعاً وإبتكارية يقول " البرت أينشتاين " " عندما أقوم بفحص نفسي وأساليبي التي اتبعتها في التفكير ، أصل إلى نتيجة مؤداها أن هبة التخيل كانت تعني الكثير بالنسبة لي ، أكثر من موهبتي في التجريد ، والتفكير بشكل إيجابي ".

الفصل الخامس

التليفزيون في مقابل اللعب : المتطفل الخطر

الفصل الخامس

التليفزيون في مقابل اللعب : المتطفل الخطرْ
Television Versus Play: The Dangerous Intruder

- مقدمـــــة.
- تقويم العنف في التليفزيون (تقييم العنف التليفزيوني).
- مصادر الخطر الحقيقية في التليفزيون.
- جميع أنواع اللعب الحقيقي هو لعب مفعم بالنشاط.
- التليفزيون يقتطع جزءاً كبيراً من الوقت المخصص للعب النشيط.
- أوجه الخلل في التليفزيون التربوي.
- التغلب على نذر الخطر في التليفزيون.
- التليفزيون والمجتمع : العلاقة الخطرة.
- العودة إلى دنيا اللعب.

مقدمـــة :

منـذ أكـثر مـن ثلاثـين عامـاً مضـت ، أو تزيـد قليـلاً ، اسـتطاع التليفزيون أن يغير بعمق الطريقة الـتي نفكـر بهـا ونعيـش ونربـي أطفالنـا. وليس هناك إذن مبالغة في القول بأن التليفزيون غير كثيراً في ملامـح العـالم الذي نعيش فيه ، وربمـا أكـثر مـن أي إخـتراع آخـر في عالمنـا المعـاصر ، وبطريقة لم تكن متوقعة أبـداً . ورغـم كـل ذلـك ، اسـتطعنا خـلال العشـر سنوات الأخيرة فقط أن نكتشف تأثيرات التليفزيون على الأطفال.

إننا إذا تركنا الأرقام تتحدث فإنه يمكن القول أنه في المتوسط ، يشاهد الأطفال فيما بين الثانيـة والخامسـة التليفزيـون أكـثر مـن (٣٠) ثلاثـين سـاعة أسبوعياً ، وهو رقم ضخم على أية حال يمكـن أن يقـدر بـالملايين لـو حسـبت الساعات المشاهدة شهرياً أو سنوياً. إذ أن بعـض الأطفـال قـد يلتصقـون بهـذا الجهاز لمدة (٦٠) سـتين سـاعة أو أكـثر أسـبوعياً ، وليـس هنـاك نشـاط آخـر يسيطر على حياة هؤلاء الأطفال مثل مشـاهدة التليفزيـون . أمـا الأطفـال فيمـا بين السادسة والحادية عشر فهم يشاهدونه لعدد أقـل مـن السـاعات تصـل إلـى حوالي (٢٠) عشرين أو (٢٥) خمس وعشرين ساعة أسبوعياً فـي المتوسـط. والمراهقون أقل من ذلـك مـن حيـث عـدد السـاعات التـي يجلسـون فيهـا أمـام الشاشة الصغيرة.

وفي عام (١٩٧٢) بينت دراسة لعـدد مـن الأطبـاء المتخصصيـن فـي الجراحة العامة والتي تناولوا فيها موضـوع التليفزيـون والعنـف ، أن مشـاهدة التليفزيون يمكن أن تكون ذات خطورة على صحة الأطفال ؛ ومع أننا نشارك هؤلاء الباحثون فيما ذهبوا إليه ، إلا أننا نعتقد أن هناك تضمين خادع في هـذه الدراسة ، وهي أنها اعتادت أن تؤيد مطلباً مؤداه أن هناك سبب مباشر وتأثير متبـادل فـي العلاقـة بيـن العنـف الـذي يشـاهده الأطفـال والمراهقـون والعنـف

الحقيقي الفعلي لديهم. مع أن البرامج التي تحتوي على عنف بلا مبرر تعد من البرامج السيئة وتبدو على أنها غير أخلاقية وضارة إلا أن نسبة وقوع العنف في حياة الأطفال لايمكن أن نعزوها حقيقة إلى مشاهدة برامج العنف.

• تقويم العنف في التليفزيون (أو تقييم العنف التليفزيوني) :
Evaluating TV Violence

يعتبر العالم النفسي " ألبرت باندورا " .Bandura, A واحداً من الخبراء الذين كثيراً ما استشهد بأقوالهم لتأكيد العلاقة السببية المسلم بها بين العنف المشاهد في التليفزيون والعنف السلوكي لدى الأطفال. وهذا العالم من العاملين بجامعة ستانفورد وقد نشر الكثير من المقالات حول خبراته وتجاربه التي أجراها ليدرس ويفحص درجة محاكاة الأطفال لسلوك الكبار العنيف والعدواني كما يظهر على شاشة التليفزيون. استنتج " باندورا " من هذه الدراسات أنه من المؤكد أن الأطفال يحاكون أنماط السلوك العنيفة التي يشاهدونها في أفلام السينما وأفلام التليفزيون. والسؤال الذي يطرح نفسه في ضوء هذه النتيجة هو لأي درجة يمكن أن نثق بهذه النتيجة أو غيرها من النتائج في هذا الصدد ؟ والإجابة يقدمها لنا " باندورا " نفسه ؛ ففي إحدى دراساته تعرض مجموعة صغيرة من أطفال مدرسة الحضانة لمشاهدة عروض تليفزيونية كنوع من الإستثارة لهؤلاء الأطفال . في هذا العرض يقوم شخص راشد بمهاجمة دمية بطريقة شرسة إلى حد كبير وبطريقة مبتكرة لم يتعود عليها الأطفال الأسوياء في معاملة ألعابهم ويقوم هذا الشخص بركل الدمية وإلقائها على الأرض وضربها بمطرقة خشبية ، كل ذلك وهو يصيح صيحات مفزعة. وبعد مشاهدة العرض لاحظ " باندورا " أن الأطفال بدأوا يلعبون بنفس أسلوب الشخص العدواني الذي شاهدوه على الشاشة وقد قام " باندورا " بتزويدهم بالمطارق والدمي مثل التي رأوها على الشاشة. ويعقب " باندورا " على ذلك بقوله : على الرغم من أن اطفال قلدوا ماشاهدوه من

عنف مصطنع ، إلا أن ذلك لايقوم دليلاً على تأثير تكرار مشاهدة برامج العنف في التليفزيون ؛ ذلك أنه من المؤكد أن الأطفال نظروا إلى سلوك هذا الشخص الراشد على أنه يتصرف بغرابة ويمارس نوعاً جديداً من اللعب ، وحتماً تساءلوا في دهشة ماذا يقصد هذا الشخص ؟ ولماذا تصرف بهذه الطريقة ؟

وعلى أية حال . لو قارنا ذلك بما يحدث في الحياة الفعلية فإننا لم نر قط شخصاً راشداً يعامل لعبة بهذه الصورة. وأيا ما كان الأمر فإن الأطفال وحتى صغار السن منهم ممن هم في سن الرابعة يعرفون جيداً أن الركل والضرب ورفس اللعبة وفعل الشيء نفسه مع مخلوق حي سلوكان مختلفان تمام الاختلاف .. ولاشك أن هؤلاء الأطفال يدركون أن العنف مع الدمية أقل خطورة بكثير من معاملة الكائن الحي بنفس العنف ؛ فهؤلاء الأطفال يدركون الفرق بين الجماد والإنسان.

وقد أجريت دراسات عديدة على أيدي باحثين آخرين ، وقد أسفرت هذه الدراسات عن استنتاجات تختلف عن تلك التي توصل إليها "باندورا" – فعلى سبيل المثال – في كتاب لبعض الباحثين تحت أسم "التليفزيون والعدوان: دراسة ميدانية تجريبية" Television and Aggression: An Experimental Field ، يصف كل من " سيمور فيشباخ وروبرت سنجر " Seymour Feshbach and Robert D. Singer في دراسة أجروها على عينة من الأولاد اختيروا بطريقة عشوائية ثم قسموا إلى مجموعتين الأولى تجريبية وقد تعرضت لمشاهدة برنامج تليفزيوني يتضمن مشاهد عنيفة ، في حين تعرضت المجموعة الأخرى " الضابطة " لمشاهدة برامج ذات طبيعة هادئة سلمية. وقد لاحظ الباحثان الأولاد في كلتا المجموعتين في سياق سلوكهم اليومي بغرض تحديد أساليبهم الطبيعية التلقائية في اللعب. وقد بينت نتائج الدراسة أن بعض الأولاد في المجموعة

التجريبية أظهروا أنه ليس من طبيعتهم العنف في حياتهم اليومية المعتادة؛ لذلك لم يصدر عنهم سلوك يدل على العدوانية حتى بعد مشاهدة السلوك العنيف على شاشة التليفزيون ؛ في حين أن الأولاد الذين يميلون إلى الشراسة والسلوك الخشن في حياتهم اليومية تصرفوا كذلك بعنف بعد مشاهدة البرنامجين العنيف والمسالم سواء كانوا في المجموعة التجريبية أو المجموعة الضابطة. ومن ناحية أخرى من الواضح أن هذه الفئة الأخيرة تتجه نحو السلوك العدواني بعد مشاهدة التليفزيون أياً كانت طبيعة البرامج المعروضة عليهم. وهناك نتيجة أخرى لدراسة ثانية غير تلك التي أجراها "فيشباخ وسنجر" أوضحت أن الأطفال الذين لاينخرطون إلا في القليل من اللعب الإيهامي في ألعابهم اليومية ، ولاينفسون عن مشاعر الغضب في تلك الألعاب الخيالية الإيهامية هم أكثر الأطفال عرضة للتوجه نحو السلوك العدواني بعد مشاهدة التليفزيون. ومما تجدر الإشارة إليه أن من فوائد هذا النوع من الألعاب الخيالية - بالإضافة إلى ماذكرناه - هو إنخفاض السلوك العدواني عند الأطفال الذين ينفسون عن غضبهم باللعب الخيالي.

هذا ، وقد ألقت الدراسة التي أجراها العالمان النفسيان " ستانلي ميلجرام " و " لانس شوتلاند " Stanley Milgram and Lance Shotland بظلال من الشك على الإدعاء القائل بوجود علاقة سببية مباشرة بين العنف الذي يصور في قالب روائي Fictionalized Violence والأفعال المضادة للمجتمع Antisocial actions لدى الأطفال . ولاختبار الفرض القائل بأن مشاهدة السلوكيات المضادة للمجتمع على شاشة التليفزيون تحفز المحاكاة والتقليد عند الأطفال ، أعد الباحثان برنامجاً تليفزيونياً " مثيراً لاستجابات الأطفال "يصور اقتحام وسرقة نقود من بنك ، وقد عرض هذا البرنامج على مجموعة من الأطفال الصغار وبعدها أخذوا إلى مركز لتوزيع الهدايا حيث يمكنهم محاكاة وتقليد السلوك المضاد للمجتمع الذي شاهدوه من قبل ، إلا أن نتائج الدراسة كانت غامضة ولعل ذلك يرجع إلى عدة أسباب. غير أن

البرنامج قد استثار الأطفال بالفعل لمحاكاة وتقليد مارأوه ولكن في نطاق ضيق جداً لم يصل إلى مستوى الدلالة الإحصائية. ولذلك أعد الباحثان ثلاثة برامج أخرى مماثلة للبرنامج السابق من حيث " إثارة استجابة الأطفال " وهيأوا مواقف إختبارية ذات نوعية خاصة بحيث يسهل على الأطفال محاكاة السلوك المضاد للمجتمع. وهذه البرامج الثلاثة أيضاً لم تثبت أثراً ولم تقم الدليل على وجود أية محاكاة من قبل الأطفال للسلوك العدواني المشاهد.

والمستقرىء لنتائج كافة الدراسات التي تحاول الربط بين العنف المشاهد عبر شاشة التليفزيون والعنف الحقيقي لدى الأطفال سيجد أن هذه النتائج بينها خلاف شديد ، وسيلاحظ المستعرض لهذه أن النتائج أن الدراسات التي حاولت أن تختبر هذه العلاقة كانت كلها دراسات دقيقة إلى حد كبير وتتم على فئات عريضة من الأطفال. وأما الدراسات التي أخفقت في أن تؤيد العلاقة بين العنف التليفزيوني والعنف الفعلي ، فقد كانت في الأغلب الأعم ، دراسات لم يُشر إليها أو لم يعلن عن نتائجها فضلاً عن أنها لاتلقى ماتستحقه من إهتمام.

وعلى هذا الأساس يبدو لنا أن إلقاء المسؤولية على مظهر واحد أحادي البعد هو مايقدمه التليفزيون مثل البرامج ذات الطابع العنيف بدلاً من التركيز على العنف الحقيقي من خلال سلوكيات بعض الأطفال يجعلنا نتجاهل مخاطر برامج التليفزيون بصفة عامة على أطفال ماقبل المدرسة ، بالإضافة إلى أن ذلك التوجه يفتح المجال لاستبعاد مواجهة الحقيقة القائلة بأن العنف له جذوره الواقعية المعقدة النابعة من الظروف الأسرية والاجتماعية. إن الذي يدفع الأطفال إلى العنف هو الآثار القاسية بل الوحشية المترتبة على الفقر المدقع وسوء المعاملة. وأن الأطفال الذين يتعرضون لمخاطر فعلية بسبب ظروف معيشتهم السيئة والمتدنية هم أولئك

الذين يميلون إلى إظهار العنف ، بالإضافة إلى أن مشاهدة التليفزيون تحرك نزعاتهم إلى الميل نحو ممارسة العنف.

• المخاطر الحقيقية للتليفزيون : The Real Hazards of Television

نحن نعتقد في صدق الحقيقة القائلة بأن مشاهدة التليفزيون تشكل خطورة على نمو الأطفال وتطورهم ، ليس فقط بسبب نوعية البرامج التي يشاهدونها ، ولكن بشكل رئيسي بسبب غيبة الرقابة على نوعية البرامج المسموح لهم بمشاهدتها. ومن الحقائق البديهية التي نميل إلى تكرارها في هذا الصدد هي " ليس المقصود هو كمية البرامج وإنما المقصود هو النوعية التي تؤثر " .. وهذا يقال دائماً بشأن الفترة الزمنية التي يقضيها الآباء مع أبنائهم ، حينئذ يمكن مقارنة ذلك بالوقت الذي يقضيه الأطفال مع برامج التليفزيون . لذلك نقول دائماً أن نوعية البرامج هي التي تؤثر وليس كم البرامج ، وكلما طالت فترات المشاهدة ، كلما ساء الوضع أكثر ، وبالطبع تتعين الإشارة إلى أن برامج التليفزيون المفيدة أفضل للأطفال أكثر من البرامج الرديئة . ولكن طول فترات المشاهدة سواء كانت لبرامج مفيدة أو غير مفيدة تعرض الأطفال للخطر الذي نعنيه.

ومن الأمثلة التي يمكن أن نسوقها لتأكيد مانعنيه أن صغار القطط Kittens تقضي معظم الشهور الأولى من حياتها في اللعب ، وهي في هذه الأثناء تتدرب على أن تكون قططاً فيما بعد ، كذلك الأطفال يقضون معظم سنوات عمرهم الأولى في اللعب وهم في هذا يدربون أنفسهم على أن يكونوا أفراداً ناضجين. إن أسوأ مافي التليفزيون هو أنه يستبدل نشاطات اللعب الأساسية بلا شيء ؛ ويستبدل السلبية بالنشاط. وحتى ندرك خطورة تكرار مشاهدة التليفزيون على الأطفال الصغار ، إلى الدرجة التي يُسبب عندها إعاقة نمو إحساس الطفل بهويته ، إعاقة إحساسه بنفسه كشخص مثل

الآخرين ، فإنه من الضروري دراسة آثار النشاط الفعـال الحيـوي أو نقصه على نمو الطفل بشكل عام.

• جميع أنواع اللعب الحقيقي تتطلب نشاطاً :

All True Play is Active

والسؤال الذي يطرح نفسه في البداية يمكن صياغته كالتالي : ماهي – على وجه الدقة – وظيفة النشاط في حياة الطفل خلال السنوات الأولى والمبكرة من حياته ؟ وكيف يقوم اللعب – قبل كل شيء – بهذه الوظيفة على نحو تام ؟ ولماذا تكف المشاهدة المكثفة – دون أي شيء آخر – هذه الوظيفة ؟ وماذا نعني عندما نقول أن مشاهدة التليفزيون أمر سلبي بشكل أساسي وجوهري ، وكيف يكون ذلك ؟ وهل تختلف مشاهدة التليفزيون عن الجلوس بهدوء حين يستمع الطفل إلى قصة تحكي له ؟

إننا نحاول أن نوضح عبر هذا الفصل – وكما حاولنا عبر صفحات هذا الكتاب أن الأطفال الصغار يتعلمون تقريباً كل شيء يحتاجون إلى معرفته من خلال قوى وطاقات اللعب – يتعلمون كيف يواكبون هذا العالم، كيف يحلون المشكلات العقلية (الذهنية) ، الإنفعالية ، الاجتماعية ، كيف يتعايشون مع الضغوط النفسية ، وكيف يحمون أنفسهم من التعرض للأذى والضرر.

ومازال السؤال يفرض نفسه مرة ثانية لماذا اللعب بالذات هو الذي يحقق هذه الأهداف كاملة دون نقصان ؟ الإجابة تقول إنه يحققها بسبب أنه نشاط تلقائي ، تمرين وتدريب ذاتي التعليم. واللعب الحقيقي دائماً فعال ، ومليء بالنشاط . ونحن هنا لانستثني اللعب الهادىء ، مثل اللعب الذي تسوده احلام اليقظة ، من هذا التحديد لمعنى اللعب الفعال النشط ،

وآية ذلك أن أحلام اليقظة هي أحد الأنشطة التي يستخدم فيها العقل ، وغالباً مايكون هذا الاستخدام مكثفاً ويتميز بالتركيز الشديد.

ولقد نشر عالم النفس السويسري ، جان بياجيه ، منذ نحو نصف قرن أو يزيد ، دراساته الرائدة الأولى عن الكيفية التي يتعلم بها الأطفال ، كما أوضحت ملاحظات العميقة والشاملة ، أن الأطفال الصغار يتعلمون من خلال الدافعية الذاتية ، واللعب الاستكشافي ، خلق المشكلات وإبتداع حلولها وفقاً لجدول زمني " للاستعداد " Readiness الفطري والعام ، صحيح أن هذا الجدول الزمني للتعلم يكون خاضعاً للتباينات الفردية الموجودة بين الأطفال ، ولكن الوسيلة ، وهي اللعب الاستكشافي ، التي تقود إلى مراحل التعلم وتؤدي إليها هي نفسها لدى جميع الأطفال.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الدراسات اللاحقة التي قام بها بياجيه أو آخرون من الباحثين المهتمين بدراسة نمو وتطور الطفل ، قد أقاموا الدليل على صحة ماتوصل إليه بياجيه ومعاونوه ، وبالتالي تدعمت كافة النتائج التي أسفرت عنها أبحاثه ، كما أن التعلم المستمر – من ناحية أخرى – يأتي من خلال اكتشافات الأطفال التي يصنعوها بأنفسهم من خلال اللعب.

فالأطفال يقومون باكتشافات ذهنية " مثل التوصل إلى الحقيقة التي تقول بأن الماء يتسرب من الكأس التي بها ثقب " ، ويقومون باكتشافات إجتماعية وإنفعالية " كيف تكسب الأصدقاء، وكيف تؤثر على الوالدين" ، ويقومون باكتشافات فيزيائية (جسمية) مثل " كيف تتسلق سُلماً ثم تنزل على درجاته بسلامة وأمان " .. وما إلى ذلك من اكتشافات.

ومن هنا يمكـن للمـرء القـول ، بمعنـى مـامن المعـاني ، أن دوافـع الطفل للتعلم عن طريق العمل والفعـل هـو " البرنـامج " البشـري. فكمـا أن الحيوانات الدنيا " مبرمجة " لتعيش بالغريزة ، فكذلك نحن " مـبرمجون" لنحيا بالاكتشافات التي نتوصل إليها من خلال المحاولة والخطأ.

إن اللعب التدريبي الموجه ذاتياً هو الطريقة التي ينفذ بهـا الأطفـال البرنامج البشري للبقاء . وعندما يردد الطفل كلمة أو عبارة تعلمها لتوه مرة بعد مرة على أذنيه هو فقط مـع ظهـور كـل علامـات السـرور عليـه ؛ فـإن الوالدين يعرفان تمام المعرفة أن الطفل قـد بـدأ يعلـم نفسـه الكـلام ؛ فهـو يلعب بالطريقة التي تلائم إحتياجاته على أفضل مايكون في تلك اللحظة.

• التليفزيون يقتطع جزءاً كبيراً من وقت اللعب النشط :

TV Undercuts Active Play

إن التليفزيون لايفعل شيئاً يدعو الطفل إلى ممارسـة الاكتشـاف ، أو أن يتعلم بنفسه ، وأسباب ذلك أنه أولاً يسلب الطفل – بطبيعـة الحـال – الساعات التي يحتاجها للعب. والأسوأ من ذلك هو أن التليفزيون يميل إلى تنويم الطفل إيحائياً hypnotize ليشغله عن القيام بـأي إرتبـاط بينـه وبـين ذاته أو بينه وبين العالم من حوله ، كما أنه يحرمه مـن فرصـة الإسـتجابة بشكل ناشط لدوافعه الداخلية ، ويمطره بدلاً من ذلك بوابـل مـن الأصـوات والصور بإيقاع لايستطيع ضبطه أو التحكم فيـه ، أو حتـى تغيـيره. وسـواء كان البرنامج " تربوياً " Educational ومُعداً للأطفـال الصغـار أم لا ؛ فإنـه يمنع الطفل من تدريب عقله ، أو أن يتخيل بنفسه.

إنك حين تقرأ للطفل قصة أو ترويها له ، فإنك تـترك لـه الفرصـة لتكوين تصوراته الخاصة عن الناس ، والأحداث ، والمشاهد في هذه القصـة

ومن ثم يبعث فيها الحياة من خلال تصوراته وتخيلاته. أضف إلى ذلـك أن الطفل يملك القدرة على أن يمارس ضبطاً له أهميته على سرعة وإيقاع المادة المقدمه له. وغالباً مايطلب الأطفال من الشخص الراشد الذي يقرأ لهم القصة أن يعود ويقرأ شيئاً ما مرة أخرى ، أو أن يتوقف عـن القـراءة ، ويتحـدث عما يجري في هذه الصفحة. وفي المقابل من ذلك ، لاشيء من هذا يمكن أن يتحقق خلال مشـاهدة التليفزيـون ؛ فـأحداث القصـة المشاهدة تليفزيونيـاً تستمر مندفعة بلا توقف ، وتستمر الصور المعدة مسبقاً في حالة من الوميـض والإختفاء.

• أشكال الخلل في التليفزيون التربوي :

The Flaws in Educational TV

إن بعض البرامج التربوية لأطفال مرحلـة مـاقبل المدرسـة والمصممـة لتعليم مهارات القراءة والكتابة والحساب تبدو لنا أكـثر احتمـالاً في ضررهـا علـى الأطفـال الصغـار مـن تلـك الأضـرار الكثـيرة الناجمـة عـن الـبرامج "التقليدية". "Conventional" Programs أو غير الأصيلة وذلك في رأينـا قـد يرجع إلى عدة أسباب منها. أولاً ، كمـا أوضحنـا سـابقاً ، فإنـه مـن غـير المرغوب فيه أن نفرض على الأطفال في مرحلة ماقبل المدرسة دروساً مصممة أصلاً للكبار. أضف إلى ذلك أن مثل هذه البرامج غالبـاً مـاتقدم المـادة المـراد تعلمها بسرعة مذهلة Frantic Pace.

ولقد شاهدنا أجزاء من برنامج شارع سيسيم Sesame Street ، على سبيل المثال ، المعدة لتعليم قواعد التهجئـة أو فهـم المفـاهيم المجـردة مثـل مفهوم " مستدير " round أو " كروي " والذي يتكون من عديد مـن الصـور الملونه اللامعة والتي تقترب فيها الكاميرا من الأشياء الكرويـة أو المسـتديرة وتبتعد عنه بسرعة بحيث تبدو الصـور وكأنهـا تـزداد قربـاً مـن المشـاهد أو

تزداد بُعداً عنه بمصاحبة موسيقى صاخبة عالية. فالمادة العلمية المعدة أنيقة وتساير العصر ، وتأثيرها يواكب مايحمله العصر الحديث ، والبرنامج بصفة عامة جذاب . يعكس الثقافة الرفيعة للقائمين على إعداده وتحرير مادته. إن المهارة تكون في القدرة على إنتقاء مايصلح للطفل ووضعه جنباً إلى جنب ثم تقديمه بشكل محبب. ولكن هل هذا أمر جيد بالنسبة لأطفال صغار ؟ نحن لانعتقد ذلك. لأن هذا القرع المتكرر وبوابل من المشاهد والصور لايعطي لحواس هؤلاء الأطفال الصغار أية فرصة للاستجابة من خلال مشاعرهم وأفكارهم الخاصة. ولذلك يمكن القول أن تأثير كل ذلك على طفل صغير يمكن أن يكون تأثير مدمر. فالطفل الصغير لم يزل في مرحلة البدء في أن يكون قادراً على استخدام عمليات التفكير والتعبير اللفظي عنها في تكوين المفاهيم وخاصة ذات الطبيعة المجردة ، كما أنه لم يزل في مرحلة البدء في أن يفهم ويضبط مشاعره وأحاسيسه فضلاً عن سلوكه. والطفل هنا في حاجة إلى وقت وحرية كافية لممارسة التفكير ، والتدرب على أساليب السلوك النابعة منه وحده لا من أحد غيره.

أما بالنسبة للأطفال الأكبر سناً من مرحلة الطفولة المبكرة فإن التعرض لأخطار التليفزيون يكون أقل خطورة والصورة أقل قتامة. وقد يرجع ذلك لعدة أمور ، الأمر الأول : أن هذه الفئة من الأطفال قد اعتادت مشاهدة برامج التليفزيون لفترات أقل زمنياً من أطفال مرحلة ماقبل المدرسة. والأمر الثاني أن هذه الفئة من الأطفال لديها بالفعل احتمال أكبر لإكتساب أساس أو قاعدة ينطلقون منها لمستويات أعلى من التعلم في أثناء السنوات الخمس أو لأكثر من خمس سنوات هي عمرهم الزمني في هذه الحياة. كما أنه من الممكن أن نفترض جدلاً أن المشاهدة المكثفة لبرامج التليفزيون في السنوات المبكرة جداً هي بالتأكيد أحد الأسباب الأصلية والرئيسية في الأداء المثير للشفقة والسخرية في سنوات المدرسة الابتدائية

على مدار العشر سنوات الأخيرة أو أكثر وهذا الافتراض الأخير نسلم بصحته إلى حد كبير.

• التغلب على أخطار التليفزيون : Overcoming the TV Menace

هناك منحيان عريضان للتغلب على أخطار التليفزيون بالنسبة لأطفال مرحلة ماقبل المدرسة. المنحى الأول مختصر ، بمعنى أنه يسعى إلى إقصاء جهاز التليفزيون وإبعاده ، وهي الخطوة التي تتخذها بعض الأسر ، لكنها خطوة من وجهة نظرنا ليست بالبساطة التي يمكن أن تجعلنا نضعها في الإعتبار. فأولاً ، علاوة على التعب الشديد الذي يتجشمه الآباء والأمهات في جعل مشاهدة برامج التليفزيون في أوقات محدودة ، ووضع القيود والتحديدات على الأوقات المسموح فيها بالمشاهدة ، وحتى يجعل الآباء والأمهات هذه القواعد ثابتة ، فإنها تحتاج منهما إلى جهد كبير. والسؤال الآن كم عدد الساعات التي سوف يسمح فيها للأطفال أن يشاهدوا برامج التليفزيون ؟ والإجابة إن كل أسرة يتعين أن تقرر ذلك في ضوء ظروفها. أما وجهة نظرنا فإنها توجيه نصيحة للآباء والأمهات ألا تزيد عدد ساعات المشاهدة عن ساعة واحدة يومياً ، كلما كانت أقل كلما كان أفضل. ويستثنى من هذه الساعة البرامج التي هي خاصة بالأسرة ككل وتذاع عادة في المساء ، وهذا بطبيعة الحال يحدث بين الحين والآخر. وفي هذه الأوقات – أوقات تجمع الأسرة حول جهاز التليفزيون – ربما يسمح الآباء والأمهات للأطفال أن يشاهدوا البرنامج ثم يشجعون الأطفال على الحديث مع بعضهم البعض أو مع والديهم فيما شاهدوه.

إن عادة مشاهدة جهاز التليفزيون ، مثلها مثل كل العادات السيئة ، يكون فيها الوقاية أسهل بكثير من الشفاء أو علاجها. وفي البيوت التي لم يتعود فيها الأطفال مشاهدة هذا الجهاز نجد أن الوالدين لايقرران

وجـود أيـة مشـكلات عنـد وضـع القيـود والتحديـدات الخاصـة بسـاعات المشاهدة . أما في الطرف المقابل ، أي في البيوت التي تعـود فيهـا الأطفـال مشاهدة هذا الجهاز فإننا نجد أن الآباء يعانون من ضغوط كبـيرة في تحديـد وقت المشاهدة ، وبعض الآباء والأمهات يحل المشكلة بفصل الكهربـاء عـن الجهاز، إما بإزالة الاسلاك كلها (إذا كان الجهاز مـن النـوع الـذي يكـون فيها أداة توصيل الكهرباء في كل من الحائط والجهاز نفسـه) ، أو ببسـاطة بنزع الاسلاك وغلق المنطقة التي توصل منها الكهرباء بغطاء خاص.

وبالإضافة إلى تحديد وقت المشاهدة ، هناك أمر أكثر أهمية بالنسبة للكبار وهو أن يرشدوا من خـلال المراقبـة العـروض والـبرامج الـتي يقدمهـا التليفزيون . ولايتعين على الآبـاء والأمهـات إطلاقـاً أن يسـمحوا لأطفـالهم الصغار أن يشاهدوا العروض التي يروا أنها مرعبة للغاية ، عنيفة للغايـة ، المملة جداً أو تلك التي تبعث على الاشمئزاز.

وعندمـا يوافـق الوالـدان علـى المـادة المعروضـة ، فمـن الواجـب أن يشاهدا البرنامج مع الطفل ، أو على الأقـل يشـاهدا معـه البرنـامج لبعـض الوقت . وذلك حتى يتمكنا بعد ذلك من الحديث إلى أطفالهما عمـا حـدث بعد ذلك فيما تبقى من البرنـامج الـذي لم يكمـلا مشـاهدته. ومـن هنـا قـد يتعرف الآباء والأمهات على اجابات لبعض الاسئلة مثل : من الذي يحبـه الصغار أكثر ؟ ولماذا ؟ وهل هناك شخص ما أو شيء مـا لايحبـه الصغـار ؟ ولماذا ؟ وإذا كان الذي لايحبونه هو المسرحيات الهزلية القصيرة أو القصص الهجائية أو الفكاهية ، فعلى الوالدين أن يسألا الأطفال إذا كـانوا يعتقـدون إن أحـداث هـذه القصـص أو المسـرحيات يمكـن أن تحـدث فعـلاً ، أم أن هناك شيء آخر يمكن أن يحدث. والهدف من هذا كله هو محاولة إستنباط استجابات معقولة عن البرنامج من قبل الطفل نفسه. وإذا كان البرنامج هـو أحد البرامج الجيدة المصممة لدور الحضانـة مثـل " جـوار السـيد روجـرز "

Mister Rogers' أو " حجرة رومبر Romper Room Neighborhood " والتي يقوم بالتمثيل فيها أطفالاً بالفعل وكذلك راشدين ، فيتعين حينئذ على الوالدين أن يقوما ببعض الأنشطة التي شاهداها في البرنامج مع أطفالهم داخل البيت.

ونظراً إلى أن العالمين النفسيين دوروثي وجيروم سنجر Dorothy and Jerome Singer يعملان كمساعدين إخراج في أبحاث مايطلق عليه مجال الأسرة ومركز الاستشارة النفسية بجامعة ييل ، فقد أجريا دراسات شاملة على الأطفال والتليفزيون. وقد لاحظا أنه عندما يقترب الكبار في الأسرة من الأطفال في أثناء مشاهدتهم لبرنامج التليفزيون ويبدأون في ممارسة لعبة طريفة ، لاحظا أن الأطفال غالباً مايتركون مشاهدة التليفزيون وينضمون إلى اللعب ، ويكون ذلك بشكل تدريجي حتى يبتعدون تماماً عن الجهاز، ويواصلون اللعب حتى بعد أن ينتهي الكبار من اللعبة ويتركونهم يلعبون. ولهذا يرى كل من دوروثي سنجر ، وجيروم سنجر أن تشجيع الأطفال على صناعة ألعابهم وتأليف قصصهم بأنفسهم اعتماداً على مايشاهدونه في برامج التليفزيون ، وتشجيعهم على القيام بعروض خاصة بهم ، على أن يتم تركيب كافة مايحتاجونه في هذه الأنشطة بمعرفتهم بدءً بصناعة جهاز تليفزيون من الورق المقوى " الكارتون " واستخدام العرائس والدُمي أو شرائح الورق المقوى في صناعة الشخصيات والمثلين مثلما يحدث في الدمي المتحركة.

إن مشاركة الأطفال في مشاهدتهم لبرامج التليفزيون ، واستخدامه في البدء في لعب نشيط ، معناه أن تشمل هذه المشاركة بشكل أكبر على توجيه الراشدين الكبار في سياق هذا اللعب ، أكثر من إشتماله على مطالبة الأطفال بالسلوك المثالي. والمثالي هنا معناه أن يواصل الأطفال لعبهم في المقام الأول ثم بعد ذلك يأتي دور المشاركة في المشاهدة . إن الدور الرئيسي للراشد الكبير

هو أن يكون عضواً في جماعة المشاهدين ، لا أن يكون موجهاً أو مخرجاً للعرض الذي يشاهده الأطفال. وهذا قد يحتاج إلى جهد ضخم لايقاف الأطفال الصغار الذين تكونت لديهم فعلاً عادة مشاهدة جهاز التليفزيون ومنعهم عن الاستمرار في هذا التعود ، ولكنه جهد يستحق القيام به. وماذا عن استخدام أسلوب الثواب Reward ؟ إن استخدام المكافآت وأساليب التشجيع الأخرى أمر مطلوب تماماً. فهو أنسب الأساليب للتعلم. وكلما كان الطفل الذي نعلمه ونكسبه بعض العادات السوية أكثر توقاً للتعلم ، كلما كان بالتأكيد أكثر سواءً وأكثر سعادة.

• التليفزيون والمجتمع : الارتباط الخطر :

TV and Society: The Dangerous Connection

إن التأثير المدمر للتليفزيون على الأطفال الصغار ، والذي هو ، في حد ذاته ، جدير بوضعه في الإعتبار ، كان من الممكن أن يتسع ويصبح أعظم خطورة مما عليه لو كان العالم الذي نعيش فيه مختلفاً عما عليه الآن. ولكن كما قلنا في مستهل هذا الكتاب ، فإن مجتمعات العصر الحالي مجتمعات تموج بالحركه والتغير على نحو سريع يحرم الأطفال من المعرفة النافعة فيما يتصل بعالم الكبار ، ولهذا ، فإن " المادة الخام " Row Material للعبة التي يفضلها الأطفال فيما يمكن تسميتها " دعنا نتظاهر " Let's Pretend تعتبر حيوية بالنسبة لنمو وتطور القدرة والكفاية ولنمو وتطور الشعور بالإنتماء إلي هذا العالم.

وإن الوجبة الثقيلة – إن جاز لنا القول – من المشاهدة اليومية لجهاز التليفزيون يمكن أن تحول الأمور إلى الاسوء. وهذا القول ينطبق على جميع الأطفال بلا إستثناء ، وبالنسبة لبعض الأطفال قد تمثل عادة المشاهدة " القشة التي قصمت ظهر البعير " . وكما رأينا ، فإنه على الرغم من أن المرء لايستطيع أن يقيم علاقة مباشرة بين السبب والنتيجة فيما

يتعلق بالصلة بين العنف المشاهد في جهاز التليفزيون والعنف الحقيقي في سلوك الأطفال ، كذلك لاحظنا أيضاً أن التليفزون عاملا مُحرضاً ومؤثراً في حياة الأطفال الذين يملكون فعلا نوازع وميول نحو العنف.

والسؤال الآن : من يكونوا هؤلاء الأطفال ، ولماذا تزيد مشاهدتهم لجهاز التليفزيون ميلهم ونزعتهم في اتجاه العنف ؟

الاجابة تقول إن هؤلاء هم الأطفال الذين يعانون ، بمعنى ما من المعاني ، الظلم وسوء المعاملة ، أو الإهمال ، خاصة في سنوات طفولتهم الباكرة. فهؤلاء هم الأطفال الذين يكونون على الأرجح قد نشأوا في ظروف مشبعة بالاحباطات ، نتيجة الفقر الشديد. ولذلك يمكن القول أن الفقر الشديد في هذه الأيام أكثر صعوبة في تحمله وتحمل قساوته من الفقر في أزمان ماضية. كما أنه من الصعب الخضوع والاستسلام له لأن المجتمعات الحديثة تعد أجيالها بالكثير جدا ثم تعطي لها القليل جداً ، خاصة بالنسبة للطبقات الاجتماعية الهامشية – التي ورثت الفقر جيلا بعد جيل، والتي لم تتح لها فرص التعليم. فالمجتمع قد يعد بالأماني الكبار ويطلق العنان للتوقعات ، ثم بعد ذلك يحطم الآمال ، المرة تلو المرة. والإحباط *، يتولد لدى الأفراد حين تخلف الوعود على نحو متكرر ، وهذا يكون مدمراً للطموحات الإنسانية فضلاً عن كونه أمر قاس ومؤلم في حد ذاته.

---

* الإحباط : Frustration :
في علم النفس يشير إلى الحالة التي يوصف بها الفرد حين تُعاق إشباع حاجاته ، أو عندما لايؤدي سلوكه إلى النتائج المطلوبة ، أو حتى عندما يؤجل إشباع الرغبات. ولذلك يرى الباحثون أن الإحباط يظهر :
- حين يقف أي عائق يرتبط بالفرد أو البيئة دونه ، ويمنعه من أن يسلك السلوك الذي يهدف إلى إشباع حاجاته ودوافعه.
- حين لاينجح السلوك الذي يأتيه الفرد عمداً ، وبطريقة منطقية لتحقيق غاية معينة في تحقيق هذه الغاية وإحداث الإشباع.
- حين يتدخل أي عامل – داخلي أو خارجي – ويحول دون الإشباع العاجل. وتأجيل الإشباع أو إرجاؤه – وليس بالضرورة منعه كلية – يمثل إحباطاً ، خاصة عند الأطفال وبعض الكبار – الذين لم يتعودوا مواجهة الإحباط لأسباب بيولوجية أو أسباب سيكولوجية.

ويترتب بالضرورة على كل ماسبق أن ينتاب الفرد مشاعر إحباطية وهي تلك المشاعر التي يشعر بها الفرد نتيجة للإعاقة أو الفشل أو الإرجاء. وهي مشاعر سلبية تتضمن الضيق والتوتر والقلق وخيبة الأمل ، والمشاعر الاكتئابية أحياناً. (لمزيد من التفاصيل عن المشاعر السلبية في المواقف الإحباطية يمكن الرجوع إلى علاء الدين كفافي ، ١٩٩٠ ، الصحة النفسية ، القاهرة : هجر للطباعة والنشر ، ص ٣٠٨-٣٣٣).

ونعاود طـرح السؤال بصيغـة أخـرى : مـاهو تـأثير التليفزيـون علـى الأطفال الصغار الذين نشأوا وتربوا في بيئة فقيرة فقراً مدقعاً؟ والاجابة تقول: أنه من الناحية العملية فإن كل أسرة ، حتـى فـي أفقـر البيـوت ، تملـك جهـازاً للتليفزيون . وأكثر من ذلك ، فإن الأطفال في هذه البيـوت ، كثيراً مـايفتقدون وجود رعاية من قبل الكبار ، وربما يفتقرون إلى الاهتمام من أي راشد كبير، ولذلك نجد أن هـؤلاء الأطفـال يكونـون بصفـة خاصـة ميـالين إلـى الالتصـاق بشكل شديد إلى جهاز التليفزيون طوال اليوم. والذي يشاهدونه ويفهمونه ليـس إلا إهانة لارواحهم وتخريباً لعقولهم أكثر من أقرانهم الأطفال الآخريـن الذيـن يعيشون في ظروف حياتية أحسن حالاً وأكثر تميزاً.

إن القصص المزعومة عن عالم القـوة والـثروة والغنـى ، والإعلانـات التجارية التي يظهر فيها أناس على درجة عالية مـن الجمـال يـستخدمون المنتجات الفاخرة ، والقصص العاطفية الساحرة عن الأسر والعـائلات الـتي تعيش في بيوت أنيقة نظيفة ومنظمة ، ويحلون مشكلاتهم في أقل من نصف ساعة ؛ والمشاهد المخيفة والعنف والوحشية – كيـف يمكـن لكـل ذلـك ألا يؤثر في الأطفال الذين جُردوا بالفعل من فرصهم في ممارسة اللعب الابتكاري وإظهار عقلياتهم المتفتحة ؟ إن النصـج السـليم والنشـأة السـوية في بيئـة لا إنسانية إلى حد كبير يبدو لنـا أنـه أمـر يحتـاج إلى معجـزة كـي يتحقـق ؛ ولذلك فإن تحقيق كثير من الأطفال لهذه المعجزة هو دليل على مرونة العقل البشري ، ودليل ثان علـى مرونـة ذاتـه ، ودليـل ثـالث علـى قـوة وتمـيز الأطفال في ظل ضغوط نفسية عاتية ، لكن كثير من الأطفال ليس بإمكانه أن يفعل ذلك.

إننا لو تخيلنا الإرتباك ، الإحباط ، والغيظ ، والغضـب الشـديد ، الذي ينشأ بالتدريج لدى كثير من هؤلاء الأطفال الصغار ، مع إدراكهم أنـه ليس هناك باقرة من أمل ، إلا في القليل النـادر ، في الالتحـاق بالمؤسسـات

الناجحة ، والمجانية التي يعلن عنها دائماً في جهاز التليفزيون . وهم يعرفوا هذا جيداً ويدركونه منذ سنوات حياتهم الباكرة. وبالرغم مما نحب أن نعتقده في مجتمعاتنا ، إلا أن الفجوة بين الغني والفقير ، وبصفة خاصة بين الطبقات محدودة الدخل ، والتي يمكن قياسها عن طريق معدلات البطالة والتعطل فضلاً عن البطالة المقنعة ، والأجور الكلية ، يجد إنها فجوة تتزايد يوماً بعد يوم ولاتنقص. وحقيقة الأمر أنها تزيد على نحو خاص بين فئات المراهقين.

وعلاوة على ماسبق ، فإنه من الصعب بصفة خاصة بالنسبة لآباء وأمهات الأطفال في هذه البيوت بالذات أن ينقلوا معاييرهم وقيمهم إلى أطفالهم ، ولذلك فإنه من بين الأشياء التي يتعلمها الأطفال عن طريق التليفزيون وهو مايجب أن يدخل في الحسبان في هذا المجتمع أن الأمان يكمن فقط في الحصول على المال ، والمكانة الاجتماعية والنجاح. وأن هؤلاء الأطفال حينما يكتشفون أن أباءهم وأمهاتهم فقراء ، وضحايا في هذا المجتمع ، فأنهم ينظرون إلى آبائهم وأمهاتهم على أنهم غير صادقين، ولايوثق بهم ، وغير جديرين بالإحترام.

ولهذا ، هناك نوع جديد من السلوك الفوضوي Anarchic Behavior، وهناك نوع جديد من الجريمة المنتشرة بشكل مخيف في كثير من مدن وضواحي بلدان كثيرة في عالم اليوم – وهناك الجريمة " التي لامعنى لها " Senseless Crime التي يرتكبها الأطفال والمراهقون المنتمون إلى هذه الخلفيات المجتمعية.

والجرائم " التي لا معنى لها " هي تلك الجرائم التي يقترفها مرتكبوها دونما سبب على الإطلاق. ونحن لانتحدث هنا عن مهاجمة الأشخاص من الخلف ومحاولة خنقه بقصد الاستيلاء على نقوده ، ولكن

نتحدث عن التهجم على الآخرين من أجل التهجم فقط . فهـذا النوع من السلوك يبـدو سلوكاً يسـتحيل فهمـه مـالم نفـترض أن هـؤلاء المراهقـين أو الشباب الصغير الذي يرتكب مثل هذه الأفعال لايشعر بأنه يملك أي شـيء يشـترك فيه مع ضحاياه ، وهذا النوع من السلوك يبدو من المستحيل فهمـه مالم يفترض المرء أن هؤلاء الشباب قد اخفقوا في أن ينمو لديهـم الإحسـاس الأساسي بالهوية كافراد من بني البشر مثل الآخرين سواءً بسواء.

ولقد استرعى هذا النوع من السلوك إهتمام أحد البـاحثين البـارزين في مجال علم نفس الجريمة هـو شـارلس سـلبرمان Charles E Silberman فناقش في كتاباته عن العنف الجنائي Criminal Violence والعدالة الجنائية هذا النوع من الجريمة التي لامعنى لها. وكتب في ذلـك عـن ثلاثـة أولاد في سن المراهقة أعمارهم على التوالي (١٢) أثنـتي عشرة سـنة ، (١٣) وثلاثـة عشر عاماً ، هؤلاء الثلاثة قاموا بإضرام النار في قطة ، ثـم بعـد ذلـك قتلـوا قطاً آخر كان نائماً عن طريق غمره في سائل قابل للإشتعال ثم أضرمـوا فيـه النار. وقد لاحظ المؤلف على هؤلاء الصبية أنه يغيب عنهم التأثر من فظاعة ما ارتكبوا وأن غياب هذا التأثر هو الجانب الأكثر فزعاً بالنسـبة للمهتمـين بهذا السلوك الجـانح. ففـي فـترات زمنيـة ماضيـة كـان الجـانحون الذيـن يتورطون في جرائم عنف يميلون إلى الشعور العميق بـالذنب أو النـدم البـالغ الشدة في أعقاب جرائمهم ، أما هؤلاء المجرمـون الجُـدد فـلا ينتـابهم أيـة مشاعر من تلك التي تدل على وخز الضمير بل على العكس هم من الوحشية إلى درجة كبيرة ، وعانوا الأمرين في سنوات نشأتهم وتربيتهـم الأولى ، ممـا جعلهم يبدون عاجزين عن رؤية ضحاياهم كأفراد من الجنس البشري الذين ينتمون له ، أو عاجزين عن إدراك أنهم يقتلون كائناً حياً.

وفي رأينا أن الفقر ، والشعور بالظلم والإضطهاد كانوا دائماً وراء كل مايحدث ، وحقيقة الأمر أن الإحساس بهذه المشـاعر كـان أكـثر فظاعـة في

أوقات سابقة عنه في الوقت الحاضر. إلا أن جرائم كهذه الجرائم التي أشرنا إليها أصبحت الآن عادية ومألوفة فقط منذ عهد قريب. فالفقر كان دائماً وراء أحداث العنف واللامسؤولية والتمرد على القوانين ، ولكن كان هذا فيما مضى يحدث فقط فيما يتعلق بالجرائم التي لادافع وراءها. فما الذي اختلف الآن ؟ ما الذي جعل أشكال الجريمة في الوقت الحاضر تختلف تمام الاختلاف عن أشكال الجريمة في الماضي ؟ والاجابة – من وجهة نظرنا – تكمن في الشعور بالإحباط ، والغيظ الشديد المتولد عن الآمال المحطمة لدى فئات المنبوذين في كل مجتمع من المجتمعات. وأيضاً التليفزيون هو أحد الأسباب. إنه التأثير المتراكم الذي نجم عنه الوصول إلى مرحلة التشبع عبر سنوات الطفولة المبكرة – وهي تلك السنوات الحرجة والحاسمة في سياق النمو – مع مشاهد جرائم يومية في التليفزيون.

وهنا تتعين الإشارة إلى أنه ليس من أهداف هذا الكتاب أن يحاول البحث عن أنواع العلاجات المختلفة لكل هذه الصور الدالة على وجود الظلم واللاإنصاف الإجتماعي التي تولدت عن العنف. وإنما الذي يمكن القيام به هو أن نقترح – كمواطنين في مجتمع – تأييد ومساندة هذه المعايير التي تستطيع جزئياً على الأقل أن تقلص أو تبطل بعض التصرفات التدميرية والهدامة في المجتمع. وربما لاتكون هناك حاجة إجتماعية غير مشبعة لدى هؤلاء الذي يرتكبون الجرائم التي لامعنى لها ، أو أن المجتمع لم يعط هذه الحاجات المتعاظمة الأهمية أي اهتمام من قبل المسؤولين فيه ، أو لم تكن هناك تقديرات لفوائدها الممكنة إلى حد كبير ، فضلاً عن توفير وسائل الإشباع المجانية أو قليلة الكُلفة ، بالإضافة إلى إمكانية توفير خدمات على مستوى مدارس الحضانة ذات نوعية عالية الجودة بالنسبة للأسر التي لاتستطيع إلحاق أطفالها الصغار بمراكز للرعاية الوقائية والتحفيزية. ومن نافلة القول أنه لايوجد شعب في العالم الغربي يستطيع أن يتفوق على الولايات المتحدة من حيث الكم والكيف في البرامج الخاصة

بالرعاية النهارية المدعومة حكومياً. ومن هنا يمكن القول أنه من خلال المساندة الفعالة والنشطة والمستمرة لتشريع طويل المدى وإصدار قوانين تتعلق بالرعاية النهارية الملائمة ، يمكن إعطاء ملايين الأطفال الفرصة للعب والتعلم ، ومن ثم إتاحة الفرص للنمو الذي يمكن من خلاله لهؤلاء الأطفال أن يكونوا قادرين على العمل بنجاح في هذه الدنيا. وربما نتمكن أيضاً من معاونة هؤلاء الأطفال في إنقاذ مجتمعهم من العنف الذي يتفاقم يوماً بعد يوم وبالتالي إنقاذه من فوضى الجريمة.

- **العودة إلى عالم اللعب : Restoring the World of Play**

هناك حقيقة تكاد تكون ثابتة نسبياً هي أن معظم الأطفال في المجتمع الأمريكي يعيشون حياة يمكن القول عنها أنها حياة تتميز بالبذخ الشديد وهو مالايحدث لأطفال الطبقات الفقيرة في نفس المجتمع ، وهي حياة لاتستطيع أن تصمد كثيراً في مواجهة الأثر المدمر للتليفزيون. وفي ضُوء هذه الطبقية الواضحة يمكن أن نذهب إلى ماهو أبعد من ذلك – وهو أن هؤلاء الأطفال الذين ينتمون إلى الطبقة الوسطى – هم أيضاً مهددون ، فهم أحياناً مرتبكون ، عن طريق مظاهر الحياة التي تصنفهم على أنهم لا أصول لهم ولاجذور ، وهم يعيشون في مجتمع تكنولوجي يحرمهم من التمتع بها ، وذلك كما رأينا يظهر في ألعابهم الإيهامية تحت مسمى " دعنا نتظاهر أننا نفعل كذا ..... ".

وفي مقالته المثيرة التي تحمل عنوان " اللعب واستخدام اللانضج " Play and the Uses of Immaturity ناقش " جيروم برونر " Jerome Bruner ظاهرة واسعة الإنتشار في وقتنا الحاضر بالنسبة للطبقة الوسطى وهي ظاهرة المراهق المضاد للمجتمع أو " المراهق المستبعد " ، وقد افترض " برونر " أن هذا السلوك هو في حد ذاته نوع مشوه من اللعب. وقد رأى " برونر " أن

المراهقين الذين يلعبون هذه الألعاب الخطرة ، والـتي هـي في حقيقـة الأمـر صدى للعب الأطفال في مرحلة ماقبل المدرسة ، وأنها تتضمن معنى مـا مـن المعاني أيضاً ، مؤداه " الاكتشاف " . والإكتشاف هنا يشير إلى " من يكون هؤلاء ، ويتعين البحث عن طريقة للتعـايش مـع الضغـوط النفسـية في هـذا العالم " وعلى هذا ، فإن المراهقين يفعلون ذلـك لأنهـم كـانوا محرومـين في طفولتهم المبكـرة مـن حيـاة لم تتـح لهـم فرصـة اللعـب الخيـالي ، واللعـب الفردي، واللعب الإجتماعي.

إن إستخدام العقاقير ، والأساليب الهروبية ، والاستجداء ، والسير على غير هدى ، وكسب الأموال بطرق غير مشروعة ، وكل أنـواع السـلوك المضاد للقوانين الموضوعة هي أنواع من السلوك الذي ينتشر على نطاق واسع بين أطفال الطبقة الوسطى في عالمنا المعاصر ، وهي أنواع من السلوك ناجمة عـن تجـاهلهم لقدراتهـم الخاصـة ، وناجمـة عـن الشـعور بالإغـتراب عـن المجتمع ، والحاجة الملحة لاكتشاف مايحبونــه هـم ، ومايحبـه المجتمـع أيضاً . وعلى أية حال ، فإنه من سوء الحظ ، أن هذه الألعـاب هـي الـتي يجسدها المراهقون ، وهي ألعاب خطرة إلى حد كبير في دنيا الواقع. إن هذا النوع من " اللعب " المحفوف بالمخاطر يمكن أن ندرك أبعاده مسبقاً لـو أن المراهقين كانت لديهم الفرصة لتشكيل علاقاتهم وروابطهم بـالمجتمع الـذي يعيشون فيه ، ولاكتشاف مشاعرهم ، وليلعبوا ألعـابهم الخياليـة في وقتهـا الطبيعي والملائم لها ، وبالطريقة الطبيعية المتقبلة ممن حولهم.

* ماذا يمكن أن نفعل إذن لكى نعيد إلي الأطفال الصغار فرص التلقائية واللعب الخيالى ؟
إن هناك الكثير مما يتعين علينا عمله للتأثير فى السياسة الحكومية ، وأيضا فى حياتنا الخاصة. ونحن هنا نتكلم عن الحاجة الى خدمات الرعاية النهارية التى يقوم بها دكتور "إيوارد زيجلر" Dr.Eward Zigler المدير الأول لمكتب "يو . إس" لنمو الطفل : The U.S. office of child development ، وهو الأن أستاذ متفرغ لمقرر علم النفس بجامعة ييل. لاحظ دكتور "زيجلر" أن الإقتراحات المقدمة لمشاريع قوانين الرعاية النهارية قد تطورت كثيرا عما كان مقدما من قبل الكونجرس ، بل وتتطور كثيرا من جلسة الى أخرى ، ليس فقط بعد اللامبالاة الحكومية والمعارضة من قبل البيت الأبيض ، ولكن أيضا بسبب الموافقة من جانب الخبراء حول المعابير والتقنيات المقترحة فى هذا الصدد . وكما أشار "دكتور زيجلر" أن النقاش المتصل والمستمر حول النقاط الهامة فيما تعلق بسن أحد القوانين أو إقرار أحد التشريعات يؤدى للأسف الى لاشيء فى النهاية. لكن مجرد الإنتقال الى إقتراح قانون غير مكتمل يعد فى حد ذاته خطوة هائلة للأمام" .
* كذلك فإن الأشخاص الذين إعتقدوا أن سن قانون للرعاية النهارية قد أصبح أمر ضرورى الأن ، كما حدث فى المسودات التى إقترحت عام (١٩٨٠) والتى تناولت قانون رعاية الطفل على المستوى القومى ، يستطيعون مساندة وتأييد هذا القانون بالكتابة الى ممثليهم فى الهيئة التشريعية العليا حول هذه القضية. أما هؤلاء الأشخاص الذين يرغبون فى الوقوف على مزيد من الحقائق والمعلومات ، ليس فقط عن الرعاية النهارية للأطفال ، ولكن أيضا عن التباين الكبير فيما يتعلق بالقضايا التى تهم الأباء والأمهات والأطفال أيضا ، فيمكنهم كذلك الكتابة الى الرابطة الخيرية القومية ، لتحالف الأطفال والشباب The coalition for children and youth, a national nonprofit association (815 15th street, N.W., Washington, D.C. 20005). والذى يعد فى الوقت نفسه مصدرا من الطراز

الأول للمعلومات عن هذه القضية ، وما يتصل بها من مؤتمرات وبرامج تخص الأسرة.

* وبالإضافة الى تأييد سن القانون الخاص برعاية نهارية فى متناول كل الأسر التى تحتاج الى خدمات هذه الرعاية ، فإن بعض الأباء والأمهات قد يهتمون بإنشاء مراكز تعاونية خاصة بهم تفصح عن رغبتهم فى التعاون مع بعضهم البعض (أنظر قائمة الكتب والمراجع المتصلة بموضوع الكتاب ، وخاصة المؤلف بيل إيفانز وأخرون Belle E.Evans, et. al. الذى يعد موجها شاملا .

للبدء فى إنشاء مركز تعاونى ، أو مدارس اللعب سواء كانت صغيرة أو كبيرة).

وعلاوة على ذلك ، يوجد الكثير الذى يمكن للأباء والأمهات القيام به فى حياتهم اليومية لإستعادة عالم اللعب لأطفالهم ، وجعل كل مدينة وكل ضاحية على أفضل ما تكون من حيث كونها أماكن أكثر تشجيعا وأكثر إغراء للأطفال على أن يعودوا الى دنيا اللعب .

* وبروح اللعب والمغامرة ، يستطيع الأباء والأمهات وكذلك المعلمون إصطحاب أطفالهم الصغار فى زيارات ورحلات قصيرة الى أماكن عمل حقيقية . فالزيارات والرحلات القصيرة لا تكون فقط للمتاحف . والمعارض . القلاع التاريخية التى يتم تجديدها . وحدائق الحيوان . وما شابه ذلك . ولكنها تكون أيضا للأسواق الضخمة ، والمصانع . والمعامل . ومخافر الإطفاء . ومحلات النجارة وورش الإنشاءات الميكانيكية . ومصانع الغزل والنسيج ، ومخازن الأخشاب . وأيضا يستطيع الأباء والأمهات أن يصطحبوا أطفالهم بين الحين والأخر الى الأماكن التى يعملون فيها أعمالهم الخاصة وذلك حتى يعرفوا جيدا ماذا يعمل الأباء والأمهات وبالتالى يستطيع تمثيل وتجسيد هذه الأعمال فى ألعابهم الجماعية التى يتبادلون فيها لعب الأدوار.

* إن الأباء والأمهات يستطيعون كذلك القيام بأنشطة أخرى مجتمعين مـع بعضهم البعـض أو بتكويـن رابطـة تضم العديـد مـن الجـيران فـى المنطقـة السكنية الواحدة ومن أمثلة هذه الأنشطة زراعة الأشجار والأزهار ، تنظيـف شوارع الحى ، إنشاء مراكز للصحة وأماكن ترفيه وإستجمام علـى المستوى المحلى . وإقامة المعارض الفنية ومعارض الحرف اليدوية . وبالمشاركة فـى هذه الأنشطة وغيرها ، وبصحبة الأطفال ، يستطيع الأباء والأمهـات ليـس فقط تحسين الشكل العام ولكن أيضا المنـاخ النفسـى لجـيران يعيشـون فـى منطقة سكنية واحدة تضمهم جميعا . إننا بذلك نضع فى إعتبارنا المصلحـة المجردة لمجتمعنا وجعل هذه المصلحة أكثر فهما وإدراكـا وإرضـاء وإشـباعا لأطفالنا ، ولنا نحن أيضا. ولو أن الأباء والأمهات واصلوا العمل علـى هـذا النحو ، فإنهم يزودون أطفـالهم بالمـادة الخـام للعـب الخيـالى ، ويمدونهـم بالرغبة فى الإنخراط فيه ، والتى يحتاجونها فى النضج المتكامل والسوى .

* ومن الناحية العملية ، نجد أن كل مجتمع محلى فى عالم اليوم ، هناك العديد والعديد من أنواع البرامج التطوعية التى بـدأ العمـل فيهـا بـالفعل ، والتى تشبع حاجات الناس الى أن يضبطوا وينظموا معيشتهم ، ويشعروا من خلالها أنهم ينتمون الى المكـان الـذى يعيشـون فيـه ، بـل ويشـاركون فـى الإهتمامات العامة التى تهمهم وتهم جيرانهم.

* إن مدينة نيويورك وحدها تضم (١٠,٠٠٠) عشرة آلاف تجمعـا سـكنيا ، وتجمعا مجتمعيا . ومـن ثـم فـإن التحـالف مـن أجـل العمـل التطوعـي أو الإختيارى يقدر أن هناك نحو (٦) ستة ملايـين جمعيـة أو رابطـة مدعومـة بمساعدات طوعية من الولايات المتحـدة الأمريكيـة تعمـل بأسـاليب وطـرق مختلفة ومتباينة لإستعادة حسن الفهم والتقدير للمجتمع لدى هـؤلاء الذيـن يعيشون فى مدن شتى وضواحى مترامية عبر الأمـة كلهـا . وهـذا الأسـاس الضخم الذى يسـمح بالحركـة فـى كـل الإتجاهـات يعكـس التصميـم علـى تحقيق مقولة " الرجل العادى " The common man الذى يمكنـه أن يوفـق الى بلوغ القدرة الفردية بمتطلبات التكنولوجيا المتقدمة التى يعانى المجتمـع

الحرمان منها . وأما الرابطـة القوميـة للجـيران The national association neighborhoods والتـي مقرهـا واشـنطن (1612 20th street, N.W., Washington, D.C. 20009) فيمكنها أن تزود من يهمـه الأمـر بالمعلومـات ذات الصلة بأنواع المشـروعات التـى يمكـن أن يباشـرها المجتمـع المحلـى والرابطة القومية للجيران. كما أن دور العبادة وغيرها من المؤسسات الدينيـة تعتبر مصدرا متميزا للمعلومات ذات الصلة بتنظيم المشروعات الموجودة فـى منطقـة سـكنية واحـدة (مجتمـع الجـوار الواحـد) وهـى فـى الغـالب تقـدم تسهيلاتها الدائمة التى ينتفع بها فى برامـج المجتمـع المحلـى . إننـا إذا حرمنا الأطفال من الوقت ، ومن الفراغ ، ومن الفرصة فى اللعب التلقائى ، واللعب الخيالى ، وفى الحرية التامة والأمان الكامل ، فإننا كآباء وأمهـات نكون قد سلبنا من هؤلاء الأطفال طفولتهم . ولا يستطيع أحد بأى حال مـن الأحوال أن يعيد عقارب الساعة الى الوراء . لكننا نسـتطيع كآبـاء وأمهـات وكمعلمين فى بيوتنا ، وفى مـدارس الحضانـة ، وكأعضـاء فـى مجتمعـات محلية أن نعمل معا ، لنعيد الأطفال الصغـار ومـن الأن إلى النضـج بطريقـة صحيحة وإلى إستعادة قدراتهم على اللعب من أجل حياة أفضل لهم .

Bibliography

Almy, Millie (Ed.). *Early Childhood Play: Selected Readings Related to Cognition and Motivation.* New York: Selected Academic Readings, 1968.

Auerbach, Stevanne. *Confronting the Child Care Crisis.* Boston: Beacon Press, 1979.

Biber, Barbara. *Play As a Growth Process.* Pamphlet. New York: Bank Street Publications.

______. *Promoting Cognitive Growth in Children.* Washington, D.C.: National Association for the Education of Young Children, 1971.

Bremer, Anne, and Bremmer, John. *Open Education: A Beginning.* New York: Holt, Rinehart & Winston, 1972.

Bruner, Jerome. *The Process of Education.* Cambridge: Harvard University Press, 1965.

______; Jolly, Alison; Sylva, Kathy (Eds.). *Play—Its Role in Development and Evolution.* New York: Basic Books, 1976.

Caplan, Frank, and Caplan, Theresa. *The Power of Play.* New York: Doubleday & Co., 1973.

Carmichael, Carrie. *Non-Sexist Childraising.* Boston: Beacon Press, 1977.

Cohen, Dorothy, and Rudolph, Marguerita. *Kindergarten and Early Schooling.* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1977.

Erikson, Erik. *Childhood and Society.* New York: W.W. Norton & Co., 1964.

Evans, Belle E.; Shub, Beth; and Weinstein, Marlene. *Day Care: How to Plan, Develop and Operate a Day Care Center.* Boston: Beacon Press, 1971.

Gessell, Arnold; Ilg, Frances L.: Ames, Louise Bates; and Rodell, Janet Learned. *Infant and Child in the Culture of Today*, rev. ed. New York: Harper & Row, 1974.

Glickman, Beatrice Marden, and Springer, Nesha Bass. *Who Cares for the Baby? Choices in Child Care.* New York: Schocken Books, 1978.

Gordon, Ira J.; Guinach, Barry; and Jester, J. Emile. *Child Learning Through Child Play.* New York: St. Martin's Press, 1972.

Herron, Robin, and Sutton-Smith, Brian. *Child's Play.* New York: John Wiley & Sons, 1971.

Hirsch, Elizabeth: *The Block Book.* Washington, D.C.: National Association for the Education of Young Children, 1974.

Koste, Virginia Glasgow. *Dramatic Play in Childhood: Rehearsal for Life.* New Orleans: Anchorage Press, 1978.

Marzullo, Jean, and Lloyd, Janice. *Learning Through Play.* New York: Harper & Row, 1972.

Millar, Susanna. *The Psychology of Play.* New York: Penguin Books, 1968.

Piaget, Jean. *Play, Dreams and Imitation.* New York: W.W. Norton & Co., 1962.

Piers, Maria W. *Growing Up With Children.* New York: Quadrangle/The New York Times Co., 1966.

______, (Ed.). *Play and Development.* New York: W.W. Norton & Co., 1972.

Sharp, E. *Thinking is Child's Play.* New York: Avon Books, 1969.

Silberman, Charles E. *Criminal Violence, Criminal Justice.* New York: Random House, 1978.

Singer, Jerome L. *The Child's World of Make-Believe.* New York: Academic Press, 1973.

———, and Singer, Dorothy G. *Partners in Play: A Step-by-Step Guide to Imaginative Play in Children.* New York: Harper & Row, 1977.

Smart, Mollie S., and Smart, Russell C. *Children: Development and Relationships.* New York: Macmillan Publishing Co., 1967.

Sparling, Joseph, and Lewis, Isabelle. *Learningames for the First Three Years: A Guide to Parent-Child Play.* New York: Walker and Company, 1979.

Sponseller, Doris. *Play As a Learning Medium.* Washington, D.C.: National Association for the Education of Young Children, 1974.

Uslander, Arlene S.: Weiss, Caroline; and Telman, Judith. *Sex Education for Today's Child.* New York: Association Press, 1977.

Zigler, Edward. *Headstart: The Legacy of America's War on Poverty.* New York: Free Press, 1979.

Play for the Handicapped

A Reader's Guide for Parents of Children with Mental, Physical or Emotional Disabilities. Rockville, Md.: U.S. Department of Health, Education, and Welfare, Bureau of Community Health Services, 1976.

Caldwell, Bettye M., and Stedman, Donald J. (Eds.). *Infant Education: A Guide for Helping Handicapped Children in the First Three Years.* New York: Walker and Company, 1977.

Let's-Play-to-Grow (12-packet activity kit for the handicapped). Available from the Joseph P. Kennedy, Jr. Foundation, 1701 K Street, N.W., Washington, D.C. 20006.

White, Robin. *The Special Child.* Boston: Little, Brown & Co., 1978.

8